مكانة الذكر بين العبادات

عثمان السعيد الشرقاوى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكانة الذِكر بين العبادات

عثمان السعيد الشرقاوى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وبعد،،،

فإن كتاب "مكانة الذكر بين العبادات"

للأستاذ / عثمان السعيد الشرقاوى روضة فيحاء، تشرح الصدر، وتبهج القلب، وتسمو بالروح إلى العلياء، فيه من كل الرياحين وأطيب الثمرات آيات من كتاب الله الحكيم، وقبسات من نور النبوة، ونفحات الصفوة من الصالحين ...

وجزى الله المؤلف الفاضل خير الجزاء، فقد بذل فيه جهداً يُذكر له فى صحيفة أعماله وكفة ميزانه إن شاء الله وأنا أدعو الله أن ينفع به قرائه فتلين قلوبهم لذكر الله، وتزداد اطمئناناً {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} ..

وأود أن أنبه القارىء الكريم إلى ركن أساسى فى هذا الدين، وهو أن ذكر الله تعالى تأتى مرتبته فى القبول بعد آداء فرائض الله، طبقاً لما جاء فى الحديث القدسى: "ومن عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحبُّ إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه .." إلى آخر الحديث

والله المسئول أن يهدى هذه الأمة إلى صراطه المستقيم ....

د. محمد نايل
عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سابقاً
عضو مجمع اللغة العربية حالياً

فى غرة جمادى الأول عام ١٤١٤هـ
الموافق ١٦ من أكتوبر عام ١٩٩٣م

"مكانة الذكر بين العبادات" كتاب قيم، بين فيه المؤلف بأسلوب ممتع ومشوق فضيلة الذكر، وما له من منزلة عظيمة بين العبادات كلها، لما فيه من تمجيد لله تبارك وتعالى ..

وهو لا شك كتاب قيم ونفيس، بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً، وفيه يحث على الذكر بجميع أنواعه، ويبين فضله، وما أعده الله تبارك وتعالى للذاكرين والذاكرات من الثواب العظيم والنعيم المقيم والجزاء الأوفى والمكانة السامية والدرجات العالية .

إنه فى نظرى أشبه ما يكون بالروضة المزهرة الفيحاء، أو كالحديقة المثمرة الغناء، من أى نواحيها تشم أريجها، وتستمتع بشذى طيبها ..

ولقد صدق بعض العارفين حين قال :

والله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا الآخرة إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته .

وهل هناك فى هذا الوجود متعة روحية وفى مقدمتها تلاوة القرآن الكريم تعدل هذه المتعة التى يجدها التالى لكتاب الله والذاكر له جل علاه، لا سيما عندما يكون خالياً، فتفيض بالدمع عيناه ..

لهذا كله، فإننا نقترح أن يصرح بطبع هذا الكتاب النفيس ..

من تقرير

مجمع البحوث الإسلامية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدمَةُ الكِتَاب

الذكرُ هو الحبل الممدود بين العبد وربه. وهو الطريق الموصل لمحبة الله ورضوانه. وهو الباب الأعظم للترقى والفتوحات. وهو المعراج الذى يرتقى بك إلى جلال الأنس والجمال. وهو عنوان المجدين الراغبين فى السير إلى الله. فهو قوت القلوب وغذاؤها، ونور الأبصار وجلاؤها، وهو الذى يوصلك إلى مولاك من أقصر طريق.. وهو الطريق إلى الولاية والاصطفائية.

وهو المنجِّى من عذاب الله، وهو النور للمؤمن فى قبره وفى معاده. وهو الذى يكسو صاحبه الهيبة والمهابة والجلال والنضرة. وهو الذى ينير الوجه والقلب، وهو الذى يمنح العافية للروح والبدن، وهو الذى يزيل الوحشة بين العبد وربه. وهو العصمة من الشيطان حتى إذا اقترب الشيطان من الذاكر صرعه نور الذكر فقضى عليه [1]، وهو الذى يزيل عن المؤمنين الكربات والهموم والغموم، به يستدفعون الآفات ، ويستشكفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التى فيها يتقلبون وسبب سعادتهم التى بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا.

وهو الذى يزيل القسوة التى فى القلوب ويعيد إليها صفاءها ونورها. وهو سبب لتنزيل السكينة وغشيان الرحمة من الله وسبب لحضور الملائكة فتشارك الذاكرين ذكرهم. وهو الذى يظل مع الإنسان فى قبره يؤنسه ويزيل عنه الوحشة حتى تقوم الساعة ويقف الناس بين يدى رب العالمين. وهو المجلب للرزق وكل الخيرات والفيوضات والعطاءات .

---

(١)قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان، صرعه كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ماهذا؟ فيقال: قد مسَّهُ الإنسّى..

وهـو روح الأعمـال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كـان كالجسـد الـذى لا روح فيـه.

فالذكر هو الذى يقربك من حضـرة اللـه وهـو الـذى يجعلـك دائمـا مذكـورا عنـد ربـك، وهـو مصـداق قـول اللـه تعـالى﴿فـاذكرونى اذكركـم واشـكروا لى ولا تكفرون﴾ (١).

فأنت إذا ذكرت ربـك ذكرك عنده (٢)، وإذا ما ذكرك فقد حبـاك الخيـر كله، وأفاض عليـك الهداية والمغفرة والرحمة.

والمسـلم كثير الذكر لربه، لأنه فى حاجة إلى عونه ومدده، فإذا ما انقطع عـن الذكـر، انقطع عنه العـون والمدد وتخلـت عنـه الهـداية، ووكـله اللـه إلى نفسـه، ولذلـك قيـل: **"عقوبة العارف انقطاعه عن الذكر."**

ولذلـك ذم اللـه المنـافقين الذيـن يعرضـون عـن ذكـر اللـه، فقـال فـى شـأنهم : **﴿ولايذكرون اللـه إلا قليلا ﴾** (٣)..وقال تعالى: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض لـه شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾** (٤)..

روى جـابر رضـى اللـه عنه، أنه قال: خطبنا رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم فقـال : "أيها النـاس: توبوا الى اللـه قبل أن تموتوا، وبـادروا بالأعمـال الصالحـة قبـل أن تشـغلوا، **وصـلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم لـه** (٥)، وكثرة الصدقة فىالسـر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا" (٦) .

وإذا ما اسـتغرق المسـلم فى الذكر وانشـغل به عن الدعـاء، فإن اللـه يتولى سياسة أموره وقضـاء مصالحه على أتم وجه وأفضل أداء..

---

(١) سورة البقرة آية رقم(١٥٢)

(٢) قال ثابت البنانى رضى الله عنه، وكان من أجلاء التابعين:" إنى لأعلم متى يذكرنى ربى عز وجـل قيل له: متى تعرف ذلك؟ قال: إذا ذكرتهُ ذكرنى، لأن الله يقول: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾..

(٣) سورة النساء آية (١٤٢) (٤)سوره الزخرف ايتا (٣٦ - ٣٧)

(٥) ورد أن أفضل الذكر الصلاة، ثم قراءة القرآن فى الصلاة وغير الصلاة، ثم التسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الاستغفار والدعاء

(٦) رواه ابن ماجه والطبرانى فى الأوسط ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله عز وجل:
"من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" (١).

ولو علم الناس ما في الذكر من منزلة وفضل، لانشغلوا به ولآثروه على كل شيء. فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"لو يعلم الأمير ما في ذكر الله لترك إمارته، ولو يعلم التاجر ما في ذكر الله لترك تجارته، ولو أن ثواب تسبيحة واحدة قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد عشرة أضعاف الدنيا" (٢).

وقد ورد أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "أكثر ذكر الله تكن أخص الناس إلى الله". (٣)

والذاكر لا ينفع نفسه فحسب، بل يتعدى نفعه للآخرين، فإن الله يدفع عن العباد البلاء والعذاب ببركة الذاكرين، يقول الله عز وجل في حديث قدسي: "إن أحب عبادى إلى المتعلقة قلوبهم بالمساجد، المشاءون في الأرض بالنصيحة، والمستغفرون بالأسحار، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة، ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم.." (٤).
وكما قال بعض العارفين: "ولولا من يذكر الله في غفلة الناس لهلك الناس"

ومن خصائص الذكر أنه غير محدود بوقت، بمعنى أنه يمكنك أن تذكر ربك في أي وقت من الأوقات، فليس له وقت معين، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى إما فرضا أو ندبا. والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في

---

(١)أخرجه الترمذى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٢)ليس معنى الحديث أن يترك الناس أعمالهم ويتفرغوا للذكر,إنما يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يرينا إلى أى مدى يحب الله الذاكرين وما في الذكر من فوائد وعطايا (من كتاب نزهة المجالس تأليف عبد الرحمن بن عبد السلام الصفورى الشافعى) وقريب من هذا،حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه:"من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله كل مؤنة،ورزقه من حيث لا يحتسب،ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها "رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب عن عمران بن حصين رضى الله عنه

(٣)رواه الإمام أحمد بن حنبل عن خالد ابن الوليد رضى الله عنه (٤)رواه البيهقى عن أنس رضى الله عنه

بعض الأوقات، وكذلك الصوم له بداية ونهاية معلومة، وكذا الحج لا يصح إلا فى أشهر معلومة. أما الذكر باللسان والقلب فمطلوب فى كل الأوقات وفى عموم الأحوال، قال الله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (١).

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه" (٢).

وقد أوردنا فى كتابنا هذا فضائل الذكر فى الشهور المباركة، وما جاء فيها من أجر ومثوبة، وكذلك ما جاء فيها من صلاة وصيام وأذكار.. وربما يتساءل القارئ الكريم، هل أمر النبى صلى الله عليه وسلم بكل هذه الصلوات وهذه الأذكار، وهل جعل لكل شهر صلاة وذكر ودعاء..؟

ونحب أن نقول إن النبى صلى الله عليه وسلم رغب فى النوافل أيّما ترغيب، وحث عليها ابتغاء الفضل والمثوبة لما لها من المنزلة عند الله، وذلك كما جاء فى الحديث القدسى: "وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه" (٣).

وقد دعا النبى صلوات الله وسلامه عليه إلى القيام بنوافل كثيرة، من غير الفريضة، كصلاة الجنازة، والكسوف، والاستسقاء، وتحية المسجد، وركعتى الوضوء، وصلاةدخول المنزل، والخروج منه، وصلاة الإستخارة، وصلاة الحاجة، وصلاة نزول الفاقة، وصلاة التوابين، وصلاة عند نزول المطر، وصلاة السفر، وصلاة التسابيح، وصلاة قضاء الدين، وصلاة عند النوم.. وغير ذلك من الصلوات.

كل هذه الصلوات وغيرها، وما فيها من الأذكار والدعوات، إنما جاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله يقول: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٩١)

(٢) رواه مسلم. وذلك معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحواله واقفا، وقاعدا، وماشيا، ومضطجعا، على طهور وغير طهور

(٣)أخرجه البخارى

عنه فانتهوا﴾ [1] ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [2]. فالعمل بالسنة مفتاح الجنة، ولن يكمل إسلام عبد إلا إذا أتى بالسنة المطهرة. فهى دليل على صدق اتباعك لرسول الله وحبك له..وقد قيل: المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه، ولا يأمل إلا قربه ورضاه

ما للمحب سوى إرادة حبه .:. إن المحب بكل أمر يضرع

كما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُحرِّم ذكرا أو دعاء ألهم الله به أحدا من عباده ما دام متمشيا مع الكتاب والسنة، بل أقره وحض عليه.. قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: صلينا مع النبى صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: "الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا" فقال النبى صلى الله عليه وسلم: من القائل لهذه الكلمات؟ فقال رجل: أنا يارسول الله، فقال: "عجبت لها تفتحت لها أبواب السماء..!!" [3].

ثم جاء الصحابة رضوان الله عليهم، فاستزادوا من النوافل لحبهم ورغبتهم فى المزيد من التقرب إلى الله﴿ فمن تطوع خيرا فهو خير له﴾ [4].فلم يعترض عليهم أحد، بل وأقرها كبار الصحابة، كما حدث فى صلاة التراويح فى شهر رمضان المعظم، فقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة التراويح ثمانى ركعات ثم يوتر بثلاث، وظل يصليها هكذا حتى لحق بالرفيق الأعلى.

ولما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إمرة المسلمين، جمع الناس عليها فى المسجد النبوى وزاد من صلاتها فجعلها عشرين ركعة، لما رأى من المسلمين شوقا إلى العبادة ومن حب لاستماع القرآن فى الشهر المبارك، ولما خرج ذات ليلة، ورأى الناس يصلون بصلاة قارئهم سيدنا أبى بن كعب، قال: "نعمت البدعة هذه" ! [5].

---

(١) سورة الحشر آية (٧)

(٢) سورة النساء آية (٨٠)

(٣)رواه مسلم وغيره

(٤)سورة البقرة آية (١٨٤)

(٥) نقول إذا كان سيدنا عمر رضى الله عنه قد سماها بدعة، فمعنى هذا أن كل بدعة ليست ضلالة، وأن هناك بدعة حسنة، وبدعة سيئة، وفى ذلك يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه:" ما أحدث وخالف كتابا وسنة أو إجماعا أو أثرا فهو البدعة الضلال، وما أحدث من الخير و لم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة..أ. هـ (القصة رواها الإمام البخارى فى صحيحه)

ثم جاء التابعون رضوان الله عليهم، وجاء من بعدهم المتصوفة وأهل العلم با لله، فأشربت قلوبهم حب العبادة، فزادوا من عباداتهم ونوافلهم، راغبين في التقرب إلى الله ولمزيد من الأنس به.. حتى قال بعض التابعين:

"والله لأجتهدن، ثم والله لأجتهدن، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي.."

وكما قال أحد العارفين:

فتح كل باب وكل علم نفيس بذل المجهود

وقد صدق الله العظيم إذ يقول في حقهم، وحق كل من يتنافس في مرضاة ربه:

﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (١).

وقد ذكر الإمام الأكبر محيي الدين بن عربي في كتابه " الوصايا" أن الشيخ أبو مدين قطب المشرق العربي في عصره، سن لأصحابه ركعتين بعد الفراغ من الطعام، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿لإيلاف قريش﴾ وفي الثانية ﴿قل هو الله أحد﴾، ومشت سنة في أصحابه.. فكانت بدعة طيبة، تمنح من يقوم بها مزيدا من الفضل والثواب. وهذه البدعة الحسنة لها أصل من السُّنّة النبوية، فقد ورد في الخبر: "أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولاتناموا عليه فتقسوا قلوبكم" (٢).

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم لمن يأتي بعده، فيسن سنة حسنة، فينتفع بها المسلمون، وتكون عونا لهم في دينهم وأخراهم.. فقال صلى الله عليه وسلم:

"من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا" (٣).

---

(١) سورة الذاريات آيتا (١٧، ١٨)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) من المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل جميع المباحات لأنها كثيرة، ولأنه كان مشغولا بشئون الدعوة والمسلمين، لايستطيع بشر أن يستوعبها عدا، فضلا عن أن يتناولها. فمن زعم تحريم شئ بدعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله، فقد ادعى ماليس عليه دليل وكانت دعواه مردودة.. (ا.هـ)

وقد أحدث الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين سننا حسنة، وابتدعوا أمورا لم تكن في عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فما أنكر عليهم ذلك أحد.. من ذلك جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقد كاد يضيع لإستشهاد كثير من الصحابة الحافظين للقرآن، وجمع الأحاديث النبوية فى عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وجمع أبواب الفقه فى عهد أبى حنيفة، وكذلك اختراع علم أصول الفقه للإمام الشافعي.. وغير ذلك من البدع الحسنة المباركة.. والتى نرجو لها المزيد والانتشار لينتفع بها المسلمون.

∴

والذكر ليس مقصورا على اللسان، إنما الذكر ذكران:

ذكر الله باللسان، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية إذا اقتربت منها.

فذكر الله باللسان إنما يحتاج إلى جارحة واحدة فقط، أما ذكر الله عند المعصية فيحتاج إلى التحكم فى جوارحك الظاهرة والباطنة، فتحتاج إلى مغالبة النفس والهوى والشيطان.. **وهذا الأمر يحتاج إلى جهاد ومجاهدة، وقلت عندئذ: ﴿معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون﴾ (١)، لذلك كان ذكر الله عند إشرافك على المعصية وتوقفك عنها لمن أعظم القربات إلى الله، فضلا عن عظيم ثوابها فى الآخرة..**

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات، ولكن سمعته أكثر من ذلك..

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

كان الكفل من بنى إسرائيل وكان لا يتورع عن ذنب يعمله، فأتته امرأة تطلب صدقة لحاجتها الشديدة، فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها، فلما أرادها عن نفسها، ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ قالت إن هذا عمل ما عملته قط، وما حملنى عليه إلا الحاجة،

---

(١)سورة يوسف آية(٢٣)

فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله! فأنا أحرى بذلك، اذهبى فلك ما أعطيتـك، ووالله لاأعصيه بعدها أبدا.. فمات من ليلته، فـأصبح مكتوبـا علـى بـاب بيتـه: إن الله قـد غفـر للكفل فعجب الناس من ذلك..! [1].

فإذا كان الله قد غفر لعبد كان لا يتورع عن ذنب يأتيه أو حرمة ينتهكها، بسبب تذكره لربه في وقت همه بالمعصية وتوقفه عنها، خوفا من الله، فما بالك بمنزلة الذاكر لله بلسانه والحافظ أيضا لحدود الله وحرماته..!!

والذكر إذا لم يثمر الخشية والخوف من الله، فلا قيمة له ولا فضل..

يقول سعيد بن جبير رضى الله عنه:

"إن الخشية ليست فى أن تذكر الله بلسانك، إنما الخشية فى أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيتك، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر" [2].

وقد أجمع العارفون وأهل الولاية على أنه ليس كل من عمل بالطاعات صار مقربا، بل يصير مقربا كل من اجتنب ما نهى الله عنه من معاصى وآثام..يقول سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٨٣هـ: "ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار مطيعا حبيبا لله، ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب، وأما أعمال البر فيعملها البر والفاجر" .

---

(١)رواه الترمذى وقال: حديث حسن كما رواه ابن حبان فى صحيحه وكذا الحاكم، وقال: صحيح الاسناد. والكفل هذا غير نبى الله **ذا الكفل** كما رجحه ابن كثير فى تفسيره، وقد جاء ذكره فى القرآن مع بقية أنبياء الله فقال تعالى:﴿وإسماعيل وإدريس **وذا الكفل** كل من الصابرين.وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ سورة الأنبياء آيتا (٨٥،٨٦), وقال جل شأنه:﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار.إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار. وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار. واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ سورة ص آيات(٤٥-٤٨)

وقال آخرون منهم مجاهد رضى الله عنه: أنه لم يكن نبيا، وانما كان رجلا"صالحا، وحكما مقسطا عادلا، وكان قد تكفل لبنى قومه أن يكفيهم أمرهم،ويقضى بينهم بالعدل،ففعل ذلك،فسمى **ذا الكفل**

(٢)حلية الأولياء (جـ ٤) للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

ولقد أساء بعض المسلمين فهمهم لمجالس الذكر وحلق الذكر، وأخذ كل فريق يؤكد أن الصواب في رأيه، وأن ما عداه فهو الباطل، دون سند من حجة أو أثر.. ولهذا أحببنا أن نورد أصناف الناس في هذا المضمار:

-صنف عديم المعرفة بالله، قد طمس الجهل بصيرته، لا يعرف من حقيقة الذكر ولا من فضائله شيئا، فهو لا يهتم به ولا يحرص على التعلم من شئ يفيده، فهو مشغول بدنياه، غير عابئ بما ينفعه في أخراه، وفي ذلك يقول الله عز وجل في وصفهم: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ (١)

-وصنف يعرف أفضال الذكر وثواب مجالس الذاكرين، ولكنه لا يقترب منها، بل يهاجمها، إرضاء لهواه ولشيطانه، لأنه ضعيف الهمة، فاتر العزيمة، لايريد أن يلزم نفسه بأذكار وأوراد، ولا أن يتأدب بآداب الذاكرين، ولا يحب أن يجهد نفسه في مرضاة ربه، ولا يرغب في أن يلحق بركب السائرين إلى الله.. فهذا لا يهمنا ولا يعنينا منه في شئ.

-وصنف ثالث يدعى المعرفة والعلم، ولكنه يأخذ من العلم ما يوافق هواه، فيتجرأ على الفتوى، مدعيا أن مجالس الذكر لم يرد بها نص شرعى، وأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقيموا حلق الذكر، فهو يقوم بحملة ضارية على الذكر والذاكرين، لابسا ثوب العلماء الذين لديهم علم في كل فن وفرع..!!

هذا الصنف من الناس هو الذى يعنينا،فهؤلاء هم أدعياء العلم والمعرفة وهم مرضى بحب الظهور وحب المخالفة،ولوحاورناهم وأثبتنالهم خطأ اعتقادهم، فإنهم يصرون - بعناد غريب-على اعتقاداتهم التى ليس لها أصل أو سند، فهم آفة الدين في كل زمان ومكان..

ولو رجع هؤلاء إلى الكتاب والسنة، وأخلصوا النية والقصد لله، لوجدوا أن الله قد مدح الذكر والذاكرين في آيات كثيرة، سواء أكان منها الخفى أم الجهرى، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حض على الذكر وبشر أصحابه بحسن العاقبة... يقول الله تعالى في حديث قدسى:

---

(١)سورة الأعراف آية (١٧٩)

أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ [1]،ذكرته فى ملأ خير منه" [2].

وقد اجتمع بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد، جلسوا يذكرون الله تعالى، ولما دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم يذكرون، لم ينههم عن ذلك، بل سعد بذلك وبشرهم بحسن العاقبة وبحب الله لهم..

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه فى موضوع " الذكر والدعاء " فى باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر: عن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: "آ للهِ ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: واللهِ ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما أنى لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تبارك وتعالى يباهى بكم الملائكة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال:

كان عبد الله ابن رواحة اذا لقى الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعال نؤمن بربنا ساعة" ،فقالها ذات يوم لرجل، فغضب الرجل، فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله: ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبى صلى الله عليه وسلم:

"يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة [3]

وقد حدّث ثابت البنانى [4] رضى الله عنه، المتوفى سنة ١٢٣هـ، فقال:

كان سلمان الفارسى رضى الله عنه فى عصابة (جماعة) يذكرون الله عز وجل، فقال: فمر

---

(١)أى فى جماعة من الناس، وهذا رد على من ينكر الذكر فى جماعة أو فى حلق الذكر

(٢)رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه

(٣)رواه الإمام أحمد عن كتاب "الترغيب والترهيب"للإمام الحافظ المنذرى

(٤)كان من سادة التابعين علما"وفضلا"وعبادةونبلا"،كان يسكن البصرة،وكان من خواص الصحابى الجليل سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه والذى عمر طويلا عاش تسعا وتسعين سنة..

النبى صلى الله عليه وسلم فكفوا. فقال: ما كنتم تقولون؟ فقلنا: نذكر الله يا رسول الله، قال: قولوا فإنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشاركك فيها ثم قال: "الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم" [١].

وها هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل رضى الله عنه، والذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل, والذى قال فيه أيضا: "إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان معاذ بن جبل بين أيديهم رتوة بحجر" [٢]
هذا الصحابى الجليل كان يحب الذكر كثيرا لايفتر عنه ولايمل منه، قال مرة:
لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل أحب إلى من أن أحمل على جياد الخيل فى سبيل الله من بكرة حتى الليل وكان يقول لمن معه:" اجلسوا بنا نؤمن[٣] بربنا ساعة"

حدثوا أنه لما حضره الموت، قال وهو يتأسف على انقطاعه عن مجالس الذكر:
"مرحبا بالموت مرحبا، زائر مُغِبٌ [٤]، حبيب جاء على فاقة، اللهم إنى قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها، لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، **ولكن لظمأ الهواجر[٥] ،ومكابدة الساعات [٦]، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.."**
وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه من الذاكرين الله كثيرا، يقول:
"إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثنى عشر ألف مرة وذلك على قدر جهدى" كما حدثوا عنه أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتى يُسبِّح به..
ويكفى الذكر فضلا أن ملك الموت لايستأمر أحدا من العباد فى قبض أرواحهم، إنما

---

(١)حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ
(٢)أى يتقدم عليهم بمقدار رمية حجر
(٣)أى نذكر ربنا
(٤)أى جاء على غير موعد
(٥)أى الصيام فى الصيف فى شدة الحر وطول النهار
(٦)أى المصابرة على قيام الليل وخاصة فى ليل الشتاء

يستأمر الذاكر فى قبض روحه [1]..وذلك لشرفه ومكانته عند الله..

كما روى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل، فإنه يخرج من الدنيا مرتويا..

ولكرامة الذكر عند الله، فإن الله يحفظ الذاكر من أن يناله أذى أو مكروه طوال حياته، بل وخاصة عندما يعم البلاء.. قال أحد العارفين:

الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر

وعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

إذا عاهة من السماء أنزلت صرفت عن عمار المساجد

وقد ضمنت الكتاب عدة أبواب تعين الذاكر على ذكره، حتى إذا ما بدأ الطريق إلى ا لله، فإنه يكون بذلك سائرا على هدى وعلى بصيرة..

فكم من أناس يحبون الذكر، ويتمنون أن يكونوا فى قافلة الذاكرين، ولكنهم لا يعرفون كيف يبدأون.. ولا كيف يصلون إلى ما يريدون..

ولهذا ضمنت هذا الكتاب السبل والطرق التى تساعد المسلم على مراده، فبينت فى أبواب الكتاب "**حقيقة الذكر وفضائله**"، ثم ماهو "**أفضل الذكر**" ثم "**مايعينك على الذكر**" ثم "**مايعطلك عن الذكر**" ثم بينت "**فضل ذاكر الله فى الغافلين..**"

---

(١)يقول صاحب كتاب "صفة الصفوة" (جـ٢) للإمام جمال الدين أبى الفرج ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ أن ولىّ الله خير النسَّاج المتوفى سنة ٣٢٢ هـ كان من العباد الذاكرين والذين كان لا يفتر عن ذكر الله، كانت له كرامة عند موته. فقد أورد أن علّى بن هارون الحربى يحكى عن غير واحد ممن حضر موت خير النسَّاج أنه غشى عليه عند أذان المغرب، ثم أفاق، ونظر إلى ناحية من باب البيت، فقال: قف عافاك الله، فإنما أنت عبدٌ مأمور، وأنا عبد مأمور، ما أُمِرتَ به لايفوتك، وما أُمرتُ به يفوتنى، فدعنى أمضى لما أمرت به (يعنى بذلك ملك الموت)، ودعا بماء وتوضأ لصلاة المغرب، ثم صلّى ركعتين بنيّة الخروج من الدنيا، والقدوم على الله، ثم تمدد ناحية القبلة وغمَّض عينيه وتَشّهد فمات.. رضى الله عنه وأرضاه

كما أفردت بابا نبين فيه للقارئ الكريم أن الذكر والمداومة عليه له ثمرات عاجلة فى الدنيا قبل الآخرة، فجاء بعنوان " **من ثمرات الذكر**" ، ثم حررت بابا له أهميته فى حياة المسلم، فبينت فيه " **عقوبة تارك الذكر**"، وكيف أن المسلم الذى يغفل عن ذكر ربه، تنتظره أهوال وعقوبات نعوذ بالله منها..

وقد أحببت أن أبين فى ختام الكتاب بابا عن "**الشهور المباركة وفضائلها وأذكارها**" وما ينبغى على المسلم أن يقوم به فى كل مناسبة لها المكانة والفضل عند الله، حتى لا يمر عليه وقت من الأوقات دون أن يكون فى معية الذاكرين الذين يحبهم الله ورسوله..

ثم أحببت أن نعين القارئ الكريم بأذكار وأوراد يومية، مستقاة من القرآن والسنة، إذا ما قرأها المسلم فى الصباح والمساء فإن الله يحفظه فى يومه وييسر له أمره، ويلهمه رشده، وحتى يدخل فى قول الله عز وجل:

﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (1)..

ولنقرأ معا فى ختام كلمتنا هذه، ماقاله العارف بالله، الولى الصوفى، ذو النون المصرى، وهو يتغنى بجمال الذكر وفضائله، فيقول:

ماطابت الدنيا إلا بذكره
ولا الآخرة إلا بعفوه
ولا الجنة إلا برؤيته

جعلنا الله من الذاكرين الذين يحيون بذكره، ويلقونه على طاعته ومرضاته، ويؤملون فى عفوه ورضاه.

عثمان الشرقاوى
الروضة - القاهرة

---

(1)سورة الأحزاب آية(35)

• الباب الأول

حقيقة الذكر وفضائله

أعلم يا أخى أن الذكر له من الفضائل مالا يحصى ولا يدخل تحت حصر، والذاكر لله مذكور فى السماء، محفوف برعاية الله، محبوب من ربه. والذاكر له مكانته وقدره عند الله، فلو لم يذكره الله ما ذكر، وذلك من أجل النعم على الذاكر..

وذكر الله تعالى على ضروب ثلاث: ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر الله عندما نهى أو حرمَّ... فذكر القلب، وهو أرفع الأذكار وأجلها، الفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وبديع صنعه وآياته فى سمواته وأرضه [1]... أما ذكر اللسان مجردا، فهو ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أيضا له فضل عظيم... أما ذكرالله عندما نهى أو حرم، فذلك أعظم أنواع الذكر فيتمثل المسلم ماأمر الله به ويترك مانهى عنه واشتبه عليه..

فإذا جمع المسلم بين هذه الضروب من الذكر، فقد حاز الفضل وقرب من الكمال. وقد أكد العلماء والصالحون من عباده أن المريد إذا جمع بين تفكر القلب فى آلاء الله ونعمه وكمال قدرته، وبين ورعه عن الاقتراب من الحرام والشبهات والتوقف عند حدود الله، وبين ذكر الله بالتسابيح وغيرها من الأذكار، فإنه يكون عندئذ قد اقترب من قافلة الأولياء والصديقين والمقربين.

---

(١)قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: دخلت على عائشة رضى الله عنها، فقلت لها أخبرينى بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت، وقالت كل أمره كان عجبا، أتانى فى ليلتى حتى مسَّ جلدى جلده، ثم قال: "ذرينى أتعبد لربى عز وجل"، قالت: فقلت والله إنى لأحب قربك، وإنى أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة فتوضأ لم يكثر صب الماء، ثم قام يصلى فبكى حتى بلَّ لحيته ثم سجد فبكى حتى بلَّ الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، قالت، فقال: يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر. فقال: "ويحك يابلال، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله علّى فى هذه الليلة ﴿إنَّ فى خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهار لآياتٍ لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السمواتِ والأرض ربَّنا ماخلَقتَ هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار..﴾.. ثم قال: " ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها"

ولمّا سُئل مجاهد[1] رضى الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، قال: للذى يذكر الله عز وجل عند المعاصى..

وما وصل الواصلون إلى الله إلا بتحقق تلك الخصال جميعا، فالمريد حقا هو الذى يجمع بين تلك الفضائل، فإذا ما استعمل لسانه وقلبه وجوارحه كلها فى طاعة الله ومرضاته، وتوقف عند المعاصى والحرمات، فقد حاز الفضل والسبق، وبدأ سيره المبارك إلى الله..

وقال عطاء بن رباح المتوفى سنة ١١٥ هـ رضى الله عنه: "مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام .. كيف تشترى وتبيع وتصوم وتصلى وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا"..

ويقول الإمام الحسن البصرى رضى الله عنه:

"الذكر ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل: ماأحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك، ذكر الله سبحانه وتعالى عندما حرَّم الله عز وجل.."

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن" [2]

عن عون بن موسى، قال: حدثنا معاوية بن قرة، قال: كنا عند الحسن البصرى فتذاكرنا أى العمل أفضل؟ فكلهم اتفقوا على قيام الليل، فقلت أنا: **ترك المحارم**، فانتبه لها الحسن، فقال: تم الأمر، تم الأمر..

قال الإمام النووى رضى الله عنه فى كتاب " الأذكار: "

"اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، **بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى**"

ومن هنا، نستطيع القول أنَّ الذكر لاينحصر فى تحريك اللسان، إنما هو أعم من ذلك.. فذكر الله عند الهم بالمعصية، وذكر الله عند الحلال والحرام، وذكر الله عند البيع والشراء والنكاح والطلاق، ذلك كله من أفضل أنواع الذكر.. كما أن ذكر الله عند إماطة الأذى عن

---

(١)هو مجاهد بن جبر المكى المخزومى، الثقة التابعى، المقرئ المفسر، قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، توفى سنة ٩٤ هـ بمكة، وهو ساجد بالحرم.. رضى الله عنه وأرضاه.

(٢)رواه الطبرانى

الطريق، أو تنحية شوك أو عظم عن طريق المسلمين، أو هدايتك الأعمى إلى الطريق، وسعيك بشده مع اللهفان المستغيث، أو قضاء حاجةٍ لمسلم أو حملك بذراعيك عن الضعيف.. كل ذلك طاعة لله ولرسوله وهذا من ركائز الإيمان..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"الإيمان بضع وسبعون شعبة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول: لا إله إلاّ الله" (١)

فكل عبادة تبتغي بها وجه الله ذكر، وكل عمل تبتغي به نفع المسلمين فهو ذكر، ولنقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما روته عنه السيدة عائشة رضى الله عنها، والذى يقول فيه: " خُلِقَ كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبّر الله وحمد الله، وهلّل الله، وسبَّح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق المسلمين، أو شوكة أو عظما عن طريق المسلمين، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمائة، فإنه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار" (٢)

فالمسلم فى حاجة إلى حسنات كثيرة حتى يزحزح نفسه عن النار.. فإذا ذهبت السيئات بالحسنات، وبقيت له حسنة واحدة أدخله الله بها الجنة..

فعن أبى شيبة الهروى، قال: كان معاذ رضى الله عنه يمشى، ورجل معه، فرفع سيدنا معاذ حجرا من الطريق، فقال الرجل: ماهذا ؟ فقال معاذ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من رفع حجرا من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة" (٣)

وما جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التى تحض على استخدام جارحة اللسان فى ذكر الله عز وجل، إلا لأن اللسان أخطر الجوارح على الإطلاق وآثامه كثيرة، فإن لم يشغل المسلم لسانه بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن وغير ذلك من الأذكار، فإنه سوف يطلقه فى أمور كثيرة نهى الإسلام عنها وشدد على اجتنابها أيما تشديد..

---

(١)رواه البخارى ومسلم وغيرهما   (٢)رواه مسلم والنسائى

(٣)رواه الطبرانى ورواته ثقات

وقد قال العارفون المحققون أن الذكر أقرب الطرق الموصلة إلى الله، وهو من علامة الاجتباء، والذكر منشور الولاية والركن الأقوى فى الطريق إلى الله، فمن وفق للذكر، فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل، ولذلك قيل:

الذكر أعظم باب أنت داخله .:. لله فاجعل له الأنفاس حراسا

قال الإمام القشيرى رضى الله عنه فى رسالته القشيرية:

الذكر عنوان الولاية، ومنار الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء فضل الذكر شئ ..

وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشوها عن الذكر، وفضائل الذكر أكثر من أن تُعَدَّ ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى فى كتابه العزيز﴿فاذكرونى أذكركم﴾ [1]، وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، إنْ ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة" لكان فى ذلك كفاية..

ولما سألوا سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه عن تفسير قول الله عز وجل: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾، قال : اذكرونى بطاعتى اذكركم بمعونتى

وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه:

اذكرونى بطاعتى اذكركم بمغفرتى

وقال بعضهم: اذكرونى فى النعمة والرخاء، اذكركم فى الشدة والبلاء. كما حدث مع سيدنا يونس عليه السلام ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون﴾.

وقال بعض العلماء تفسيرا للآية الكريمة:

اذكرونى بخدمتى اذكركم بنعمتى

اذكرونى بالتوحيد اذكركم بالتأييد

اذكرونى بالشكر اذكركم بالمزيد

---

(١)سورة البقرة آية (١٥٢)

اذكرونى بالمحبة	اذكركم بالقربة
اذكرونى بالخوف	اذكركم بالأمان
اذكرونى بالرجاء	اذكركم بتحقيق الآمال

وقد جاء القرآن الكريم يؤكد أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فقال تعالى:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ (١)

قال أبو العالية رضى الله عنه فى قوله تعالى:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾، أن الصلاة فيها ثلاث خصال: فكل صلاة لا يكون فيها شئ من هذه الخلال فليست بصلاة:

الإخلاص والخشية وذكر الله

فالإخلاص يأمر بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله - (القرآن) - يأمره وينهاه(٢)

وقد ذكرت عدة أقوال فى تفسير قوله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾:

أولا: أن ذكر الله أكبر من كل شئ.. فهو أفضل الطاعات، لأن المقصود بالطاعات كلها: إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها..

ثانيا: أنكم أيها المؤمنون إذا ذكرتموه ذكركم.. فكان ذكره لكم أكبرمن ذكركم له (٣)..

ثالثا: ولذكر الله أكبر من أن يبقى مع فاحشة أو منكر. بل إذا تم الذكر محق كل خطيئة أو معصية..

---

(١)سورة العنكبوت آية (٤٥)　　(٢)تفسير ابن كثير حـ ٣

(٣)قال بعض العارفين فى تفسير قول الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾، أن ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله، وهذا غاية الإنعام ومنتهى الفضل والإكرام.. وإلى هذا المعنى أشار ابن عطاء الله فى "الحكم" بقوله:

"أكرمك بالذكر بكرامات ثلاث: جعلك ذاكرا له، ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك، والثانية أن جعلك مذكورا به إذ حقق نسبته إليك، والثالثة أن جعلك مذكورا عنده، فتمم نعمته عليك، فثبت أن له الحمد فى الأولى والآخرة.."، وقال أبو عبد الله النباحى: فى قوله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: أكبر من أن تبلغه أنهامكم، وتحويه أفهامكم، ويجرى على ألسنتكم

رابعا: أن الأعمال الصالحة تختتم بالذكر إذا أريد لها القبـول، فإذا ما انتهت بذكر الله والثناءعليه، فإنها تكون أكبر من أن يدعها الله أو يردها..

فقال عز وجل فى ختم فريضة الصيام:

﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ (١)

وختم به الحج فى قوله تعالى:

﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ (٢)

وختم به الصلاة فى قوله تعالى:

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ (٣)

وقال عند الإنتهاء من صلاة الجمعة:

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (٤)

وهذا يعنى أن العبد إذا ذكر ربه مجردا بتسبيح أو تهليل أو تكبير أو غير ذلك أو ذكره فى صلاته وبيعه وشرائه وفى أمور حياته، أو ذكره عند همه بالمعصية، فإن الله يذكره بذكر أعظم مما ذكره به عبده، فيباهى به ملائكته، وتتنزل عليه الرحمات والهدايه والمغفرة، ويخصه بخصوصية لا تكون إلا لعبد آثر الله على كل شئ، وجعل الله أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله، فكان يوم القيامة من أهل الإصطفاء..

قال ابن عباس رضى الله عنه:

لم يفرض الله فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما ووقتا محددا، ثم عذر أهلها فى حال العذر من مرض وفقر وغير ذلك، إلا الذكر، فإنه لم يجعل له حدا معلوما ينتهى إليه و لم يعذر أحدا فى تركه، إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم بذكره فى الأحوال كلها، فقال تعالى:

﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ (٦)

---

(١)سورة البقرة آية (١٨٥) (٢)سورة البقرة آية (٢٠٠) (٣)سورة النساء آية (١٠٣)

(٤)سورة الجمعة آية (١٠) (٥)سورة آل عمران آية (١٩١) (٦)سورة النساء آية (١٠٣)

وقال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكـروا الله ذكـرا كثـيرا﴾ أى بـالليل والنهـار، فـى الـبر والبحر والسـفر والحضر والغنـى والفقـر والصحـة والسـقم والسـر والعلانيـة، وعلـى كـل حال..

وقال مجـاهد رضى الله عنه: الذكـر الكثير ألا ينسـى العبـد ربـه أبـدا.. وقـال أحـد العارفين: المؤمن يذكر الله كثيرا، لأنه يذكر الله بقلبـه فتسـكن جوارحـه إلى ذكـره، فـلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر، فإذا امتدت يده إلى شئ ذكـر الله، فوقـف عـن السـعى إلا فيما يرضى الله عز وجل، وإذا طمحت عينه إلى شـئ ذكـر الله فغـض بصـره عـن محـارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وبصره وسائر جوارحه، فهذا هو الذكر الكثير..

أما الشيخ أبو الليث السمرقندى رحمه الله، فيقول:

ذكر الله ذكرا كثيرا يعنى اذكروه فى جميع الأحوال، والعبد لايخلو من أربعة أحوال:

إما أن يكون فى الطاعة، أو فى المعصية، أو فى النعمة، أو فى الشدة.

فإن كان فى الطاعة ينبغى أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأله القبول.

وإن كان فى المعصية يدعو الله أن يمتنع عنها ويجنبه إياها ويسأله التوبة.

وإن كان فى النعمة يذكره بالشكر والثناء عليه.

وإن كان فى الشدة يذكره بالصبر والرضا بالقضاء ..

والعبد مطالب أن يكثر من ذكر ربه، ويلهج به، ويستغرق فيه، حتى يظـن النـاس أنـه يرائى بعمله، ولكنه فى الحقيقة لا يبتغى به إلا وجه ربه ورضاه.

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى يقول المنافقون إنكم تراءون .(1)

---

(1)رواه الطبرانى والبيهقى، يقول الشيخ الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ، فى تفسـير هـذا الحديـث، فـى شـرحه لكتابه "تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين"، يقول: ينبغى تفسير ضمير "حتـى يقولـوا" بمـا هو أعم من ذلك.. أى حتى يقول الغافلون عن الذكر، أو حتى يقول الذين لارغبة لهم فى الذكـر، ويدخـل معهـم المنافقون.. ثم يقول: وفى الحديث ذليل على جواز الجهر بالذكر.. ويمكن أن يكون سبب نسـبتهم الجنون للذكـر مايرونه من إدامة الذكر وتحريك شفتيه به واضطراب بدنه من خوف من صار مشـتغلا بذكـره، وهـو الله سـبحانه وتعالى.. فقد يظنون إذا رأوه كذلك أنه من الممسوسين المصابين بطرف من الجنون.. وكثيرا مايُرى من لاشـغل لـه

بل ويريد النبى صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الذكر حتى يقول الناس لقد أصابه جنون. فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال": أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون" (١)

و الحقيقة أن الذاكر الصادق عاشق، والعشق إفراط المحبة، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره، ولذلك أصبح الذاكر والها، منشغلا بمحبوبه، لايفتر عن ذكره والتغنى به، رجاء أن يكون محبوبا، وهذا هو سر الذكر، ولذلك يقال" :ليس السر كونك محبا، بل الشأن أن تكون كائنا محبوبا"، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ (٢) فلم يستلزم حبهم لله حبه لهم، وإنما صيرهم محبوبين عنده اتباعهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهو قدر زائد عن حبهم لله..

فعلم عندئذ أن الذاكر محبوب، لأن الله تعالى جعل اللسان عنوان الجنان، والجوارح الظاهرة عنوان للجوارح الباطنة، فما هتف اللسان إلا بحب الجنان، ولاصدق الجنان إلا بحب الرحمن، عملا بقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام:
القلب بيت الرب لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن، والسر فى السكان لا فى المساكن، وهل يأوى الساكن إلى مسكن غير محبوب!

كان أبو مسلم الخولانى (٣) المتوفى سنة ٨٠ هـ رضى الله عنه ، كثير الذكر، عاشقا والها، فرآه بعض الناس فأنكر حاله، فقال لأصحابه أمجنون صاحبكم؟ فسمعه أبو مسلم، فقال: لا ياأخى هذا دواء الجنون!! ثم أنشد يقول:

وحرمة الود مالى عنكم عوض .:. وليس لى فى سواكم سادتى عوض
ومن حديثى بكم قالوا به مرض .:. فقلت لا زال عنى ذلك المرض

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد

(٢)سورة آل عمران آية (٣١)

(٣)قال صاحب "حلية الأولياء" جـ ٢: كان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا فى مسجد بيته، يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومى، فوالله لأزحفن بك زحفا، حتى يكون الكلل منك لا منى، وكان يقول: أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا، كلاّ والله، والله لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا..

فالذكر قوت قلوب القوم الذى إن فارقها صارت الأجساد لها قبورا.. وهو عمارة ديارهم التى إذا تعطلت عنه صارت بورا وخرابا..

وهو دواء أسقامهم الذى إن فارقهم انتكست منهم القلوب.. وفى ذلك يقول الشاعر الصوفى:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم .·. فنترك الذكر أحيانا فننتكس

وقد صدق الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه عندما قال: "ذكر الله شفاء القلوب"[(١)]

فالمحبون يستوحشون من كل شاغل يشغلهم عن الذكر، فلا شئ أحب إليهم من الخلوة بحبيبهم والأنس بربهم.. قال سيدنا عيسى عليه السلام: يامعشر الحواريين، كلموا الله كثيرا، وكلموا الناس قليلا، قالوا: وكيف نكلم الله كثيرا؟ قال: اخلوا بمناجاته، اخلوا بذكره ودعائه..

فإذا قوى حال المحب ومعرفته، لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل، فهو بين الخلق بجسمه، وقلبه معلق بالمحل الأعلى، كما قال سيدنا علىٌّ فى وصفهم: صحبوا الدنيا بأجساد، أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.. وفى هذا المعنى قيل:

جسمى معى غير أن الروح عندكم ... فالجسم فى غربة والروح فى وطن

وقال أحد العارفين:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ... وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس ... وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ولهذا تفانى العارفون بالله فى ذكر ربهم، ذاهلين عما سواه، هائمين فى حبه، فهم ينزلون محبوبهم المنزلة التى تليق به، فبادلهم الله حبا بحب، فرضى عنهم ورضوا عنه. ففى الأثر الإلهى، يقول الله تعالى": إذا كان الغالب على عبدى ذكرى، أحبنى وأحببته"[(٢)]

---

(١)رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه

(٢)يقول الإمام الغزالى رضى الله عنه فى كتابه "سرُّ العالمين": "واظب على الذكر، تحظى بقرب من ذكرت، ويكشف لك من سر الربوبية ما يغنيك عن ملتمس كل حال: تشاهد الملائكة، ويخدمك مؤمنوا الجن، ويطيعك أعضاؤك، ويزول وقر أذنك، فتسمع تسبيح الجمادات" .. وقد حدث هذا لبعض الصالحين فى عصرنا هذا..

وفى أثر آخر: "فبى فافرحوا، وبذكرى فتنعموا" وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

"ياأيها الناس: إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض، فارتعوا فى رياض الجنة [1] قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، وفى رواية (حلق الذكر)، فاغدوا وروحوا فى ذكر الله، وذكروه أنفسكم، من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه" [2]

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبن عن العدو أن يجاهده، فليكثر ذكر الله [3] ..فإذا لم تستطيع أن تأتى بكل الطاعات, فإن الذكر يجبر ما يحدث من نقص فى طاعاتك أو فى عباداتك , ويسد عنك باب التقصير..

فقد روى الترمذى عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه, أن رجلا" قال: يارسول الله, إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرنى بشىء أتشبث به, قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله..

وليس هناك من عمل ينجى صاحبه من عذاب الله ومن أهوال يوم القيامة من ذكر الله، فإنه يؤمن صاحبه من كل سوء وكرب.. فعن جابر رضى الله عنه، رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ماعمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله، قال: ولا الجهاد فى سبيل الله [4] إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع" [5]

---

(١)قال العلماء: رياض الجنة تطلق على مجالس الذكر ومجالس العلم والصلاة فى المساجد وعلى هذا فإن الجماعة المشتغلين بذكر الله عز وجل، أىّ ذكر كان، والمشتغلين بالعلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة، وما يتوصل به إليهما هم يرتعون فى رياض الجنة.. وقول النبى صلى الله عليه وسلم (حلق الذكر) المراد بالحلقة جماعة من الناس يستديرون كحلقة الباب وغيره..

(٢)رواه ابن أبى الدنيا، وأبو يعلى والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى

(٣)رواه الطبرانى والبزار والبيهقى..

(٤)إذا كان الجهاد فرض عين، فإنه يكون عندئذ أفضل من سائر النوافل، لأن حماية ديار المسلمين والدفاع عنها، من الفرائض الواجبة على كل مسلم، والمتقاعس عنها آثم..

(٥)رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح..

ومن أجلّ نعم الله على الذاكرين، أنَّ الله يضع عنهم أوزارهم وأثقالهم حتى يأتوا يوم القيامة خفافا، فلا يقفون للحساب طويلا..

فعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة، فمَرَّ على جبل يقال له جُمْدَانُ، فقال: سيروا هذا جُمْدَانُ سبق المُفَرِّدُونَ. قالوا: وما المُفَرِّدُونَ يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا. رواه مسلم.. وفى رواية الترمذى: يارسول الله: وما المفردون؟ قال: المُسْتَهتِرُونَ بذكر الله [1] يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافا.

والذاكرون تشملهم مغفرة الله وإحسانه وعفوه، جزاء على جهادهم المبرور، وحبهم لجلال الله، وتفضيل ذكره على ما سواه..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله [2] عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات.."[3].. ويقول عطاء بن رباح رضى الله عنه: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو.

وعن ابن النجار عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم :

"إن لله عز وجل سيارة من الملائكة يتتبعون حلق الذكر، فإذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض: اقعدوا، فإذا دعى القوم أمنوا على دعائهم، فإذا صلوا على النبى صلى الله عليه وسلم صلوا معهم حتى يفرغوا، ثم يقول بعضهم لبعض: طوبى لهم لا يرجعون إلا مغفورا لهم" [4]..

---

(١)المفردون والمستهترون: هم المولعون بالذكر، المداومون عليه، لايُبَالون ماقيل فيهم ولا مافُعِل بهم

(٢)يجمل بالذاكر أن يكون على أكمل الآداب، وأحسن الهيئات، ظاهرا و باطنا، وأن يكون على طهارة ونظافة تامة،مستقبلا" للقبلة، فإن ذلك أفضل. فقد ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه،قال، قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا يومئذ ابن ثمانى سنين, فقال لى:يابنى إن استطعت أن لا تزال على الطهارة فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة (أى منزلة الشهداء)

(٣)رواه الإمام أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح، وأبو يعلى والبزار والطبرانى والبيهقى

(٤)جامع الأحاديث (جـ ٣)

ولو علم الناس ما فى فضل مجالس الذكر من خير، لأفنوا أعمارهم فى الجلوس إليها، ولأقاموها فى كل وقت وحين، وذلك لما أعده الله لهم من فضل ومغفرة وإحسان وإجابة دعاء. ومن بركة تلك المجالس أن الله يغفر ويشمل برحمته وإحسانه كل من مر بهم فجلس معهم حتى ولو لم يقصد مشاركتهم فى الذكر..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء[1] يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: فما يسألونى؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتى؟ قالوا: لا يارب. قال: وكيف لو رأوا جنتى؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونى؟ قالوا: من نارك يارب. قال: وهل رأوا نارى؟ قالوا: لا يارب، قال: فكيف لو رأوا نارى؟ قالوا: ويستغفرونك، قال، فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء[2] إنما مر فجلس معهم! قال، فيقول: وله غفرت، **هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم**"[3].

ويصل الذكر بصاحبه إلى أعلى المراتب، عندما يجعله الله هو الميزان المرجح فى سباق الأعمال. فالمصلون والصائمون والمزكون والحجاج ربما يقتربون فى الفضل والثواب، ماعدا المداومين على الذكر منهم، فإن الله يفضل بعضهم على بعض، بأكثرهم لله ذكرا..

روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله، فقال: أى المجاهدين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا, قال: فأى الصالحين أعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا, ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة, كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا

---

(١)أى عددهم وفير وفى كثرة، يبحثون عن الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، يدعون لهم ويستغفرون لهم..

(٢)خطاء أى كثير الذنوب

(٣)رواه البخارى ومسلم.. قال ابن شاهين: "هذا الحديث من أحسن الاحاديث فى الذكر وأصحه سنداً..

فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما: ياأبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال صلى الله عليه وسلم: أجل. (١)

ولهذا، نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن أفضل شئ يلقى الله بـه العبد ربه قال: ذكر الله..

فعن أم أنس رضى الله عنها، أنها قالت: "يارسول الله أوصنى، قال: اهجرى المعاصى، فإنها أفضل الهجرة، وحافظى على الفرائض، فإنها أفضل الجهاد، وأكثرى من ذكر الله، فإنك لا تأتين الله بشئ أحب إليه من كثرة ذكره.." (٢)

كما أن الذكر ينجى صاحبه من هول العبور على الصراط..

أوحى الله إلى سيدنا داود عليه السلام: إن أسرع الناس مرورا على الصراط الذين يرضون بحكمى وألسنتهم رطبة من ذكرى..

ولهذا، فإن المسلم سوف يتحسر كثيرا على وقت مر عليه دون أن يذكر الله تعالى فيه، لما يراه من النعيم الذى أعده الله للذاكرين..

فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها .. (٣)

والشقى حقا، هو الذى يحرم نفسه من ذكر الله بقلبه ولسانه، ومن لا ينتفع بموعظة..!

عن وهب، قال: قال موسى عليه السلام:

"إلهى ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى، أظله يوم القيامة بظل عرشى وأجعله فى كنفى، قال يارب: أى عبادك أشقى؟ قال: من لا تنفعه موعظة ولا يذكرنى إذا خلا ..

والذكر من أجلّ الأشياء التى يحفظها الله للعبد إذا لقيه يوم القيامة.

فعن النعمان بن بشير، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١)رواه الإمام أحمد والطبرانى (٢)رواه الطبرانى

(٣) رواه الطبرانى، والبيهقى. يقول بعضهم فى تفسير هذا الحديث: قوله أى قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه "ليس يتحسر أهل الجنة" أى إذا رأوا ما أعد الله لعباده الذاكرين له من الأجر الوفير على الذكر كان ذلك حسرة فى قلوب التاركين له.. وفى كونهم لايتحسرون إلا على هذه الخصلة أعظم دليل على أنها عند الله بمكان عظيم، وأن أجرها فوق كل أجر..

إن الذين يذكرو الله، من جلال الله من تسبيحه وتهليله وتكبيره وتحميده، يتعاطفن[١] حول العرش، لهن دوى كدوى النحل، يذكرن بصاحبهن، أولا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شئ يُذكر به ..

واجتماع المسلمين فى المسجد، دون معرفة بينهم، سوى إخوة الإسلام، من أجل ذكر الله وتحميده وتهليله وتكبيره والثناء عليه، لمن أجل القربات إلى الله عز وجل، يصلون بذكرهم لله إلى درجة القرب من الله، حتى أن الأنبياء والشهداء يغبطونهم على ماهم فيه من نعيم ونور وقرب..

عن عمرو بن عنبسة رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين: رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء، بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل. قيل يارسول الله من هم؟ قال: هم جُمَّاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه..[٢]

وعن رجل من التابعين رضى الله عنه، قال:

إن لكل شئ زينة، وإن زينة المساجد المتعاونون على ذكر الله

وقد صدق مالك بن دينار رضى الله عنه، عندما قال:

ماتنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل

وقال أحد العارفين: من لم يتنعم بذكره فى الدنيا، لم يتنعم برؤيته فى الآخرة..

ولهذا لايحس بهذا النعيم، نعيم الذكر والتلذذ به إلا من دخل فيه وعايشه وآثره على غيره، فإن العارفين بالله، الذاكرين لربهم، هم الذين يحسون بهذا النعيم، وكفى به نعيما

قال أحدهم :

مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وماذاقوا أطيب شئ فيها! قالوا: وماهو، قال: محبة الله تعالى والأنس به، ومعرفته وذكره والإقبال عليه..

وقد سُمِعَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه، وهو يقول:

---

(١)يملن حول العرش (٢)رواه الطبرانى

إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها، لا يدخل جنة الآخرة، قيل له: وما جنة الدنيا؟ قال: مجالس الذكر[1]..

ولنقرأ معا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذى يرويه عنه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قلت يارسول الله: ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنة..[2]

وسوف يعرف الواقفون أمام الله يوم الحساب، عظمة منزلة أهل الذكر، وتميزهم عن سائر الناس.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم؟ فقيل: ومن أهل الكرم يارسول الله، قال: أهل مجالس الذكر [3]

وذكر الله عون لك وقوة عند مواجهه أعداء الله.. فهو حصن الله الحصين، من دخله أمن.. ومادمت فى حصن الله فلا تخشى سطوة أحد أو جبروته أو انتقامه. فإذا ماأردت أن تنجح فى أمرك أو مقصدك، إذا ماواجهت ظالما أو جبارا أو طاغية، فعليك بالإكثار من ذكر الله، طالبا منه العون والمدد والقوة، والإستعانة على ذلك بالتسبيح والتهليل والإستغفار والدعاء والصدقة وغير ذلك.. فإن ذلك يمدك بمدد من عنده ويمنحك القوة والأمن، فتصل إلى غايتك دون أن يمسك أذى أو انتقام، يقول الله تعالى فى حديث قدسى:
إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه [4]
ولذلك أمر الله سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، عندما أرسلهما إلى فرعون، أن لا يفترا عن ذكره، وأن يكونا كثيرى الذكر فى حال مواجهه فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسرا له فقال تعالى: ﴿اذهب انت وأخوك بآياتى **ولا تنيا فىذكرى**. اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى.

---

(١)مدراج السالكين لابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ (٢)رواه الإمام أحمد
(٣)رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان والبيهقى
(٤)يعنى عند القتال، الحديث أخرجه ابن سعد والترمذى والطبرانى فى الكبير والبيهقى

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى. قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى﴾ (١)

روى أبو نعيم عن الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد، قال:

دخلت على هارون الرشيد وبين يديه سيوف وأنواع من العذاب، فقال لى علّى بهذا الحجازى، يعنى الشافعى، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل، فأتيت الشافعى فقلت له: أجب أمير المؤمنين، فقال لى: فى مثل هذا الوقت من الليل وبغير إذن، قلت: نعم بذلك أُمرتُ، فقال لى: ولِمَ؟ قلت: يبدو أن مقالة عنك بلغت أمير المؤمنين، ثم قال لى: أصلى ركعتين، قلت: صلِّ. ثم جاء إلى الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الأول حرَّك الشافعى شفتيه، فلما دخلنا الدهليز الثانى، حرَّك الشافعى شفتيه، فلما وصلنا حضرة الرشيد قام إليه وأجلسه موضعه، وخاصَّةُ الرشيد ينظرون إلى ما أعَّد له من أنواع العذاب والقتل، ثم لم يلبث أن أذن له بالانصراف، فتعجبت من هذا التحوّل، وقال لى: يا فضل احمل بين يديه بِدْرة دراهم تقدر بعشرة آلاف درهم فحملت، فلما صرنا إلى الدهليز قلت: سألتك بالذى صيّر غضبه عليك رضا إلا ما عرَّفتنى ما قلت فى وجه أمير المؤمنين حتى رضى.. قال: قلت دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة الأحزاب: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (٢) اللهم إنى أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وعظمة جلالك من كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن. اللهم أنت غياثى فبك أغوث، وأنت عياذى فيك أعوذ، وأنت ملاذى فيك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة.. أجرنى من خزيك وعقوبتك واحفظنى فى ليلى ونهارى ونومى وقرارى، لا إله إلا أنت، تعظيما لوجهك وتكريما لسبُحات عرشك، فاصرف عنى شر عبادك، واجعلنى فى حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعُدْ علىَّ منك بخير يا أرحم الراحمين..

قال الفضل: فكتبتها وجعلتها فى جيبى، وكان الرشيد كثير الغضب علىَّ، فصرت كلما همَّ أن يغضب حركتها فى وجهه فيرضى" (٣)..

---

(١)سورة طه الآيات (٤٢-٤٦) (٢)سورة آل عمران آية (١٨)

(٣)من كتاب "الاستغاثة الكبرى" للشيخ الولى يوسف بن اسماعيل النبهانى رضى الله عنه

وهكذا نجّى الله الإمام الشافعى ببركة استغاثته بربه، وترديده لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثور عنه فى غزوة الأحزاب والذى ما قرأه مسلم فى وقت الشدة إلاّ فرَّج الله عنه...

يقول ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فى كتابه "الحكم:"

من كان يكثر من ذكر الله تعالى لم يقطع عنه لطفه أبدا، ولا يكله إلى غيره

جعلنا الله من الذاكرين الذين ينعمون بذكره، والذين يشملهم بلطفه وبره ورحمته وإحسانه..

● الباب الثانى

أفضل الذكر لا إله إلا الله

لا إله إلا الله هى كلمة التوحيد، وهى كلمة الإخلاص، وهى كلمة التقوى، وهى الكلمة الطيبة، وهى دعوة الحق، وهى العروة الوثقى، وهى ثمن الجنة.

وهى الكلمة التى تحرم صاحبها على النار، وهى الحصن الحصين من عذاب الله..

وهى المؤنسة لصاحبها فى القبر وتمنع عنه وحشته وظلمته وعذابه.

وهى كنز من كنوز الجنة، فهى من الباقيات والصالحات.(١)

وهى التى تبعث صاحبها يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر.

وهى التى تسبب رضاء الله عن قائلها وتبيحه النظر إلى وجهه الكريم.

وهى التى تجعل صاحبها من أسعد الناس بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

وهى أول مفتاح لباب الولاية والعناية والأنوار..(٢)

وقولها لا يترك ذنبا، ولا يشبهها عمل.. وليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه.

يقول أحد العارفين (٣) فى شرح معناها وفضلها:

---

(١)عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن الباقيات الصالحات، وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها، وهى كنز من كنور الجنة" رواه الطبرانى وابن ماجة..

(٢)يقول سيدى صالح محمد الجعفرى رضى الله عنه: " إن المسلم إذا أكثر من ذكر لا إله إلا الله، مإنه يجد لها أثرا، لأن لها نور وشعاع، فإنها تنقل نفس صاحبها من نفس أمَّارة إلى نفس لوَّامة، والأمَّارة هى النفس المظلمة، واللوَّامة هى النفس المضيئة التى ذهب ظلامها وتنورت بالإكثار من ذكر لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوَّامة﴾ سورة القيامة

(٣)العارف بالله الشيخ أحمد زينى دحلان رضى الله عنه فى كتابه القيِّم: تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة ا لله والرسول"

" لا إله إلا الله هى الكلمة المترجمة عن التوحيد، وهى أول مقام الإسلام ووسطه وغايته، فهى قاعدة الإسلام والإيمان والإحسان، وعليها وضعت الملة والقبلة، وهى الجامعة لمعانى التوحيد الكلى، وبها جاء كل رسول، وكل كتاب، وهى المخلصة من الهلاك الأبدى والعذاب السرمدى، وكل مقام لا يقوم بها فهو باطل، وكل عمل من أعمال البر لا يقبل إلا بها. ومعناها إفراد الذات قدما أزليا وأبديا، ويشرح معناها ﴿قل هو الله أحد﴾ والأحد لنفى ما يذكر معه من العدد، والله هو الأسم الأعظم، وجميع الأسماء شارحة له.

فمن قال" لا إله إلا الله" ومعناها نفى الشرك وهو توحيد العامة.

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لاحىَّ على الحقيقة إلا الله

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لا موجود على الحقيقة إلا الله

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لا فاعل على الحقيقة إلا الله

ومن قائل لا إله إلا الله ومعناها لاموجود فى الدنيا والآخرة إلا الله

وكل على قدر ذوقه ومعرفته..

يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:

ينادى مناد من تحت العرش، أيتها الجنة وما فيك من النعيم لمن أنت؟

فتقول: لأهل لا إله إلا الله.. وأنا محرمة على من لم يقل لا إله إلا الله..

ثم تقول النار:

لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله إلا الله

ولا أطلب إلا من كذّب بلا إله إلا الله

وأنا محرمة على من قال لا إله إلا الله

ثم تقول مغفرة الله ورحمته: أنا لأهل لا إله إلا الله..

وناصرة لمن قال لا إله إلا الله..

ومحبة لمن قال لا إله إلا الله

والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله

والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله..

كما أن كلمة لا إله إلا الله هى الفاتحة الخاتمة: أما كونها فاتحة فلقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأما كونها خاتمة فلأنها خاتمة العمل عند الموت، ومن ختم له بها كان سعيدا.. وفى الحديث: من كان آخر كلامه عند الموت لا إله إلا الله وحده لاشريك له، هدَّتْ ماكان قبلها من الخطايا والذنوب (١)

قال العلماء فى تفسير قول الله تعالى:

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾ (٢)

الكلمة الطيبة هى لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هى النخلة، فإنها طيبة الثمر، أصلها ثابت أى فى الأرض، وفرعها أعلاها فى السماء.. كذلك أصل هذه الكلمة راسخ فى قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، فإذا تكلم بها عرجت فلا تحجب حتى تنتهى إلى الله، قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، وقال: ﴿تؤتى أكلها﴾ أى تعطى ثمرها كل حين بإذن ربها..

وجاء فى قول الله عز وجل:

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ (٣)

القول الثابت هى كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله فى الحياة الدنيا أى قبل الموت, وفى الآخرة أى فى القبر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سئل المسلم فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ وقوله: ويضل الله الظالمين أى لايهدى المشركين إلى النطق بها فى القبر..

ومن هنا، نستطيع القول أن أفضل الذكر وأنفعه وأعظمه قول لا إله إلا الله.

كما أن الإكثار من قولها يدفع عن صاحبها الهم والبلاء والحزن، فى الدنيا قبل الآخرة ..

---

(١)رواه أبو يعلى عن ابن عمر

(٢)سورة ابراهيم آية (٢٤)

(٣)سورة ابراهيم آية (٢٧)

عن ابن عباس رضى ا لله عنهما أن رسول ا لله صلى الله عليه وسلم قال: إن صدقة السر تطفىء غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد فى العمر، وإن صنائع المعروف تقى مصارع السوء، **وإن قول (لا إله إلا الله) تدفع عن قائلها تسعة وتسعين بابا من البلاء أدناها الهم ..** [1]

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله [2]. كما أنها سبب لتحريم صاحبها على النار.. عن عمرو رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا ا لله[3].. وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه سلم أن نكثر منها فى حياتنا قبل أن يحال بيننا وبينها. فعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها" [4]

وإذا قال العبد هذه الكلمة وأكثر منها فى ليله ونهاره، فإن الله يمحو بفضلها ما فى صحيفته من سيئات، ويبدلها بحسنات تسكن إلى جوار مثيلاتها، فتزداد صحيفته نورا..

عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مامن عبد قال: لا إله إلا الله فى ساعة من ليل أونهار إلا طمست ما فى الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات [5]

كما أن هذه الكلمة التى تعبر عن الوحدانية ونفى الشرك، تنفع صاحبها عندما ينزل إلى قبره الموحش، فإذا كان من أهل لا إله إلا الله قولا وعملا وصدقا وإخلاصا ويقينا وسلوكا، فإن الله يؤمنه من وحشة القبر، بل ويؤنسه بالروح والريحان والنعيم الأبدى.

فعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم، ولا منشرهم، وكأنى أنظر إلى أهل لا إله إلا ا لله، وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن"[6]

فإذا كانت هذه الكلمة الربانية، تجعل قبر صاحبها روضة من رياض الجنة، فهى مما لا شك تكون من أعظم مفاتيح الجنة.

---

(١)رواه ابن عساكر

(٢) رواه ابن ماجة والنسائى وابن حيان والحاكم

(٣) رواه الحاكم

(٤) رواه أبو يعلى

(٥) رواه أبو يعلى

(٦)رواه الطبرانى والبيهقى

فقد روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله" [١]

وأخرج الديلمى عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: قربوا أهل لا إله إلا الله من ظل عرشى فإنى أحبهم..

وقد يحدث للعبد أن يعتريه نقص فى إيمانه، والإيمان يزيد وينقص، ويعلو قلبه شئ من الظلمة، بل وربما يحس أنه فى حالة ضياع وبعد عن الله، فعليه عندئذ أن يعود سريعا إلى ربه ويكثر من قول الكلمة الطيبة، فإنها تجدد إيمانه، وتجمع قلبه على ربه، وتزيل الظلمة التى رانت عليه، فيعود كأنقى مايكون..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"جددوا إيمانكم. قيل يارسول الله: وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول: **لا إله إلا الله**.." [٢]

ولقد بعث الله جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليبشروا بهذه الكلمة، التى إن قالها العبد، مؤمنا بها، أصبح من أهل الجنة، بعيدا من النار..

وكم لاقى الأنبياء فى سبيلها، وكم تحملوا من المشاق والأهوال، بغيه أن يؤمن الناس بإله واحد لاشريك له، لاضد له، متفرد بالجلال والقيومية. فجميع الأديان من لدن سيدنا آدم إلى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو إلى توحيد الله، وتنزيه الله، وألا معبود إلا الله..

يقول النبى صلى الله عليه وسلم:
أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ألا أخبركم بوصية نوح ابنه؟ قالوا: بلى، قال: أوصى نوح ابنه، فقال لابنه: يابنى إنى أوصيك بقول لا إله إلا الله، فإنها لو وُضعت فى كفَّةٍ، وَوُضعت السموات والأرض فى كفّة لرجحت بهن، ولو كانت حَلْقَةً لقصمَتهُن [٣]، حتى تخلص إلى الله.." [٤]

---

(١) رواه الإمام أحمد والبزّار (٢)رواه الأمام أحمد والطبرانى.كان بعض الصالحين يقرأ هذه الكلمة أى (لا إله إلا الله).كل يوم ألف مرة, ويقرأها عشرة آلاف مرة كل يوم جمعه..وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..
(٣)أىّ لكسرتهن وقطعتهن (٤)رواه البزّار والنسائى

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال سيدنا موسى عليه السلام: يارب علمنى شيئا أذكرك به، وأدعوك به، قال قل: لا إلـه إلا الله. قال: يارب كل عبادك يقول هذا! قال قل: لا إله إلا الله. قال إنما أريد شيئا تخصنى بـه! قال: ياموسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة، ولا إلـه إلا الله فى كفة، لرجحت بهم لا إله إلا الله..(1)

ولما كانت هذه الكلمة الطيبة هى مفتاح الإسلام وخاتمته، وأن من مات عليها، مقرا لله بالوحدانية، فإنه يسعد برضاء الله عليه، كما يسعد بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قلت يارسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث قبلك لما رأيت حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه.." (2)

قد يظن بعض الناس أن التلفظ بكلمة لا إله إلا الله كافية لدخول الجنة والنجاة من النار، وهذا غير صحيح، فمن قالها بحقها، كان من أهل الجنة.. وما حقها؟ أداء الفرائض، واجتناب الكبائر، وطاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى كل ماأتى به.. فمن لم يؤد تلك الحقوق، لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار غير مخلد فيها..

روى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة. قيل: ماإخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله" (3)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماقال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصا، إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر.." (4)

ولذلك قال بعض العارفين فى تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(1)رواه النسائى والحاكم
(2)رواه البخارى
(3)رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير
(4)رواه الترمذى

''مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله''، قال: إن المفتاح لابد له من أسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه: لسان ذاكر طاهر من الكذب الغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة، وجوارح مشغولة بالخدمة، نقية من المعاصى والآثام..

قال عطاء بن رباح، سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله تعالى:

﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لاإله إلا هو إليه المصير﴾ (١)

فقال:''غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله. وقابل التوب لمن قال لا إله إلا الله ذى الطول لمن قال لا إله إلا الله. شديد العقاب على من لم يقل لا إله إلا الله وقوله: لا إله إلا هو إليه المصير مصير من قال لا إله إلا الله إلى الجنة. ومصير من لم يقل لا إله إلا الله إلى النار

وقد وجد الصالحون والصالحات من عباد الله فضل الكلمة الطيبة عندما وضعوا فى قبورهم. قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله: قيل لعابدة من العابدات تسمى زبيدة، بعد وفاتها ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لى بأربع كلمات كنت أداوم على الذكر بها:

لاإله إلا الله أفنى بها عمرى
لاإله إلا الله أدخل بها قبرى
لاإله إلا الله أخلو بها وحدى
لاإله إلا الله ألقى بها ربى

وقد مر الإمام علىّ رضى الله عنه على مقبرة، فقال: ''السلام عليكم ياأهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم لا إله إلا الله؟ فسمع صوتا ولم ير صاحبه: وجدناها المنجية من كل هلكة..''(٢)

---

(١) سورة غافر آية (٢)

(٢)روى الديلمى والرافعى وابن النجار عن علىّ كرم الله وجهه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من قال إذا مر بالمقابر: السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم قول لا إله إلا الله؟ يا لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، اغفر لمن قال لا إله إلا الله، واحشرنا فى زمرة من قال لا إله إلا الله، غفر له ذنوب خمسين سنة، قيل يا رسول الله: من لم يكن له ذنوب خمسين سنة؟ قال: لوالديه وقرابته ولعامة المسلمين..

وأفضل الذكر ما كان تلقينا [1] عن طريق شيخ مرشد مأذونٌ له، مشهود له بالصلاح والتقوى وبالقدم الراسخ مع الله.. فإن الشيخ إذا لقن المريد كلمة التوحيد، فإنه يكون بذلك قد أوصل إليه نورا من نور النبوة، هذا القبس من النور يعين الذاكر على ذكره وعلى السير الصالح فى قافلة الذاكرين.. وهذا الشيخ المأذون له لم يصله ذلك القبس إلا عن طريق شيخ سبقه فى الطريق، وهذا الأخير تلقى ممن سبقه، وهكذا.. وكُلٌّ أخذ من شيخ له، حتى وصل الأخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ولأهمية هذا التلقين، فقد لقن النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه جماعة وأفرادا، فأما تلقينهم جماعة، فقد قال شداد بن أوس رضى الله عنه: كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: هل فيكم غريب؟ يعنى من أهل الكتاب، قلنا: لا يارسول الله، فأمر بغلق الباب، فقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال: الحمد لله اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة، وإنك لاتخلف الميعاد، ثم قال صلى الله عليه وسلم: ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم.."[2]

وأما تلقينه صلى الله عليه وسلم لأصحابه فرادى، فروى سيدى الشيخ يوسف الكورانى العجمى رضى الله عنه بسنده الصحيح أن عليا رضى عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: "يارسول الله: دلنى على أقرب الطرق إلى الله تعالى، وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى، فقال صلى الله عليه وسلم: أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يا علىّ لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله، فقال على رضى الله عنه:

---

(1)قال مشايخ الطريق أن الذكر فى الأغلب لا يفيد إلا بالتلقين، بل جعله بعضهم شرطا فيه.. وقالوا لكى يرقى الذاكر ويأخذ حظه من الدرجات لابد له من ترك المعاصى كلها، والمحافظة على الفرائض والواجبات، وما تيسر من المندوبات، وذكر الجلالة الشريفة أىّ (لا إله إلا الله) ما أمكن وقدر عليه، وأقل ذلك ألف مرة فى كل يوم، وكذلك الاستغفار مائة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكن، وأقل ذلك مائة.. وليس ذلك بكثير على من يريد الوصول إلى الله..

(2)رواه الإمام أحمد والطبرانى وغيرهما.

كيف ذلك يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات، ثم قل انت ثلاث مرات وأنا أسمع، فقال صلى الله عليه وسلم: **لا إله إلا الله** ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته، وعليٌّ يسمع، ثم ردد عليٌّ كرم الله وجهه الكلمة الطيبة، كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع..

ثم لقن سيدنا على ولديه الحسن والحسين رضى الله عنهما، وهما لقنا أولادهما، وهم لقنوا من جاء بعدهم، وظل هذا التلقين من جيل إلى جيل حتى وقتنا هذا، ونرجو الله أن يستمر إلى يوم القيامة..

فضل الذكر بلفظ الجلالة (ألله)

لفظة الجلالة (ألله) هو اسم الجلالة والعظمة والهيبة، ويقال إنه اسم الذات، هذا الأسم الشريف اسم موضوع للذات الإلهية بإعتبار اتصافها لجميع صفات الألوهية وأسماء الربوبية والجلال والجمال والكمال.

وعند بعض العارفين هو اسم موضوع للذات البحت من حيث هى، لا باعتبار الإتصاف بشئ لقوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾، وبهذا الوضع كان أعلى من اسم الأحد ومن سائر الأسماء الإلهية.

فاسم الجلالة هو اسم الذات، وجميع الأسماء والصفات والكمال مندرجة تحته، وهو الأسم الأعظم عند الإمام أبى حنيفة وعند العارفين من أهل الطريقة..

وإن لكل نبى من الأنبياء اسما مخصوصا تجلى الله عليه، ولنبينا صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الشريف وبه تجلى الله عليه، فلذا كانت رتبة نبينا عليه الصلاة والسلام أعلى من جميع رتب الأنبياء عليهم السلام، كما كانت رتبة هذا الاسم الشريف أعلى من رتب سائر الأسماء الإلهيه..

يقول الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى (٦٣٨هـ) فى كتابه " الفتوحات المكية" (١) رجح أهل الله ذكر لفظة " ألله ألله " وكذلك لفظة " هو " على الأذكار، لأنهم يعلمون أن المسمى بهذا الاسم أو هذا الضمير " هو " هو من لا تقيده الأكوان ومن له الوجود التام. فإنه ذكر غير مقيد، فإذا قيده بلا إله إلا الله لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلاله، وإذا قيده بسبحان الله لم يتمكن له أن يحضر إلا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح، وكذلك الله أكبر والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا بالله. وكل ذكر مقيد لاينتج إلا ماتقيد به لا يمكن أن يجنى منه ثمرة عامة، فإن حالة الذكر تقيده، وقد عرفنا الله أنه ما يعطيه إلا بحسب حاله فى قوله: "إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه"، فلهذا رجحت الطائفة

---

(١)الجزء الثانى صـ ٢٢٨

ذكر لفظة "ألله" وحدها أو ضميرها "هو" من غير تقييد. فما قصدوا لفظة دون استحضار ما يستحقه المسمى، وبهذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عام لجميع الفضائل اللائقة به، تكون فى مقابلة ذكر العبد ربه بالاسم "ألله".

فالذكر من العبد باستحضار، والذكر من الحق بحضور، لأننا مشهودون له معلومون، وهو لنا معلوم لا مشهود، فلهذا كان لنا الاستحضار وله الحضور.

فالعلماء يستحضرونه فى القوة الذاكرة، والعامة تستحضره فى القوة المتخيلة، ومن عباد الله العلماء بالله من يستحضره فى القوتين، يستحضره فى القوة الذاكرة عقلا وشرعا، وفى القوة المتخيلة شرعا وكشفا، وهذا أتم الذكر لأنه ذكره بكله، ومن ذلك الباب يكون ذكر الله له .. ثم إن الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر، وماأمر بالكثرة من شئ إلا من الذكر

ثم قال رضى الله عنه:

"وماذكر الله الذكر فى القرآن إلا بالاسم "ألله" خاصة معرىً عن التقييد، فقال تعالى: ﴿اذكروا الله﴾ وما قال بكذا، وقال:﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾، وقال:﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾، وقال﴿ولذكر الله أكبر﴾ و لم يقل بكذا، وقال:﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ و لم يقل بكذا، وقال: ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ و لم يقل بكذا، وقال:﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾.."(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: لاتقوم الساعة حتى لايبقى على وجه الأرض من يقول "الله ألله"، فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ. لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها، فإذا لم يبق فى الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول وتخرب..

---

(١)فى قول سيدنا محيى الدين رضى الله عنه فى تفسير قوله عز وجل ﴿اذكروا الله﴾ وما قال بكذا، أن الله عندما أمر عباده أن يذكروه، جعل الذكر مطلقا غير مقيد، بمعنى أن الله لم يقل اذكروا الله الرحيم، الودود، العفو، الشكور، القابض، الباسط... إلى غير ذلك من أسماء الله الحسنى.. فذكر الله مطلقا غير مقيد بلفظ الجلالة "ألله" يدخل تحتها كل صفات الله عز وجل من رحمة وبرٍّ ومغفرة وعلم وقهر وجبروت، إلى غير ذلك من الصفات.. فهذا فى رأيه أتم وأكمل الذكر..

ومن هنا نستطيع القول أن للعارفين وأهل الطريق اجتهاداتهم وفتوحاتهم فى الذكر، فذهب قوم من الصوفية إلى أن ذكر الجلالة ألله ألله أفضل، كما بينا فى هذا الباب، وخاصة للمبتدئ. وذهب جمهور الصوفية والمحدثين والفقهاء إلى أن لا إله إلا الله أفضل للمبتدئ والمنتهى ..وذهب قوم إلى أن لا إله إلا الله ذكر المبتدئ وقول ألله ألله فقط ذكر المنتهى..
ولكُلٍّ سنده وطريقته..

وكان بعض العارفين لايذكر إلا بقول: ألله ألله، فسئل عن ذلك، فقال: أخاف أن تفاجئنى المنية (الموت) على كلمة الجحد وهى لا إله قبل أن أنطق بكلمة التوحيد وهى "إلا الله"

وقال الجريرى رضى الله عنه:
"كان بين أصحابنا رجل كثير الذكر، ويكثر من قول ألله ألله، فوقع يوما على رأسه جذع شجرة، فانشج رأسه وسقط الدم، فاكتتب على الأرض " ألله ألله"[1]

ويقول أحد العارفين: إنما اختار أهل المعرفة ذكر ألله ألله ألله فقط دون لا إله إلا الله لوحشتهم من توهم ثبوت الإلهية حتى ينفونها.

قال سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه:
اسم الله الأعظم هو الله، وإنما يُستجاب لك إذا قلت الله وليس فى قلبك غيره.. هذه كلمة تزيل الهم، هذه كلمة تكشف الغم، هذه كلمة تبطل السُّم، هذه كلمة نورها يعم.. الله يغلب كل غالب، الله مظهر العجائب، الله سبحانه رفيع، الله جنابه رفيع، الله مطّلع على العباد رقيب، الله قاهر الجبابرة، الله قاصم الأكاسرة، الله عالم السر والعلانية، الله لا تخفى عليه خافية، من كان لله كان فى حفظ الله، من أحب الله لايرى غير الله، من سلك طريق الله وصل إلى الله، ومن وصل إلى الله عاش فى كنف الله، ومن اشتاق إلى الله أنس بالله، ومن ترك الأغيار صفا وقته مع الله..

قال السادة الصوفية رضى الله عنهم وأرضاهم: إن النفس لها عقبات سبعة، لايصل أحدٌ إلى المقامات العلا إلا بقطعها وهى الصفات السبعة للنفس.. وهى بالترتيب: الأمّارة، واللوّامة،

---

(١)الرسالة القشيرية صـ ١٧٦

والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، والكاملة (وكلها ذكرت بالقرآن الكريم) [1] ..
وتقطع تلك العقبات بالأذكار السبعة وهى (لا إله إلا الله) وذلك للنفس (الأمّارة) وسميت بذلك لأنها تأمر صاحبها بالسوء، فإذا ماالتزم المريد بالعدد الذى يحدده له شيخه وانشغل به ليلا ونهارا، فإنه يقهر بذلك نفسه الأمّاره..

والذكر الثانى (ألله) وهو للنفس (اللوّامة) سميت بهذا لأنها تلوم صاحبها بعد وقوعه فى معصية أو ذنب.

والذكر الثالث (هُو) وهو للنفس (الملهمة) لأنها تلهم صاحبها فعل الخيرات..

والذكر الرابع (حىٌّ) وهو للنفس (المطمئنة) سميت به لأنها اطمأنت وسكنت من اضطرابها وسلّمت للأقدار

والذكر الخامس (قيُّوم) وهو للنفس (الراضية) سميت بهذا لكونها رضيت من الله بكل حال.

والذكر السادس (رحمن) وهو للنفس (المرضية) سميت بهذا لكونها صارت مرضية عند الحق والخلق.

والذكر السابع (رحيم) وهو للنفس(الكاملة) سميت بهذا لكونها كملت أوصافها وصارت رحيمة لجميع الخلق، فتحب للكافر أن يؤمن، وللعاصى أن يتوب، وللطائع الثبات على طاعة الله..

ثم قالوا رضى الله عنهم:

---

(١)للنفس الأمّارة، قول الله تعالى: ﴿وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء﴾ – سورة يوسف آية (٥٣)
للنفس اللوّامة، قول الله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾ – سورة القيامة آية (٢)
للنفس الملهمة، قول الله تعالى: ﴿ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها﴾ – سورة الشمس آيتا (٧،٨)
للنفس المطمئنة والراضية والمرضية، قول الله تعالى: ﴿ياأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى﴾ – سورة الفجر آيات (٢٧ – ٣٠)
للنفس الكاملة، قول الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى﴾ – سورة النازعات آيات (٤٠ – ٤١) .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: كمل من الرجال كثير، و لم يكمل من النساء إلا أربعة: آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد(صلى الله عليه وسلم)

لا يصح أن ينتقل المريد من ذكر إلى غيره إلا بإذن من شيخه، كالتلميذ مع أستاذه، فإذا ما أكمل المريد تلك الأذكار السبعة، كان ذلك دليلا على أن الله يحبه، لأن الله ما ألهمه الذكر إلا ليقربه إليه وليرفعه إلى المقامات العلا.. ثم قالوا:

وإذا ما أكمل المريد تلك الأذكار، على طهارة من القلب، وتوبة نصوح، ثم استقامة صادقة، فإن نفس الذاكر تصير إن شاء الله ريحانة الله فى أرضه، محبوبة لله ولخلقه، وبدلت بشريتها ملكية، وعبوديتها سيادة، وعقلها حسّا، وغيبها شهادة، وباطنها ظاهرا، وانقطعت إلى العلى الأعلى وهو السعادة الكبرى.. (ا.هـ).

كيفية الذكر

أول مبادئ السالك إلى الله، أن يكثر الذكر بقلبه ولسانه بقوة، حتى يسرى الذكر فى أعضائه وعروقه، وينتقل الذكر إلى قلبه فحينئذ يسكت لسانه، ويبقى قلبه ذاكرا يقول "لا إله إلا الله" أو "الله الله" باطنا مع عدم رؤيته لذكره، ثم يسكن قلبه ويبقى ملاحظا لمطلوبه مستغرقا به معكوفا عليه مشغوفا إليه مشاهدا له، ثم يغيب عن نفسه بمشاهدته، ثم يفنى عن كليته بكليته .. حتى كأنه فى حضرة (لمن الملك اليوم.. لله الواحد القهار)، فحينئذ يتجلى الحق على قلبه، فيضطرب عند ذلك ويندهش ويغلب عليه حالة الحضور والإجلال والتعظيم، فلا يبقى فيه متسع لغير مطلوبه الأعظم..[1].

من ثمار الذكر تبدل الأخلاق :

إذا داوم المريد على الذكر وانشغل قلبه بدوام الإقبال على الله،تبدلت أخلاقه وصفاته ..وما سُمى الأبدال [2] أبدالا إلا لما زاد عليهم من الخُلُق، وتبدل ما عندهم من صفات..

فإذا امتلأ القلب بنور الذكر، وفاضت الأنوار على القلب، صار بحراً مواجاً من نسمات القرب، فيجرى عندئذ فى جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات، ويتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى ..

---

(١)للإمام أبى حامد الغزالى من كتابه " القصور العوالى"..

(٢)روى الحسن رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة، ولاصوم، ولا صدقة، ولكن دخلوها برحمة الله، وسخاوة الأنفس، وسلامة الصدور .رواه ابن أبى الدنيا

الذكرُ فُرادى أوْجَماعة

اختلفت الطرق فى كيفية الذكر، فمنهم من فضل الذكر فرادى، ومنهم من فضله فى جماعة. ولكل حججه وأسانيده. ولهذا أحببنا أن نورد رأى الفريقين، ثم لك الخيار بعد ذلك فى أى الطريقين تسلك، وإن كان من الأفضل أن تتبع أستاذك وشيخك إن كان لك شيخ فى الطريق إلى الله..

قال العارفون بالله المؤيدون للذكر الخفى:

الذكر الخفى أفضل، لقول الله تعالى:

﴿واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة﴾ (١)، وقوله تعالى:﴿ادعوا ربكم تضرعا وخُفية﴾ (٢)

ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"خير الذكر الخفىّ ، وخير الرزق ما يكفى" (٣)

ومعناه أن الذكر الخفى أخلص لله، وأبعد عن الرياء، وأكثر فائدة، وأفيد ثمرة، وأعظم أجرا وذخرا، وأتم درجة، وأقرب زلفى، وأكمل مقاما، وأزكى طهارة، وأسرع نجاة، وأسبغ رضا، وأجزل معرفة، وأبلغ وصلا.

وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الذكر الذى لاتسمعه الحفظة، يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا" (٤)

وعن جمان المكى الولى الصالح أنه قال:

ذكر القلب يضاعف بسبعين ضعفا على ذكر اللسان.

وقال بعض العارفين:

"ذكر الله بالقلب سيف الخواص وذكر الله باللسان سيف العوام"

أما الذين يؤيدون الذكر فى جماعة، فدليلهم على ذلك، ماروا أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١)سورة الأعراف آية (٢٠٥)   (٢) سورة الأعراف آية(٥٥)

(٣)رواه الامام أحمد والبيقهى من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه

(٤)أخرجه البيقهى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

" لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"[١]

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله، تنادوا هلمُّوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا" [٢]

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لايريدون بذلك إلاوجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات" [٣]

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"لأن أقعد أصلى مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة (الصبح) حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة"[٤]

وأخرج ابن شاهين فى الترغيب فى الذكر عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"يقول الله تعالى: ياابن آدم: إن ذكرتنى فى نفسك، ذكرتك فى نفسى،
وإن ذكرتنى فى ملأ (أى جماعة)، ذكرتك فى ملأ أفضل منهم وأكرم ،
وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعا ،
وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعا ،
وإن مشيت إلىَّ هرولت إليك.. "

يتبين من هذه الأحاديث وغيرها مما ذكرناه فى الأبواب السابقة، أن الذكر فى جماعة قد

---

(١)رواه الإمام مسلم والترمذى وابن ماجه
(٢)رواه الإمام البخارى
(٣)رواه الإمام أحمد وأبو يعلي والبزّار والطبرانى والبيهقى
(٤)رواه أبو داود وأبو يعلى

رغب فيه النبى صلى الله عليه وسلم، لما فيه من تنزل الرحمات والأنوار على الذاكرين وأن الله يباهى بهم ملائكته، وأن الجماعة ربما تكون عونا لبعضهم على الذكر، ولذلك كانت صلاة الإستسقاء فى جماعة أفضل وخروج المسلمين فى جماعات للدعاء إلى الله لإنزال الغيث أفضل فربما يجيب الله الدعاء بوجود رجل صالح بينهم..

وقد ذكر العارف بالله الولى الصالح سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه "الأنوار القدسية"، أن حجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه قال فى فضل الذكر فى جماعة:

"فكما أن أصوات المؤذنين جماعة، تقطع جرم الهواء أكثر من صوت مؤذن واحد، كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا فى رفع الحجاب، من شخص واحد.. وأما من حيث الثواب فلكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع رفيقه، ووجه كون الذكر جماعة أكثر تأتيرا فى رفع الحجب الكثيفة، كون الحق عز وجل شبَّه القلوب بالحجارة، ومعلوم أن الحجر الكبير لاينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين على قلب رجل واحد، لأن قوة الجماعة أشد من قوة الشخص الواحد. ومن هنا اشترطوا فى الذكر، أن يكون بقوة تامة، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة﴾ (1) فكما أن الحجر لاينكسر إلا بقوة، كذلك الذكر لايؤثر فى جمع شتات قلب صاحبه إلا بقوة..

ويقول أحد العارفين: إذا ذكر المريد ربه بشدة وعزم، طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء فربما قطع فى ساعة مالا يقطعه غيره فى شهر أو أكثر..

ويقول سيدى أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه فى ذلك:

"اختلفوا أيما أفضل.. الذكر سرا أو جهرا .. والذى أقول به:

"إن الذكر جهرا أفضل لمن غلبت عليه القسوة من أهل البداية، والذكر سرا أنفع لمن غلب عليه الجمع مع الله.." (ا.هـ.)

---

(1)سورة البقرة آية (٧٤)

● الباب الثالث

ما يعينك على الذكر

١ - أكل الحلال

الأعمال تزكو وترتفع إذا كان الطعام طيبا حلالا، وتفسد إذا كانت الطعمة حراما.. فقلّ ما يرتفع عمل إذا خالطه شئ من حرام أو من شبهة.. فالله طيب لا يقبل إلا طيبا..

ولهذا فإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ (١) ..وقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ (٢) . والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات أى من الحلال، فإن الحلال يودى إلى العمل الصالح وينور القلب ويورث الرقة والقرب من الله عز وجل.. فإذا كان الأكل حلالا، فالعمل مقبول.. وإذا كان من غير حله لايرتفع عمل ولا تصح طاعة ..

والذكر طاعة ودعاء.. والطاعة لايمكن أن يعان عليها إلا إذا كان الطعام حلالا بعيدا عن الشبهات.. فكلما كان الطعام فيه عفة عن حرام، كلما يسر الله على صاحبه العبادات وهونها عليه..

والمعدة بيت الداء وما يدخل فيها ثم ما ينتج عنها هو الذى يسير حركة الجسد كله، فإذا غذى الجسد من حلال، استجابت الأعضاء وتحركت فى مرضاة الله، وإن كان غير ذلك، فإن الجوارح تتوقف عن الطاعات، وتصبح عسيرة على الإنقياد لصاحبها..

يقول سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه: "المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق إليها بالصحة، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق إليها بالسقم".. ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان، فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البناء وارتفع، وإذا ضعف الأساس واعوج، انهار البنيان ووقع، وقد قال الله تعالى:

---

(١)سورة المؤمنون آية (٥١)   (٢)سورة البقرة آية (١٧٢)

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم﴾ (١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: "تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا﴾. فقام سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، فقال يارسول الله: ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة.. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به.."(٢)

فأكل الحرام وشربه ولبسه والتغذى به سبب موجب لعدم إجابة الدعاء..

وعلى هذا، فقد أجمع العلماء والعارفون بالله، على أن المسلم إذا أراد أن يزكو عمله ويتقبل الله منه صالح عمله ويستجيب دعاءه، فليتحر طعمته وليصبر على طلب الحلال..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم﴾ أى من الحلال، فأمر الله بأكل الحلال قبل العمل الصالح وقال: ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ قيل من الحلال. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: ياربٌ يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُـذّىَ بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك؟(٣).فأصبح لزاما على كل مسلم أن يطلب الحلال، وأن يسعى إليه مهما تحمل فى سبيله من مشقات ومتاعب، فطلبه فريضة وواجب كأداء الصلوات والزكاة والصيام والحج.. فقد روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"طلب الحلال فريضة بعد الفريضة "(٤).وجاء فى بعض التفاسير فى قول الله عز وجل: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ قال نرزقه حلالاً.

---

(١)سورة التوبة آية (١٠٩)

(٢)رواه الطبرانى فى الصغير

(٣)رواه مسلم والترمذى

(٤)رواه الطبرانى والترمذى

فذلك هو الجهاد المبرور.. ونعم الرجل يكد ويسعى ويتحمل الكثير من أجل أن يطعم نفسه وعياله ومن يعولهم من كسب حلال.. قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه: "من قام فى موقف ذل فى طلب الحلال، حشره الله مع الصديقين ورُفع إلى الشهداء فى موقف القيامة ...

فإذا وحد ربنا من العبد صدق هذا المسعى والحرص على طلب الحلال، فإن الله يبارك فى القليل ويجعل منه خيرا كثيرا، والنبى صلى الله عليه وسلم يبشر صاحب الكسب الحلال، فيقول فى حديثه الشريف: "طوبى لمن طاب كسبه" (١)

وفى الحديث: "من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله عز وجل، ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء.."

وقال جماعة من السلف: الجهاد عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال..

وأقل الحرام يفسد العمل، ولا يجعله مقبولا عند الله..

جاء فى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال:

"من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يتقبل الله له صلاته ماكان ذلك الثوب عليه.. ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه، فقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعته من رسول صلى الله عليه وسلم.

كما خرَّج الطبرانى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة، ووضع رجله فى الغرز، فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله فى الغرز، فنادى لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لالبيك ولاسعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور.. وروى أبو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهم، قال:

لايقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام.

---

(١)يقول بعض العلماء أن طوبى كلمة ثناء وبشرى، ويقول البعض الآخر: أنها شجرة فى الجنة، أغصانها على مدّ البصر، وظلالها وفير، يجلس تحتها من كان كسبه حلالا

ويقول العلماء: إن من صلّى وفى جوفه طعام حرام أو على ظهره خيط من حرام لم تقبل صلاته..

وفى الحديث عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أن لله عز وجل ملكا على بيت المقدس ينادى فى كل ليلة: "من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولاعدل". قيل الصرف النافلة، والعدل الفريضة.

ولما قرأ السلف الصالح قول الله عز وجل: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾، خافوا على أنفسهم ألا يكونوا من المتقين الذين يتقبل الله منهم.. وسئل الأمام أحمد عن معنى المتقين فى الآية، فقال: يتقى الأشياء فلا يقع فيما لايحل..

وقال أبو عبد الله الباجى الزاهد رحمه الله:

خمس خصال بها تمام العمل :

الإيمان بمعرفة الله عز وجل

ومعرفة الحق

وإخلاص العمل لله

والعمل على السنّة

وأكل الحلال

فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل.. وذلك إذا عرفت الله عز وجل و لم تعرف الحق لم تنتفع. وإذا عرفت الحق و لم تعرف الله لم تنتفع.. وإذا عرفت الله وعرفت الحق و لم تخلص العمل لم تنتفع. وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل و لم يكن على السنة لم تنتفع. وإن تمت الأربع و لم يكن الأكل من حلال لم تنتفع. [١]

وقال وهب بن الورد: "لو قمت مقام هذه السارية، لم ينفعك شئ حتى تنظر ما يدخل فى بطنك من حلال أو حرام.. ويعنى هذا، أن المسلم إذا ظل طول النهار والليل قائما يصلى، فإن هذه الصلاة ترد عليه، إذا كان طعامه من حرام أو فيه شبهة من حرام..

(١)" جامع العلوم والحكم" لشهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلى (٧٩٥ هـ)

ولما قيل لسيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: لم تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "ما رفعت إلى فمى لقمة إلا وأنا أعلم من أين مجيئها ومن أين خرجت..

وقد أظهر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا المعنى فى قوله: بالورع عما حرَّم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح..

ولقد روى لنا الولى السائح ابراهيم بن أدهم المتوفى سنة(٢٦٢هـ)كيف أنه فقد قلبه، وأن الله سدَّ عليه أبواب الإجابة بسبب تمرة أكلها علتها شبهة [(١)]

قال العلماء: الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة، وإن الله لايستجيب دعاء عبدٍ حتى يصلح طُعمته.. وقد أوضح ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه: "من جعل الحلال له قوتا، أُجيبت دعوته، وعلت مروءته، وحسنت سريرته، وعلت كلمته، وحصلت أمنيته، وطابت هيئته، وطهرت ذريته، ونورت نطفته، وذرفت دمعته، وظهرت حكمته، وقل غضبه، ورق قلبه، وخف ذنبه [(٢)]..

وفى ذلك يقول الصوفى الربانى أبو سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه المتوفى سنة ٢٨٣هـ :

من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف عن قلبه حجاب، وتسارعت إليه العقوبات، ولا تنفعه صلاته ولا صومه ولا صدقته.."

وقد قيل فى معنى قول الله عز وجل: ﴿ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾[(٣)].. أى من أكل حراما فقد قتل نفسه لأنه كان سبب هلاكها وتعذيبها..

وفى الخبر: "من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه"

ويقال: "من أكل حلالا وعمل فى سُنّة فهو من أبدال هذه الأمة.."

وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما: من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله أربعين صباحاً..

---

(١)الرسالة القشيرية (باب التقوى) ص (٨٩) تحقيق شيخ الإسلام زكريا الأنصارى

(٢)من كتاب"سر العالمين" لحجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه

(٣)سورة النساء آية (٢٩)

ويقول الشيخ حياة بن قيس الحرانى المتوفى سنة ٥٨٠ هـ:
من أحب أن يرى خوف الله تعالى فى قلبه، ويكاشف بأحوال الصديقين، فلا يأكل إلا حلالا، ولايعمل إلا فى سُنّة أو فريضة.."

وقد ذكر العارفون بالله أن الترقى الذى ينشده العبد لا يحرزة بكثرة صلاة وصيام وحج، إنما يترقى من كان ينظر ما يدخل جوفه، فقد روى عن الفضيل بن عياض رضى الله عنه أنه قال: لم ينبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم ولا بالصلاة، وإنما ينبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه يعنى الرغيف من حله.."

فطيب المطعم أصل كبير فى طريق القوم.. وليست العبرة بكثرة الصيام وقيام الليل، إنما الأمر في تحرى الحلال، يقول أحد العارفين: أطب مطعمك ومشربك، وما عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار..

لعلك أدركت ياأخي قيمة الحلال وأثره على المسلم. فمن أكل من حلال واتقى الشبهات رق قلبه وصفا ذهنه ونورت جوارحه وأعانته على طاعة ربه..

سئلت مجموعة من العلماء والفقهاء في حياة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم:
"بم تلين القلوب؟ فأجابوا جميعا إجابة واحدة، فقالوا: بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب. وعندما سئل الإمام أحمد نفس السؤال فإذا به يطرق ساعة ثم قال: **بأكل الحلال**.. فما كان منهم إلا أن أقروا له بالعلم والمعرفة، قائلين: جاء بالأصل، الأصل كما قال، الأصل كما قال..[1]

ولقد أودع الله فى قلب المسلم ميزانا يفرق به بين الحلال والحرام وبين الطيب والخبيث، حتى لايكون هناك عذر لمسلم يدعى عدم معرفته بالحلال والحرام..

عن وابصة بن معبد رضى الله عنه، قال، قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:"ياوابصة جئت تسأل عن البِرّ والإثم ؟، قلت نعم، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدرى ويقول:

---

(١)يقول الإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه:
عليك بصيانة بطنك عن الحرام، وكذا عن الشبهة، ثم عن فضول الحلال، إن كانت لك هِمّةٌ فى عبادة الله تعالى..فأما تناول الحرام أو شيء فيه شبهة، فلابد أن تتحفظ عنها لأمور ثلاثة: أولها: حذراً من نار جهنم، وثانيها: أن آكل الحرام والشبهة مطرود لا يُوفق للعبادة، إذ لا يصلح لخدمة الله تعالى إلا كل قلب طاهر وثالثها: أن آكل الحرام والشُبهة محروم من رحمة الله، وإن أُتفق له فعل خير، فهو مردود عليه، وليس له إلا العناء والكد..(ا.هـ.).

يا وابصة استفت قلبك [١]، البرُّ [٢]ما اطمئنت إليه النفس واطمأن إليه القلب. والإثـم مـا حاك [٣] فى القلب وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك.[٤]

وفى رواية لمسـلم، قـال النبـى صـلى الله عليـه وسـلم: البرُّ حسـن الخلـق، والإثـم مـا حـاك فىصدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس".. فإذا طمحت النفس بعد ذلك فى السـكن إلى الحـرام وعدم المبالاة فى تحرى الحلال، فإن الله يرد على صاحبها عبادته وطاعته وإن كانت مثل جبـال تهامة [٥].. عن ثوبان رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

لأعلمـن أقواما من أمتى يأتون يوم القيـامة بأعمال أمثال جبـال تهامة، فيجعلها الله هبـاء منثورا. قال ثوبان: يا رسول الله صفهـم لنـا، حتـى نعرفهـم، فوالـذى بعثـك بـالحق إنـى أتخوُّف أن أكـون منهـم، فقـال: أمـا إنهـم إخوانكـم ومـن جلدتكـم كـانوا يصومـون ويصلـون، ويأخذون من الليل كما تأخذون [٦]، **ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها"**..[٧]

وفى رواية: "ولكنهم إذا عرض لهم شئ من الحرام وثبوا عليه، فأدحض الله تعالى أعمالهم"

ربما يقال ما بال رجل كان يأكل حراما، ثم أقلع عن ذلك، فهل لـه مـن توبـة ؟ نقـول نعـم، على شرط أن يعيد المال إلى أصحابه، أو الشيء الذى اغتصبه إلى دويه..فإذا تعذر عليه ذلـك، عليه بالإكثار من الصدقة والصوم لعل الله أن يقبل منه، على أن يبدأ عهداً جديداً مع الله..

---

(١)أى اطلب الفتوى منه، أو من نفسك، فإن للنفس شعورا بما تُحمد عاقبته أو تُذَمُّ، وقد أخبر الله تعـالى أن قلـب المؤمن يطمئن بذكره، والجمع بينهما للتأكيد، لأن طمأنينة القلب من طمأنينة النفس، ولذا حُكى أن العـارف بـالله أبا الحسين النورى سُئِلَ عن مسائل، فالتفت يمينا وشمالا، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه وأجـاب، فسـئل عـن سبب التفاته، فقال: سألت ملك اليمين، فلم يجبنى، ثم سألت ملك الشمال فلم يجبنى، فسألت قلبى فأخـبرنى بمـا أجبـت به..

(٢)البرُّ هو اسم جامع لأنواع الخير، وهو ما أقتضاه الشرع وجوبا أو ندبا.. والإثم هو ما نهى عنه الشـرع.. ومـن أنواع البر، ما روى عن السيدة عائشة رضـى الله عنهـا عندمـا قـالت: " إن حسـن الخلـق وحسـن الجـوار وصلـة الأرحام تعمِّر الديار وتزيد فى الأعمار، ولو كان القوم فُجّارا.."

(٣)حاك فى القلب: أى إذا وقع فى قلبك شئٌ لا ينشرح له صدرك، وخفت الذنب فيه..

(٤)رواه الإمام أحمد والدارمى بإسناد حسن

(٥)جبال عظيمة الارتفاع والحجم فى شبه الجزيرة العربية

(٦)أى يقومون من الليل لصلاة التهجد

(٧)أى إذا عُرض لهم شئ من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله تعالى أعمالهم.. رواه ابن ماجه

٢- الجـوع

يقصد بالجوع كثرة الصيام نافلة من غير الفريضة. وهو أحد أركان المجاهدة في الطريق إلى الله. فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإقلال من الطعام والشراب، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع..

فالجوع ينور القلب والجوارح، وما قلل عبد طعامه وشرابه إلا رق قلبه ونديت عيناه..

وبالجوع تقهر عدو الله، فإن وسيلة الشيطان الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالمأكل والمشرب..

و الجوع يعطيك خلقا من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية [١] والتشبه بالملائكة..

وبالجوع ينكشف لك الملكوت، فتشاهد أمورا تقر بها عينك، ويسعد بها فؤادك..

والجوع مفتاح الآخرة، وسبب لدخول الجنة والتنعم بما فيها..

يقول صلى الله عليه وسلم: نوّروا قلوبكم بالجوع، وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، وأديموا قرع باب الجنة بالجوع، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش، ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه" [٢]

وبيوت أهل الجوع تستنير بيوتهم، أي يملأها الله نورا، فتتنزل عليهم الرحمات وتفيض عليهم البركات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن أهل البيت ليقل طعمهم، فتستنير بيوتهم [٣]

والجوع زكاة البدن، فمن أدى زكاة بدنه، حفظه الله من كل سوء وبلية، ومنحه العافية، ويبارك الله في جسده..

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لكل شئ زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصيام نصف الصبر" [٤]

---

(١)الصمد الذى لا جوف له والذى لا يأكل ولا يشرب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا..

(٢)مكاشفة القلوب للإمام الغزالى (٣)رواه الطبرانى فى الأوسط (٤)رواه ابن ماجه

وقال الله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [1]

ولذلك رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى الصوم لأنه يقى المسلم من أخطار كثيرة، ويحميه من كثير من الشرور..

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"الصيام جُنَّة وحصن حصين من النار" [2]

جُنَّة أى وقاية يتحصن بها الصائم من عدويه النفس والشيطان.

وعن عثمان بن أبى العاص رضى الله عليه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"الصيام جُنَّة من النار كجُنَّةِ أحدكم من القتال، وصيام حسن ثلاثة أيام من كل شهر" [3]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اغزوا تغنموا، وصوموا تصحّوا [4]، وسافروا تستغنوا[5]

ولذلك ما وصل الواصلون إلى الله إلا بالجوع، ومارسخت أقدامهم فى الطريق إلا بالجوع، وما تفتحت لهم أبواب الخيرات والعطاءات إلا بالإقلال من الطعام والشراب وبالتحكم فى بطونهم وشهواتهم.. وما ظهرت للأولياء الكرامات والفتوحات إلا بمداومة الجوع.. وقد روى المفسرون أن سيدنا موسى عليه السلام لما سأل ربه الكتاب [6] الذى وعد به بنى إسرائيل بعد أن أهلك الله عدوهم واستنقذهم من أيديهم، أمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما، ثم أمره أن يتبعها بعشرة أيام.. فلما صامها، أنزل الله عليه الكتاب، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه

---

(١)سورة الأعراف آية (٣١)

(٢)جُنَّة: أى وقاية يتحصن بها الصائم.، رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقى

(٣)رواه ابن خزيمة فى صحيحه

(٤)أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن علّى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أن الله تعالى أوحى إلى نبى من بنى اسرائيل أن أخبر قومك: ليس عبد يصوم يوما ابتغاء وجهى إلا أصححت جسمه، وأعظمت أجره.."

(٥)رواه الطبرانى فى الأوسط

(٦)هذا الكتاب هو التوراة والذى فيه تبيان للحلال والحرام والحدود والأحكام التى سيسير عليها بنو إسرائيل ..

أربعين ليلة [(١)].. فدل ذلك على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى تلقى العلوم الربانية وظهور ينابيع الحكمة، وبداية لتنزل الأنوار والفتوحات ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات.." [(٢)]

وقد قالوا إن الجوع هو نصف الطريق إلى الله، فإذا أدمن المسلم الصيام فإن الصيام يوصله إن شاء الله إلى منتصف الطريق، لأن عبادة الصوم أشق عبادة على النفس. وكلما كانت العبادة مجهدة للنفس والبدن، كلما أدخلت صاحبها سريعا إلى حضرة الله..

يقول شيخ الطريقة الجنيد البغدادى المتوفى سنة ٢٩٨ هـ" :الصوم نصف الطريقة .."[(٣)]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الجوع، وهو الذى كان يستطيع أن يأكل من كل أطايب الطعام والشراب، ولكنه كان يؤثر الآخرة على الدنيا، فكان الأسوة الحسنة وكان النموذج العالى الرفيع فى الزهد والتقلل من مناعم الحياة وملذاتها..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال:

ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعا [(٤)] حتى قُبِضَ.. [(٥)]

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: "ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم" [(٦)]

وفى رواية للبيهقى قالت: "ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة متوالية، ولو شئنا لشبعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه". وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن فاطمة رضى الله عنها ناولت النبى صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز شعير، فقال لها: هذا أول طعام أكله أبوكِ منذ ثلاثة أيام [(٧)]

---

(١)سورة الأعراف آية (١٤٢) (٢) رواه أبو هريرة وخرجّه الإمام أحمد رضى الله عنه

(٣)يقول أهل الولاية والتصوف: صوم أهل الطريقة غمض العين عن الحرام، ومنع السمع من استماع الكلام الذى ليس فيه رضىً لله ولرسوله، وحفظ اللسان من التكلم فيما لا يعنى، ومحافظة القلب من الخطرات الدنية.. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك.."

(٤)متتابعة (٥) التحق بالرفيق الأعلى (٦)رواه البخارى ومسلم

(٧)رواه الإمام أحمد والطبرانى

ولقد مدح الله الأنصار عندما آثروا إخوانهم المهاجرين بأفضل مايملكون ويحبون فكانوا نموذجا رفيعا في الإيثار والبذل والسخاء، وأنزل الله عز وجل في شأنهم قرآنا في قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (١)

والله سبحانه وتعالى عندما يريد اختبار عباده، فإنه يختبرهم بشئ من الخوف والجوع، ليعرف مقدار إيمانهم وثباتهم وصبرهم، فقال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع﴾ (٢)

وقال وكيع رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾(٣)، هى أيام الصيام.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾(٤)، قيل كان عملهم الصيام.. والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينه عن أكل الطيبات وماأحله الله من الخيرات، إنما رغب فى أن يأكل المسلم فى ثلث بطنه، حتى لا يقسو قلبه وتتعطل جوارحه عن العبادات.

فقد ذكر المقداد بن معديكرب أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لامحالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" (٥)

وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روى أن ابن أبى ماسويه الطبيب، لما قرأ هذا الحديث، قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات، لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت دكاكين الصيادلة..

وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء ..

وقد سمع مالك بن دينار يقول لأحد إخوانه:

لاتبيتن وأنت شبعان، ودع الطعام وأنت تشتهيه، فقال الرجل: هذا وصف أطباء أهل الدنيا. قال ذلك ومحمد بن واسع يستمع كلامهما، فقال محمد: نعم! ووصف أطباء طريق الآخرة فقال مالك: بخ بخ للدين والدنيا".. (٦)

---

(١)سورة الحشر آية (٩) (٢)سورة البقرة آية (١٥٥) (٣)سورةالحاقة آية (٢٤)

(٤) سورةالسجدة آية (١٤)

(٥)رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه (٦)حلية الأولياء جـ ٢

قال رجل لابن عمر رضى الله عنه: ألا أجيئك بجوارش ؟ قال: وأى شئ هو ؟ قال: شئٌ يهضم الطعام إذا أكلته، قال: ما شبعت منذ أربعة أشهرا، وليس ذلك أنى لا أقدر عليه، ولكن أدركت أقواما يجوعون أكثر مما يشبعون. ثم قال: ماشبعت منذ أسلمت ..

وقال محمد بن واسع رضى الله عنه: "من قل طعمه فهم وأفهم وصفا ورق، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد من الخيرات..

وقال أبو عبيدة الخواص: حتفك فى شبعك، وحفظك فى جوعك، فإذا أنت شبعت ثقلت فنمت استمكن منك العدو (أى الشيطان) فجثم عليك..

وعن عمرو بن قيس أنه قال: إياكم والبطنة، فإنها تقسى القلب ..

وكان ربيع بن خراش المتوفى سنة ١٠٤هـ يقول: الجوع يصفى الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم.. وقد أوضح النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، فيما روته عنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فقال صلى الله عليه وسلم:

ثلاث خصال تورث القسوة فى القلب: حب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة (١)

يقول أبو سليمان الدارارنى رضى الله عنه: ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها..

وقال أيضا: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، فصم حتى يقضيها الله لك فإن الأكل يمنع قضاءها..

وقال مالك بن دينار:ماينبغى للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه، وأن تكون شهوته هى الغالبة.. وقال أحدهم: كانت بلية أبيكم آدم عليه السلام أكلة، وهى بليتكم إلى يوم القيامة.. ومن ملك بطنه ملك الأعمال الصالحة كلها..وقال أحد العارفين: لاتسكن الحكمة معدة ملأى، أى ملأى بالطعام والشراب.. وما قل طعم امرئ إلا رق قلبه ونديت عيناه (٢)..وقال بشر بن الحارث رضى الله عنه:

---

(١)رواه الديلمى

(٢)نقول: وهذا قول حق وصدق، لأنه ثبت بالدليل أن الرقة لا تدخل قلب مريد إلا بالجوع، ولا تمطر عينيه إلا بالجوع، ولايلين فؤاده إلا بالجوع.. والشبع يمنع ذلك كله..

ماينبغى للرجل أن يشبع من الحلال، لأنه إذا شبع من الحلال دعته نفسه إلى الحرام..

والحقيقة التى أكدها العارفون بالله أن الشبع سبب لكل معصية وبعد عن الله.. وليس هناك أبغض إلى الله من بطن ملئ ولو من حلال. فالمقصود من التقلل من الطعام والشراب كسر الهوى والشهوات، لتقوى النفس على التقوى. والنبى صلى الله عليه وسلم يبين فى وضوح أن الجوع يضيق مجارى الشيطان فى دم الإنسان، فيقول عليه الصلاة والسلام. "إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع، وإن أقرب الناس إلى الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه ." (١)

ولذلك نرى أبو سهل بن عبد الله التسترى، المتوفى سنة ٢٨٣هـ، ينصح مريديه باستخدام الجوع والعطش إن همت النفس بمعصية، فقال:

"ما دامت النفس تطلب منكم المعصية، فأدبوها بالجوع والعطش"

ويقول أبو الفيض ذو النون المصرى رضى الله عنه، المتوفى سنة ٢٤٦هـ:

"ما شبعت من الطعام قط إلا عصيتُ أو هممتُ بمعصية"

ويقول ابراهيم بن أدهم رضى الله (٢) عنه: "من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة وإن معصية الله بعيدة من الجائع، قريبة من الشبعان"

ولهذا كان للإسلام منهجا حكيما فى تربية الشباب، فأمره أن يكثر من الصوم، حتى لا تطغى عليه شهواته، لأن الشهوات أساسها كثرة الطعام والشراب.. فكلما تحكم الإنسان فى طعامه وشرابه وأكثر من الصوم كلما ضعفت شهوته والتى قد تكون سبباً إلى انتهاك محارم الله..

---

(١)متفق عليه من حديث صفية زوج النبى صلى الله عليه وسلم ..

(٢)ابراهيم بن أدهم (المتوفى سنة ٢٦٢ هـ) الثقة المأمون أحد الزهاد والعباد . كان من قرية كورة ببلخ، كان ابن ملك، خرج يوما فى الصيد مع الغلمان والخدم، وبينما هو على فرسه يركض، إذا هو بصوت من فوقه، يقول له: يا إبراهيم ماهذا العبث أما سمعت قول الله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون﴾ اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة.. فنزل عن فرسه وزهد فى الدنيا وأخذ فى عمل الآخرة.. قال ذات يوم: لو علم الملوك وأبناء الملوك مانحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف.. قال مخلد بن الحسين: ما انتبهت من الليل إلا وجدت ابراهيم بن أدهم يصلى أو يذكر الله، فأغتم، ثم أتعزى بهذه الآية: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾.. توفى بالجزيرة، فحمل إلى صور فدفن هناك.. رضى الله عنه وأرضاه..

ولهذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه الشباب إلى نصيحة غالية فيقول:
"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (الزواج) فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (١)

فالشبع حقا يميت القلب، ويعطل الجوارح عن العبادة، وهو الطريق إلى ارتكاب المخالفات، وإلى كثير من الشرور والآثام..

يقول صلى الله عليه وسلم:

لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت، كالزرع إذا كثر عليه الماء..

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، فقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم والبطنة في الطعاموالشراب، فإنها مفسدة للجسم، تورث السقم، ومكسلةٌ عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف .." (٢)

ولقد شبه ذلك بعض الصالحين، فقال:

إن المعدة كالقدر تحت القلب تغلى، والبخار يصل إليه، فكثرة البخار المنبعث من المعدة تكدره وتسوده..

حكى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أن إبليس ظهر له وعليه معاليق من كل شئ، فقال له يحيى عليه السلام: يا إبليس: "ماهذه المعاليق التى أرى عليك ؟ قال: هده الشهوات التى أصيب من بنى آدم، قال يحيى: هل تجد لى فيها شيئا؟ قال: لا، إلا أنك شبعت ذات ليلة من خبز شعير، فثقلناك عن صلاة الليل .. قال يحيى عليه السلام: لاجرم أنى لا أشبع بعدها أبدا، فقال إبليس: لا جرم أنى لا أنصح مسلما أبدا..

فهذا فيمن لم يشبع فى عمره إلا ليلة، فكيف فيمن لا يجوع لله فى عمره ليلة، ثم يطمع فى العبادة والقرب ...

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: "ما شبعت منذ أسلمت، لأجد حلاوة عبادة ربى.. لأنه فى كثرة الأكل قلة العبادة وفقدان حلاوتها، فإذا أكثر الإنسان من الطعام والشراب ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه، فلا يجئ منه شئ.. ولذلك قال لقمان الحكيم لابنه: لاتكثر النوم والأكل فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة..

---

(١)وجاء: وقاية من كل الشرور.. رواه ابن مسعود، خرجّه الإمام أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم

(٢)رواه البخارى

ولذلك إن جمحت بك النفس، وطالبتك بمعصية، فعليك بتأديبها بالجوع، ففيه إدلالها وإماتتها وقهرها.. قال أحدهم: أتيت طائفة من الأولياء السائحين بمكة، فقلت لهم: أخبرونى لماذا أمر الله أولياءه بتجويع النفوس؟ قالوا: أما رأيت الدابة الصعبة أو البعير الصعب يشرد على أهله، وأنهم لايقدرون عليه إلا أن يجيعوه.. ألا أن العبد إذا أجاع نفسه وأعطشها ذلت وانقادت له واستجابت لأمر ربها..

وفى ذلك يقول الله عز وجل:

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هى المأوى﴾ (١)..

وقال سهل بن عبد الله: "والله الذى لا إله إلا هو، ماتحول المتحولون عما يكره الله إلى ما يحب الله إلا بالجوع.. وما صار الصديقون صديقين إلا بالجوع..

ويعلمنا الولى الصالح أبو سليمان الدارانى(٢) :كيف نجاهد أنفسنا، وكيف يكمن الجهاد فى التحكم فى الطعام والشراب، وأن المسلم إذا نجح فى ذلك، فإن القلب يرق ويصفو ويصل إلى مايريد، فيقول: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبعت ورويت عمى القلب، وإن الشبع مفتاح الدنيا، وإن الجوع مفتاح الآخرة.. ولأن أدع من عشائى لقمة، أحب إلى من أن آكلها ثم أقوم من أول الليل إلى آخره..

وقد أوضح يحيى بن معاذ الرازى، المتوفى سنة ٢٠٨هـ، حقيقة الجوع والشبع، فقال: الجوع نور، والشبع نار، والشهوة مثل الحطب، يتولد منه الإحراق، فلا تنطفئ ناره حتى يحرق صاحبه ..

وفى هذا المعنى يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

---

(١)سورة النازعات الآيات (٤٠، ٤١)

(٢)أبو سليمان الدارانى (توفى سنة ٢١٥ هـ): من قرية قريبة من دمشق تسمى داريا، أحد عباد الله الصالحين والزهاد المتعبدين.. كان يحيى الليل كله إلا قليلا.. قال: نمت ذات ليلة عن وردى فإذا أنا بحوراء تنبهنى وتقول لى : ياأبا سليمان تنام وأنا أُرَبّى لك فى خدرو الجنة منذ خمسمائة عام ؟ .. ومن كلامه: من أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله، ومن أحسن فى ليله كوف فى نهاره، ومن صدق فى ترك الشهوة، ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلبا ترك شهوة من أجله. وكان يقول: عليك بالجوع، فإنه مذلة للنفس، ورقة للقلب، وهو يورث العلم السماوى..

"ما شبعت منذ ستة عشر سنة إلا شبعة طرحتها [1]، لأن الشبع يُثْقِل البدن، ويُقَسِّى القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.."

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"المؤمن يأكل فى مِعيٍ واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء" [2]

والمراد من ذلك أن المؤمن يأكل بآداب الشرع فيأكل فى معى واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والنهم فيأكل فى سبعة أمعاء أى كما لو كان له سبعة أمعاء يأكل بها..

وقد ذم الله ورسوله الذين يتبعون شهواتهم، فقال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب..﴾ [3]

وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتى قوم يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولايوفون ويظهر فيهم السمن" [4]

وعن جعدة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا سمينا، فجعل يومئ بيده إلى بطنه ويقول: "لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك.." [5]

وفى مسند البزَّار وغيره عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: شرار أمتى الذين غُذُّوا بالنعم، يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون فى الكلام..

وخرَّج البزَّار وابن ماجة من حديث ابن عمر قال:

"تجشأ [6] رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم، فقال النبى: كف عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة، فقال الرجل: والله ما ملأت معدتى طعاما من يومئذ

---

(١)أى تقايأتها (٢)مَعيٍ واحد: أى بطن واحد، رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه

(٣)سورة مريم آية (١٩) (٤)يظهر فيهم السمن من كثرة الأكل، رواه عمران بن الحصين رضى الله عنه

(٥)رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد جيد، والحاكم والبيهقى، والمعنى أن هذا الرجل الضخم الجسم، لو كانت ضخامة جسمه فى عقله وفكره لكان أفضل..

(٦)أى أحدث صوتا مسموعا يخرج من فمه، وذلك بسبب كثرة الأكل والشبع..

إلى يومى هذا، وأرجو أن يعصمنى الله عز وجل فيما بقى.."

وقال صلى الله عليه وسلم:

أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعا وتفكرا، وأبغضكم إلى الله كل نوام أكول شروب ..

وقد روى عن سفيان الثورى أنه قال: "خصلتان تقسيان القلب: طول الشبع وكثرة الكلام"

وروى عن مكحول رضى الله عنه:

خصال ثلاث يحبها الله عز وجل، وثلاث يبغضها الله عز وجل،

فأما اللاتى يحبها الله: فقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام

وأما اللاتى يبغضها الله: فكثرة الأكل وكثرة الكلام وكثرة النوم ..

وكان بعض العارفين يقول لمريديه: لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا ..

وقال أبو اسحاق ابراهيم الخواص: دواء القلب فى خمسة أشياء: قيام الليل، وقراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن، وقلة الكلام، والتضرع عند السحر [1]..

وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه: "لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الشبع"

كما قال رضى الله عنه: "لما خلق الله الدنيا، جعل فى الجوع العلم والحكمة، وجعل فى الشبع الجهل والمعصية .."

وكان رحمه الله إذا جاع قوى، وإذا شبع ضعف.. وسئل رضى الله عنه عن الذى لم يأكل طعاما أياما كثيرة، أين يذهب لهب جوعه ؟ فقال: يطفئه نور القلب..

وقال عبد الواحد بن زيد: والله مامشوا على الماء إلا بالجوع، ولاطويت لهم الأرض إلا بالجوع..

ويقول سيدنا محيى الدين بن العربى رضى الله عنه: الفتح كله ممنوع إلا على أهل العزلة والجوع.. يقول الله تعالى فى بعض الكتب السابقة: عبدى.. تجوَّع ترانى، تورَّع تعرفنى، تجرَّد تصل إلىّ..

---

(١)ويرى بعض العارفين أن دواء القلب فى ثلاثة أشياء: ترك الذنوب، وقلة الطعام والشراب، وتناول الحلال..

وقال بعض السادة من الأكابر: عليـك بـالعلم والجـوع والخمـول والصـوم.. فـإن العلـم نـور يستضاء به، والـجوع يعطيك الحكمة.. قال أبو يزيـد البسـطامى رضـى الله عنـه: "مـاجعت لله يوما إلا وجدت فى قلبى بابا من الحكمة لم أجده قبل.. والخمول [1]راحة وسـلامة، والصـوم صفة صمدانية مامثلها شئ، لقوله تعالى:﴿ليس كمثلـه شـئ﴾، فمـن تلـبس بهـا أورث العلـم والمعرفة والمشاهدة.. ولهـذا قالوا إن أركـان الطريـق إلى الله أربعـة: الجـوع والعزلـة والصمـت [2] والسهر [3]، فإذا جاع المريد تبعه الأركان الثلاثـة بالخاصيـة، إذ الجوعـان مـن شـأنه أن يقـل كلامه، ويكثر سهره، ويحب العزلة عن الناس

وإدا أقل المسلم من الطعام، فإن الله عز وجل يعوضه نورا يغنيه عن الطعـام والشـراب.. وقـد أدرك هذا كثير من الأولياء والصالحين.. عن أبى هريرة رضـى الله عنـه أن رسـول الله صلـى الله عليه وسلم قال:

إذا أقل الرجل الطعم [4]، مُلئ جوفه نورا ..

وقد أفاض حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فى هذا الباب إفاضة طيبة فى كتابـه القيـم "إحياء علوم الدين" فى الجزء الثالث، فكتب ثلاثة أبواب عن الجوع تحت عنوان:

-فضيلة الجوع وذم الشبع

-فوائد الجوع وآفات الشبع

-بيان طريق الرياضة فى كسر شهوات البطن

فليرجع إليه من يشـاء..

فقال فى فضائل الجوع عشر فوائد:

١- صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة.

٢- رقة القلب وتلذذه بمناجاة ربه.

---

(١)الخمول: عدم السعى إلى الشهرة، وطلب الخفاء حتى تصفو له العبادة..

(٢)الصمت مطلوب ومرغوب فيه إلاّ أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكـر الله عـز وجـل.. فقـد روى عن أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كل كلام ابن آدم عليه، إلاّ أمر بمعروف أو نهـى عن منكر أو ذكر الله"

(٣)أى السهر فى طاعة الله، من صلاة قيام و استغفار وقراءة قرآن وغير ذلك من الأذكار..

(٤)الطعم: الطعام، والحديث فى "جامع الأحاديث" للإمام السيوطى جـ١ صـ ٢١٩

٣- تذكر أهل الجوع من المحتاجين والمساكين.

٤- تذكر جوع الآخرة وعطشها.

٥- كسر شهوات المعاصى والتحكم فى النفس.

٦- دفع النوم.

٧- تسهيل المواظبة على العبادة.

٨- صحة البدن ودفع الأمراض.

٩- الكفاية باليسير من الطعام.

١٠- التخلق بخلق الإيثار والتصدق بما فضل من الطعام..

وأهل الجوع والعطش هم حقا أولياء لله.. وما جعلهم الله أولياء له إلا بالتحكم فى شهواتهم وليس هناك من شهوة أعظم من شهوة الطعام والشراب.. فإذا وجد على الأرض أهل مداومة على الصيام وحب للجوع، فإن الله يصرف بهم العذاب عن أهل الأرض، وبهم يدفع نقمته وسوء قضائه..

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله بأهل الأرض عذابا، فنظر إلى مابهم من الجوع والعطش صرف عنهم العذاب" (١)

كما أن من يؤذيهم أو يتعرض لهم بسوء، فإن الله ينتقم لهم، ويُحرم على من يسوؤهم العيش الطيب فى الجنة.. عن ابن النجار عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أولياء الله من خلقه أهل الجوع والعطش، فمن آذاهم انتقم الله منه وهتك سِتْرَه وحرَّم عليه عيشه من جنته" (٢)

ومن هنا نستطيع القول أنه لا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس وفطمها عن الشهوات واللذات.. وبقدر مايستوفى العبد من شهوته، يخشى أن يقال له يوم القيامة: ﴿أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (٣)

---

(١)رواه الديلمى الجامع الأحاديث للسيوطى جـ٣

(٢)جامع الأحاديث للسيوطى جـ٣

(٣)سورة الأحقاف آية (٢٠)

وقد أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام:

اذكر أنك ساكن القبر، فإن ذلك يمنعك من كثير من الشهوات ..

وبقدر مايجاهد العبد نفسه ويترك شهوته إرضاء لله، بقدر مايتمتع بها فى الدار الآخرة، ويقال له عندئذ يوم القيامة: كل اليوم شهوتك جزاءً بما صبرت

ويقال لمن سار على طريقهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الأيام الخالية﴾ (١)، وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات فى الدنيا.. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس يحشرون يوم القيامة جياعا عطاشا، وإن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة.. وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غداً فى الآخرة..(٢)

ولقد رؤى بشر بن الحارث الحافى الزاهد الصوفى المتوفى سنة ٢٢٧هـ، فى المنام، وقد كان يداوم على الصيام زاهدا فى الدنيا متورعا عن الشبهات، فقيل له: "مافعل الله بك؟ فقال: عمر ل وأقعدنى على طيار (٣) من لؤلؤة بيضاء، وقال لى: سر فى ملكى، ثم قال لى:

كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم" (٤)

والإسلام يعلمنا كيف نتحكم فى شهواتنا، حتى لانقع فريسة لغوائل النفس التى لاتكف عن المطالب إرضاءً لشهواتها. ولهذا نرى أن سيدنا عمر رضى الله عنه، يعلم جابر ابن عبد الله كيف لاينساق مع شهوات النفس، وكيف يتحكم فيها، حتى لاتقوده إلى مهاوى سحيقة.. فعن ابن عمر رضى الله عنهما، أن عمر رضى الله عنه رأى فى يد جابر بن عبد الله، وقد ابتاع لحما بدرهم، فقال: ماهذا يا جابر؟ قال: قَرَمَ أهلى (٥) فابتعت لهم لحما بدرهم، فقال: **أوكلما اشتهيتم اشتريتم.؟** ما يريد أحدكم أن يطوى بطنه لابن عمه وجاره أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾

---

(١)سورة الحاقة آية (٢٤) (٢)رواه الطبرانى باسناد حسن (٣)طيار: فرش من حديد

(٤)صفة الصفوة جـ٢ صـ٣٣٥ (٥)قَرَمَ أهلى: اشتهوا لحماً، "الترغيب والترهيب" للمنذرى

وعن الحسن البصري رضي الله عنه، قال: دخل عمر رضـى الله عنه على ابنه عبد الله، وإذا عنده لحم، فقال ما هـذا اللحم؟ قـال: اشتهيته، قـال: أوكلما اشتهيت شيئا أكلته، **كفى بالمرء شرا أن يأكل كلما اشتهى!** [1]

وليس معنى ذلك أن عمر بن الخطاب يحرم أكل اللحم ولا أكل الطيبات من الرزق، فالإسلام لم يمنع أن تأكل من أطايب الطعام على أن يكون من حلال وفى غير اسراف [2]، ولكن يريد عمر رضي الله عنه أن يتربى الناس على مائدة الإسلام التى تحث دائما على أن لا يجعل المسلم من بطنه واديا لملء شهوات النفس. عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من الإسراف أن تـأكل كلّما اشتهيت" [3]فالمسلم كلما تحكم في بطنه، كلما تحكم في جميع أموره، فارتقي، وصفا، وعلا..

ولو تتبعنا هدى النبي صلى الله عليه وسلم في الصيام، لوجدنا أن أيام الصيام التى رغّب النبي في صيامها وندب المسلمين إلى الصوم فيها، تكاد تقترب من نصف العام. وهذا يدل على أن منهج الإسلام في تربية الفرد المسلم، إنما يتمثل في أن المسلم يأخذ من الدنيا بقدر الضرورة، وأن يجعل منها دار عبور لنعيم خالد لايزول ولاينتهى.. فالدنيا سجن المؤمن، جنة الكافر كما جاء في الحديث. وإذا أحببنا سردها نراها كالآتي:

- ستة أيام من شوال.
- العشر الأوائل من ذي الحجة.
- العشر الأوائل من المحرم (والتى تنتهي بيوم عاشوراء).
- صيام ثلاثة أيام من كل شهر عربي (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).
- صيام الأثنين والخميس من كل أسبوع.
- صيام معظم أيام رجب وشعبان.

---

(١)سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى رضى الله عنه..

(٢)لما بعث الله أصحاب الكهف من نومهم وأيقظهم بعد تلك الرقدة الطويلة، كانوا جياعا، فأرسلوا واحدا منهم ليشترى لهم طعاما، وطلبوا منه أن يتخير الأطيب من الطعام وأحله.. وذلك فى قول الله عز وجل: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه﴾ سورة الكهف آية (١٩)

(٣)رواه البيهقى فى "الجامع الكبير"

-عدا صيام شهر الفريضة وهو (شهر رمضان).

وإن دل ذلك على شئ، فإنما يدل على أن الإسلام لا يحب للمسلم أن يجعل من بطنه واديا للملذات، لا هم له إلا ملء بطنه.. فربما أدى ذلك إلى إدمان التنعم، وعندئذ لا يستطيع التحكم فى شهوات نفسه، وفطمها عن كل ما يطغيها فيبوء بخسران وندامة، وقد نصح النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذ رضى الله عنه، قائلاً له: "إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين" [1].. فالإسلام لا يحب السرف والنهم والإغراق فى التنعم، بل يحب من المسلم أن يكون متحكما في رغباته، مقتصدا فى إنفاقه، معتدلا فى مطالبه حتى يمكنه أن يؤدى ما عليه من واجبات نحو ربه ونحو دينه ووطنه وذوى رحمه..

* * *

ربما يقول قائل: أنا لا أتحمل الجوع ولاأستطيع مواصلة عملى ولا عبادتى إلا إذا اعطيت نفسى حقها من الطعام والشراب..

وأنا أقول: إن الإسلام لم يحرم أكل الطيبات ولا التنعم بخيرات الله، والله تعالى يقول: ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [2]، ويقول عز وجل: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ [3]،فلا مانع أن تطعم وأن تهنأ بما أحله الله لك وأن تستلذ بالمباحات من الرزق، لكن إذا أردت طريق الآخرة فعليك بالإعتدال، وأن تأكل أكلا بحيث لاتحس بثقل المعدة ولابألم الجوع، فإن مقصود الأكل بقاء الحياة والتقوى على العبادة.. وثقل المعدة يمنع من كثير من العبادات، وألم الجوع يشغل أيضا القلب ويمنع من الإستغراق فى العبادة..

فالمقصود أن يأكل المسلم أكلا لايبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة، إن قدر على ذلك، وغاية المسلم الطالب لطريق الآخرة الإقتداء بهم حتى يصل إلى الدرجات العلا ويقترب من منازل الأولياء المقربين..

---

(١)رواه أحمد والبيهقى (٢)سورة الأعراف آية (٣٢) (٣)سورة المائدة آية (٨٨)

ولنقرأ معا فى ختام بابنا هذا، ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، والـذى يبشر فيه أهل الجوع برفيع المنازل والدرجات، وأنهم أهل اختصاص وتميز عنـد الله، فقـد روى الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أهل الجوع فى الدنيا هم الذين يقبض الله أرواحهم، وهم الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا شهدوا لم يُعرفوا، أخفياء فى الدنيا، معروفون فى السماء، إذا رآهم الجاهل ظن بهم سقماً وما بهم من سقم، يستظلون يوم القيامة فى ظل العرش يوم لا ظل إلاّ ظله..

٣- الخلــــوة

لاتظنن ياأخا الإسلام أن المقصود بالخلوة هــو انقطـاعك عـن الخلـق، واعتكـافك عـن الناس، وإيثار العزلة وترك أسباب الدنيا، إنما الهدف منها هو أن يختلى المسلم بربه فى فـترة من الزمن، حتى يزيل عن نفسه أوضار الدنيا، ويتطهر من ذنوبها وآثامهـا، ويستغفر ربـه من زلات وقعت، أو هفوات ألمت بـه، فيخـرج مـن خلوتـه وقـد ألقـى وراء ظهـره غبار السيئات، وتطهر مما يكون قد أبعده عن ربه، فعاد سليما معافى، يستـأنف حركـة الحيـاة، وقد علاه نور الخلوة وصفاء القلب وإشراق الروح..

إن المسلم دائم الصلة بربه، وفى حاجة دائمة إلى تجديد إيمانه، وتجديد الصلة بالله، يستمد منه العون والتوفيق، ولايمكن أن يصل إلى ما يريد، إلا إذا اختلى بربه بعض الوقت، يتفكر فى آلاء الله ونعمه، وجميل صنعه، وبدائع مخلوقاته.. فقد جاء فى الأثر: **أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة**.. ثم إنه فى الخلوة يخلو بربه، ويأنس بخالقه، ويقـر لـه بذنوبـه، طالبـا منـه الصفـح والمغفرة، مجددا العهد على ألا يعود إلى مخالفة أو معصية، ثم هو كذلك يتقرب إلى الله بصلاة النافلة، وقراءة كتابه العزيز والصلاة على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، والاشتغال بالاستغفار الصادق وتجديد التوبة، كل ذلك فى ذلة العبد الخطاء، مبتهـلا ضارعـا إلى ربـه أن يجنبه الزلل وأن يأخذ بيده إلى الطريق الأقوم والأهدى سبيلا..

وعندما أراد الله عز وجل أن يهيـئ سـيدنا محمـدا صلـى الله عليـه وسـلم لتلقـى الوحـى وإبلاغ الرسالة، هداه أن يختلى فى غار حراء، فكان النبى الكريم يخلـو بربـه الأشـهر العديـدة متفكرا متأملا متحنثا حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار الإلهيـه وشمـس المعـارف الربانيـة، نـزل عليـه الوحى بالرسالة الخالدة، فعم نورها الآفاق وقد أفاضت على الدنيا الخير والبركة والهدى..

ومن هنا اقتفى الأولياء والصالحون أثر النبى صلى الله عليه وسلم، فكانت لهـم الخلـوة يجددون فيها صلتهم بربهم، وينهلـون مـن الأنـوار الإلهيـه ماشـاء لهـم أن ينهلـوا، ويملئـون قلوبهم نورا ومددا وفيضا.. حتى إذا ماخرجوا إلى الناس، كانوا على مستوى أئمة الهدى، يقودون الناس إلى الخير ويأخذون بأيديهم إلى طريق الله..

ولابد للمريد [1] من هذه الخلوة بين الحين والحين، يجدد فيها صلته بخالقه، تأملا وتفكرا وتذكرا واستغفارا، فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها الخلوة والانس بالله والإنابة والتوبة وذكر الله عز وجل..

يقول ابن عطاء الله فى الحكم: متى أوحشك من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به، ومن أجل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو النبى المعصوم والذى غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان كل عام، وظل يداوم على هذا الإعتكاف فى رمضان وفى غيره من الشهور حتى لقى ربه..

فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يأوى إلى الإعتكاف، تاركا مشاغل الحياة وأمور الدعوة، والمسلمون فى حاجة إليه وإلى قيادته، إلا أنه يريد أن يعلم أمته أن المسلم لابد له من وقت لآخر وقفة مع ربه، وخلوة مع خالقه، يتفرغ فيها لطهارة قلبه ويزكى فيها روحه، ويجتهد فيها فى خدمة مولاه والتقرب إليه حتى إذا ماعاد إلى مزاولة مهامه وشئونه الدنيوية، يكون قد تزود بالأنوار والفيوضات التى أفاض الله بها عليه، فتحرك فى حياته على هدى وعلى بصيرة..

---

(١)المريد هو الذى يترك ما جرت عليه العادة، ويترك ما سوى الله.. فإذا ترك العبد العادة التى هى حظوظ الدنيا، فعندئذ تتجرد إرادته، والإرادة مقدمة على كل أمر ثم يعقبها القصد ثم الفعل. فهى بدء طريق كل سالك واسم أول منزلة كل قاصد.. قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه﴾.. فالله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر مع هؤلاء وأن يصحبهم ويؤثرهم على غيرهم، لأنهم يريدون وجه الله ورضاه، ثم قال له. ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾، فبان بذلك أن حقيقة الإرادة إرادة وجه الله فحسب، لا إرادة الدنيا وزينتها.. فالمريد هو من كان صادق الإرادة فى التوجه إلى ربه، لا يريد غيره ولا يرغب فى سواه.. فهو أبدا مقبل على الله وعلى طاعته، يسمع من ربه عز وجل، فيعمل بما فى الكتاب والسنة، يطيع ربه على هدى وبصيرة.. كما أنه صاحب إرادة تُهوّن عليه الصعاب والمشاق أملا فى الوصول إلى محبوبه، فنومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة، وسهره دائما فى طاعة ربه.. يجاهد نفسه فلا يجيبها إلى محبوبها ولذاتها، ويبذل مجهوده فى محاب الله تعالى، ويتعرض أبدا لكل سبب يوصله إلى مولاه، ويتحبب إلى ربه بكثرة النوافل، مخلصا فى عبادة ربه، قائما بأمره حتى يصل إلى ربه، ويدخل فى زمرة أحباب الله ومريديه، فحينئذ يسمى مرادا... نومه غلبه: يعنى لاينام إلا إذا غلبه النوم، وأكله فاقة: يعنى لا يأكل إلا عن جوع وبالقدر المطلوب

إن المسلم فى حاجة دائمة إلى الإستزادة من الأنوار الإلهية حتى تعينه على مسيرته فى الحياة، فإن كان عالما ازداد علما ونورا وتوفيقا، وإن كان داعية إلى الله ازداد صفاء وصقلا وصدقا.. وإن كان مجاهدا ازداد إشراقا وقوة ويقينا..

ولهذا، فإن نبينا المعلم صلوات الله وسلامه عليه يحثنا كثيرا على أن يختلى المسلم بربه، فى بيته أوفى مسجده، بعيدا عن ضوضاء الناس، وصخب الحياة وضجيجها ومآثمها. فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال: قلت يارسول الله: ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك، **وليسعك بيتك**، وابك على خطيئتك..(١)

وهكذا يرغبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نلجأ للخلوة ولجعل من بيوتنا محرابا للتعبد فيه إلى الله وكذا بالتقرب إلى الله بمختلف الأذكار من قراءة قرآن واستغفار ودعاء وصلاة نافلة وغير ذلك من أنواع القربات ليستمد من ربه العون والقوة ومواصلة الجهاد ..وقد بين العلماء والعارفون بالله أن فى الخلوة عشر فوائد:

الأولى: السلامة من آفات اللسان، فإن عثراته كثيرة وشروره كبيرة..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"رحم الله عبدا سكت فسلم أوتكلم فغنم"

وروى عن أبى أمامه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويشهد أني رسول الله، فليسعه بيته، وليبك على خطيئته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا ليغنم، وليسكت عن شر فيسلم" (٢)

وقالوا إن فى كثرة الخلطة كثرة الكلام، وفى كثرة الكلام: قلة الورع، وعدم التقوى، وطول الحساب، ونشر الكتاب، وكثرة الطالبين، وتعلق المظلومين بالظالمين، وكثرة الأشهاد من الكرام الكاتبين، ودوام الإعراض عن الملك الديان، لأن الكلام

---

(١)رواه أبو داود والترمذى

(٢)رواه الطبرانى والبيهقى

مفتاح كبائر اللسان، وفيه الكذب، وفيه الغيبة والنميمة، والزور والبهتان.. وقد جاء في الأثر: أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه، وأكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضا فيما لا يعنيه

الثانية: حفظ البصر والسلامة من آفات النظر، فإن من كان معتزلا عن الناس، سلم من النظر إلى ماحرم الله النظر إليه، قال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم، زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾ (١)

قال محمد بن سيرين رضى الله عنه: "إياك وفضول النظر، فإنها تؤدى إلى فضول الشهوة.. وقال بعضهم: من كثرت لحظاته دامت حسراته، ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه.. وقد قيل: إن كثرة النظر بالبصر توجب تفرقة القلب..

الثالثة: حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض ومعاملة الناس بالإخلاص..قال بعض العارفين: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم، ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه، فهلك كما هلكوا.. قال الإمام القشيرى رضى الله عنه: أرباب المجاهدات إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة، لم ينظروا إلى الفضول من الدنيا، فتتشتت قلوبهم.. كما أنه ليس هناك من عبادة تمنح صاحبها الإخلاص لله أقوى وأعظم من الخلوة.. فإن الخلوة إن كانت خالصة لوجه الله، لا يريد بها جاهاً أو عزاً أو إظهار كرامة أو غير دلك مما تتطلع إليه النفس، منحت صاحبها تنوير القلب، والزهد فى الدنيا، والاستقامة مع الله، والتخلق بالأخلاق الحميدة.. قال ذو النون المصرى رحمه الله: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة، ومن أحب الخلوة، فقد استمسك بعمود الإخلاص، وظفر بركن من أركان الصدق. وفى هذا المقام أيضاً، قال العارف بالله القطب الصوفى أبو القاسم شهاب الدين السّهْرودى صاحب الكتاب القيّم "عوارف المعارف" المتوفى سنة ٦٣٢ هـ: وإنما اختار القوم الخلوة والوحدة، لسلامة الدين، وتفقد أحوال النفس، وإخلاص العمل لله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١)سورة طه آية (١٣١)

"من أخلص لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه".[1]

قال بعض العارفين:

من لم يخلص لله ما عبد الله، لأن الله تعالى أمرنا بالإخلاص كما أمرنا بالعمل، فقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾

الرابعة: حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها، وفى ذلك شرف العبد وكماله، وسبب محبته عند مولاه، لقوله صلى الله عليه وسلم: ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما أيدى الناس يحبك الناس..وقد روى عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه قال: لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قالوا: من الموتى يا روح الله؟ قال: المحبون للدنيا الراغبون فيها..

الخامسة: السلامة من صحبة الأشرار، ومخالطة الأرذال من الناس، وفى مخالطتهم فساد عظيم وخطر جسيم.. يقول ابن القيم الجوزية رضى الله عنه: "كم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت فى بلية، وهل آفة الناس إلا فى الناس ؟..

فعن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شئ أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه"[2]، فخلطة الأشرار تجلب للعبد الندم والحسرة، كما قال تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه، يقول: ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا، ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا. لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [4]

أوحى الله تعالى إلى سيدنا داود عليه السلام: "يا داود مالى أراك منتبذا وحيدا؟ فقال: إلهى قليت الخلق من أجلك، فقال: يا داود كن يقظان، وارتد لنفسك إخوانا، وكل أخ لايوافقك على مسرتى فلا تصحبه، فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى.."

---

(١)رواه مكحول، كما ورد فى الحلية لابن نعيم الأصبهانى
(٢)رواه أبو داود والنسائى
(٣)سورة الفرقان آية (٢٧-٢٩)
(٤)سورة الزخرف آية (٦٧)

فإن أردت الصحبة، فعليك بصحبة الصالحين، فإن صحبتهم كنز لانفاد له [1]..

وقال أحد العارفين: "والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح.."

السادسة: التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر.. ولا شك أن العبد إذا كان وحده تفرغ لعبادة ربه وانجمع عليها بجوارحه وقلبه، لقلة من يشغله عن ذلك. قال أحدهم :

وأما الخلوة فإنها تفرغ القلب من الخلق، وتجمع الهم بالخالق وتقوى العزم على الثبات وتبعد القساوة عن القلب".. فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى" [2]

وقد ذكر الإمام مالك فى الموطأ، قال: بلغه أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون.. ويروى عن سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال: "كلم الناس قليلا، وكلم ربك تعالى كثيرا، لعل قلبك يرى الله تعالى.."

السابعة: وجدان حلاوة الطاعة، وتمكن لذيذ المناجاه لفراغ سره من كل ما يشغله، وهذا مجرب صحيح.. قال أبو طالب المكى رضى الله عنه فى كتابه "قوت القلوب":

ولا يكون المريد صادقا حتى يجد فى الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة مالا يجده فى العلانية، وحتى يكون أنسه فى الوحدة، وروحه فى الخلوة، وأحسن أعماله فى السر.. ولايمكن جمع القلب على الله إلا فى الخلوة..

---

(١)نقول: إذا كان للمسلم بُدّ من الخلطة، فعليه أن يخالط الناس فى الخير: كالجمعة والجماعة والأعياد وتعلم العلم والجهاد ونصيحة المسلمين والتعاون على البر والتقوى.. ويعتزلهم فى الشر وفضول المباحات.. فالواجبات أكثر من الأوقات.. ووقت المسلم رأس ماله، فإن ضيّعه ضاع منه عمره وضاع منه خير كثير.. وفى الحديث: "لا يكون المؤمن ظاعنا إلا فى ثلاث: تزود لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة فى غير محرم" رواه أبو ذر رضى الله عنه

(٢)رواه الترمذى والبيهقى

الثامنة: صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة، فإن للنفس تولعا وتسارعا للخوض في مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم فيها، وللإمام الشافعي رضي الله عنه في ذلك شعرا:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها .·. وسيق إلى عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا .·. كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وماهي إلا جيفة مستحيلة .·. عليها كلاب هَمُّهُنَّ اجتذابها
فإن تجتنبها عشت سلما لأهلها .·. وإن تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبى لنفس أوطأت قعر بيتها .·. مغلقة الأبواب مرخيٌّ حجابها

التاسعة: التمكن من عبادة التفكر والإعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة، وفي الخبر:

تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة

وكان نبي الله عيسى عليه السلام يقول:

طوبى لمن كان كلامه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرة، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت..

وقال كعب رضي الله عنه: من أراد شرف الآخرة، فليكثر من التفكر.. وكان أفضل عبادة أبي الدرداء التفكر، وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء وتبيين الحق من الباطل، ويطلع بها أيضا على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا، ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها..

قال الحسن البصري رضي الله عنه:

الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك، ويطلع بها أيضا على عظمة الله وجلاله، إذا تفكر في آياته وبديع صنعه، ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجليلة والخفية، فيستفيد بذلك أحوالا سنية، يزول بها مرض قلبه، ويستفيم بها على طاعة ربه..

العاشرة: حماية القلب من الكدرات والأغيار.. والأغيار هي الصور الحسية والمتغيرات من الأشياء التي يراها الإنسان في ذهابه وإيابه. فكلما تعرض القلب للأغيار كلما انطبعت تلك الأغيار في مرآه قلبه، فانحجب بظلماتها الكونية وصورها الخيالية

عن إشراق شموس العرفان وأنوار الإيمان.. فكلما تراكمت فيها صور الأشياء، انطمس نورها واشتد حجابها.. ولذلك يتساءل الولى الصالح أحمد بن عطاء السكندرى فى كتابه " الحكم " قائلا: "كيف يشرق قلبٌ صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟.. أم كيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان، وصور الأكوان الظلمانية منطبعة فى مرآة قلبه؟ فالضدان لايجتمعان، قال تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾.. فالقلب ليس له إلا وجهة واحدة، إذا قابلها النور أشرقت، وإذا قابلتها الظلمة أظلمت، ولا تجتمع الظلمة والنور أبدا.."

فإذا أضاف المريد إلى الخلوة الصمت والجوع والسهر فى طاعة الله[1]، فقد كملت ولايته، وظهرت عنايته، وأشرقت عليه الأنوار، وانمحت من مرآة قلبه صور الأغيار..

قال العارف بالله الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه:

ثمرة العزلة هى الظفر بمواهب المنة وهى أربعة: كشف الغطاء

وتنزيل الرحمة

وتحقق المحبة

ولسان الصدق فى الكلمة..

وقد جاء فى مدح التخلى عن الناس، أن الوهب والعطاء لايحدثان إلا بعد خلوة وعزلة، ذلك أن الله عندما أراد أن يوجد من السيدة مريم عليها السلام سيدنا عيسى، هداها أن تعتزل الناس وتتنحى عنهم وذهبت إلى شرقى المسجد المقدس (أى المقدس) لتتعبد إلى الله فيه وتخلو بربها، وتوارت عن أعين الناس واستترت منهم، حتى أرسل الله لها ملكا فحملت بسيدنا عيسى عليه السلام...

---

(١)يقول سيدى محيى الدين بن عربى: حلية الأبدال (أى رؤساء الأولياء) الصمت والسهر والجوع والاعتزال .. ويقول ابن القسطلانى عن أحمد بن سهل رضى الله عنهما، أنه قال: أعداؤك أربعة:

أولها : الدنيا، وسلاحها لقاء الخلق، وسجنها الخلوة

الثانى: الهوى، وسلاحه الكلام، وسجنه الصمت

الثالث: الشيطان، وسلاحه الشبع، وسجنه الجوع

الرابع : النفس، وسلاحها النوم، وسجنها السهر..من كتاب "إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة"

وذلك فى قوله تعالى: ﴿واذكر فـى الكتـاب مريـم إذ انتبـذت مـن أهلهـا مكانـا شـرقيا. **فاتخذت من دونهم حجابا** فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشـرا سـويا. قـالت إنـى أعـوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ (١)

كما جاء فى فضل العزلة أن سيدنا ابراهيم عليه السلام عندما اعـتزل أبـاه وقومـه فـى الله، أبدله الله من هو خير منهم، ووهب له اسحق ويعقوب وجعلهما أنبياء.. وذلك فـى قول الله عز وجل:

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنـا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ (٢)

■ ■ ■

ولكى تثمر الخلوة، لابد معها من شرائط، ذَكَرها العارف بالله الامام الجنيد رحمه الله (٢٩٧هـ)، فقال: لابد للسائر إلى الله أن يجمع بين تلك المحامد :

١- دوام الوضوء

٢- دوام الصوم

٣- دوام الصمت (٣)

٤- دوام الذكر

يسَّر الله علينا طاعته وأعاننا على ذكره وشكره

---

(١)سورة مريم الآيات (١٦-١٩) (٢)سورة مريم آية (٤٩)

(٣)بمعنى أن يتفكر فى بدائع صنع الله، وكذلك عما لا يعنى من القول ..

قال أحد العارفين: الخلوة أصل، والخلطة عارض . فيلزم الأصل، ولا يخالط إلا بقدر الحاجة، وإذا خالط يلازم الصمت إلا من ضرورة فإنه الأصل ..

• الباب الرابع

ما يعطلك عن الذكر

١ – الذنوب

الذنوب تورث قساوة القلب، وإن أبعد الناس من الله صاحب القلب القاسى. فكلما أذنب المسلم ذنبا و لم يتب منه، كلما حرمه الله من طاعة، لأن الذنب يورث فى القلب ظلمة، ولايمكن للمسلم أن ينهض إلى طاعة الله وذكره، وفى قلبه ظلمة..

ولقد أثرت بعض الذنوب فى حياة العابدين.. ومنعتهم من القيام بأورادهم وأذكارهم. قال سفيان الثورى رضى الله عنه، المتوفى سنة ١٦١هـ، وهو من كبار الزهاد والصالحين، قال: حُرِمْتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وماذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلا فى المسجد يصلى وهو يبكى، فقلت فى نفسى: لعله يرائى..!!

وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة وهو من العابدين، فوجدته يبكى، فقلت له: مابالك! هل أتاك بعض نعى أهلك؟ فقال: أشدّ، فقلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد، فقلت: وماذاك؟ قال: بابى مغلق، وسترى مسبل ولكنى لم أقرأ حزبى الليلة البارحة.. وما ذاك إلابذنب أحدثته..!

وهاهو الإمام الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨هـ سيد طائفة المتصوفين، يذكر لنا كيف أثر ذنب اقترفه من غير قصد ونّية على عبادته، وكيف أن هذا الذنب الذى اقترفه بقلبه لا بلسانه، قد أثر على أوراده وعلى قيامه بالليل.. يقول:

كنت جالسا فى مسجد ببغداد، أنتظر جنازة أصلى عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك والعبادة، يمد يده يسأل الناس، فقلت فى نفسى: لو أن هذا الفقير عمل عملا يصون به نفسه لكان دلك أجمل به.. فلما انصرفت إلى منزلى، وكان لى شئ من الورد بالليل من صلاة وذكر وبكاء وغير ذلك.. لكن ذلك ثقل علىَّ، فحاولت النهوض والقيام لصلاتى وأورادى، ولكنى لم أستطع.. فسهرت وأنا قاعد لم أفعل شيئا.. فغلبتنى عيناى، وأخذنى سنة من النوم، فرأيت فى منامى ذلك الفقير

جاءوا به على خوان [1] ممدود وقالوا لى: كل لحمه!! فقلت: و لم؟ قالوا: لأنك اغتبته! فقلت: إنى لم أغتبه إنما قلت فى نفسى شيئا، فقيل لى: ما أنت ممن يُرضى منك بمثله !! اذهب فاستحله ..

فأصبحت و لم أزل أتردد هنا وهناك حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء أوراقا من البقل مما تساقط من أشجارها فسلمت عليه، و لم يمهلنى حتى قال لى باسما: يا أبا القاسم[2]: هل تعود؟ فقلت: لا، فقال: غفر الله تعالى لنا ولك"..[3]

وهكذا نرى أن الذنوب تمنع أسباب الرحمة، كما أنها تمنع من الطاعة، فالحسنة تؤدى إلى حسنة، والسيئة تدعو إلى سيئة، والقليل من كل منهما يجر إلى الكثير.. وقَلَّ من يفعل ذنبا إلا وقوبل بمثله، ولو بعد حين.. قال عز وجل:﴿من يعمل سوءا يُجْزَ به﴾ [4]

قال ابن الجلاء الدمشقى رضى الله عنه: كنت أمشى يوما مع أستاذى، فرأيت غُلاماً جميل الوجه من أهل الكتاب، فأخذتُ أَنظُر إليه فقلت ياأستاذى: أترى يعذب الله هذه الصورة؟ قال: فنظر إِلىَّ مغضبا، وقال: سترى عقوبة تلك النظرة بعد حين، قال: وقد صح كلام أستاذى، فنسيت القرآن بعد ذلك بعشرين سنة [5] ...

فالذنوب تورث الجفاء والقطيعة ووحشة يجدها الإنسان بينه وبين ربه.. فكلما تأثر القلب بذنب، كلما فقد نوره، وأحس بوحشة، وفقد معه حلاوة العبادة والقرب..

يقول عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما: إن للسيئة سواداً فى الوجه، وظلمة فى القبر والقلب، ووهناً فى البدن، ونقصاً فى الرزق، وبُغضة فى قلوب الخلق، ووحشة بين العبد وربه.

يحدثنا الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه فى كتابه القيم "قوت القلوب" أن امرأة من المتعبدات من أهل القلوب، سألت ولىّ الله ابراهيم الخوّاص عن تغير وجدته فى قلبها (أى ضياع حلاوة العبادة من قلبها)، فقال لها: عليكِ بالتفقُّد (يعنى بالبحث عن سبب هذا التغيّر)، فقالت: قد تفقدت فما وجدت شيئا اعرفه. فأطرق ساعة، ثم قال: ألا تذكرين ليلة

---

(١)شبه منضدة مستطيلة　　　(٢)كان له ابن يسمى القاسم فكان يكنى به

(٣)الرسالة القشيرية صـ١٢٦　　　(٤)سورة النساء آية (١٢٣)

(٥)الرسالة القشيرية صـ٣٤ وهذا دليل على أن العقوبة على قدر إيمان العبد وقربه من ربه..قال معاصروه أن الله قد أعاد إليه القرآن بعد ما ندم على ذنبه، وإستغفر من نظرته، فمغفرة الله أوسع من عقوبته ..

المشعل ؟ فقالت: بلى، فقال: هذا التغير من ذلك.. فذكرتْ أنها كانت تغزل فوق سطح لها، فانقطع خيطها، فمرَّ مشعل السلطان، فغزلت فى ضوئه خيطا من خيطها وأدخلته فى غزلها، ونسجت منه قميصاً، فلبسته.. قال: فنزعت القميص، وباعته، وتصدقت بثمنه، فرجع قلبها إلى الصفاء..[1]

قال رجل للإمام الحسن البصرى: ياأبا سعيد! إنى أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعد طهورى، فما بالى لا أقوم الليل؟ فقال: ذنوبك قيدتك..

وقال أبو سليما الدارانى: لا تفوت أحد صلاة الجماعة إلا بذنب ..

والذنوب أيضا تحرم المسلم العلم النافع، فإن العلم نور يقذفه الله فى القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.. ولما جلس الإمام الشافعى بين يدى الإمام مالك، وقرأ عليه أبوابا من العلم، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال الإمام مالك: إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية..

وقد كان الإمام الشافعى رضى ا لله عنه سريع الحفظ لكل علم يسمعه أو يقرأه، ولما وجد استيعابه للعلم قد قل؛ اشتكى إلى أخيه الصالح سيدنا وكيع رضى الله عنه، فأرشده إلى التحفظ من ترك الذنوب، لأنها تمنع من حفظ العلم، فقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى .:. فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأفهمنى بأن علم الله نور .:. ونور الله لا يؤتاه عاصى

وعلى هذا، فإن العبد إذا لم يترك الذنوب، ويتوب إلى الله منها، فإن الله ينسيه العلم، ويحرمه من بركته ونوره، لأن العلم نور، ولا يطفئه إلا ظلمة المعصية.. فعن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه، للخطيئة يعملها [2]

وكما أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه، فإنه يحرم أيضا الرزق الحلال الطيب.. فما استجلب رزق الله إلا بترك المعاصى والعمل بتقوى الله.. فعن ثوبان رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن الرجل لَيُحرم الرزق بالذنب يصيبه [3]

---

(١)هذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فكلما علا المسلم واقترب من ربه، كلما كان الحساب أشد.. فضوء المشعل ليس ملكاً لها حتى تغزل في ضوئه، وذلك من باب الورع..

(٢)رواه الطبرانى فى الكبير

(٣)رواه النسائى وابن حيان والحاكم وقال: صحيح الإسناد

ولذلك، نرى العارف بالله [١] الشيخ القدوة سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، يوصى أحد مريديه، فيقول:

إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانبسطت الجوارح فى شهواتك، فاعلم أن ذلك لعظيم أوزارك أو لكمون النفاق فى قلبك، وليس لك طريق إلا التوبة والصلاح والإعتصام بالله والإخلاص فى دين الله، ألم تسمع إلى قوله تعالى:

﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله، فأولئك مع المؤمنين﴾ [٢]، ولم يقل من المؤمنين، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها..

---

(١) العارف: هو من أنس بذكر الله تعالى فأوحشه من خلقه، وافتقر إلى الله تعالى فأغناه عن خلقه، وذل لله تعالى فأعزه فى خلقه .. وقيل: العالم يُقتدى به، والعارف يُهتدى به

وقيل: هو الذى لا يكدره شئ ويصفو به كل شئ

وقيل: العارف هو من عرف صفات الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله فى معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله، وصَدَقَ الله تعالى فى جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا هو قد صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريًّا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام فى السر مع الله مناجاته، ورجع إلى مولاه فى كل لحظاته..

يقول الإمام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فى تعريف العارف بالله:

"العارف هو الذى يكون الفقر زينته، والصبر حليته، والرضى مطيته، والتوكل شأنه، والله عز وجل حسبه، ويستعمل جوارحه فى الطاعات، وقطع الشهوات، والزهد فى الدنيا، والتورع عن جميع حظوظ النفس، وألا يكون له رغبة فى الدنيا وشهواتها، فإن كان ولابد فلا تجاوز رغبته كفايته، ويكون صافى القلب من الدنس، وَلِهًا بحب ربه، فارًّا إلى الله تعالى بسره، يأوى إليه كل شئ، ويأنس به كل شئ، وهو لا يأوى إلى شئ (أى لا يركن إلى شئ)، ولا يأنس بشئ سوى معبوده، آخذاً بالأولى والأهم والأحوط فى دينه، مؤثرا الله على كل شئ..

(٢) سورة النساء آية (١٤٦)

ونحب أن نقول: إن الذنوب ليست فقط هي التي تمنع من قيام الليل، وإنما الذى يمنع كذلك أمور أخرى منها:

الحديث بما لايفيد من لغو ولغط بعد العشاء الآخرة، وكذلك ملء المعدة بالطعام وخاصة في وجبة العشاء كما لا يصح أن ينام العبد حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والإستغفار.. ولا ينبغي له أن يدخل النوم إلا وهو على طهارة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا نام العبد وهو على طهارة عرج بروحه إلى العرش، فكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ، فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق.. كما أنَّ الذى لا يعين على قيام الليل كثرة الإهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغالها، وإتعاب الجوارح، وإهمال نوم القيلولة [1] .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: استعينوا بطعام السَّحر على صيام النهار، والقيلولة على قيام الليل [2] ..

(١) أى الظهيرة

(٢) رواه ابن ماجة وابن خزيمة والبيهقى

٢- تناول الشبهات

الحلال المحض بيِّنٌ لا اشتباه فيه، وكذلك الحرام المحض، ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس، هل هى من الحلال أم من الحرام..؟

أما العلماء والصالحون فلا يشتبه عليهم ذلك، ويعلمون من أى القسمين هى.. وكلما تجنب المسلم الشبهات، كلما استبرأ لدينه وعرضه..

ولذلك بين النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه الجامع، تلك الأمور بأوضح عبارة وأدق بيان.. فعن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ (١)لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب (٢)..قال العلماء: هذا الحديث يجمع ثلث العلم..

فالحلال ماظهر وتبين وكنت على يقين منه واطمأن به قلب المؤمن وهو ما أحله الكتاب والسنة، وحللته الأحكام والعلوم الصحيحة وهو بغية المؤمنين وطعمة المتقين ومقام الصالحين، فطلبه جهاد وإطعامه بر والمعاونة عليه تقوى، وأكله عبادة، والمواظب عليه مؤمن تقى..

والحرام ماتبين وانكشف على يقين منه ولم يختلف أحد من المسلمين فيه، ونفر قلب المؤمن واشمأز منه..

والشبهة مااختلف العلماء فيه ولم يجمعوا عليه، أو ما التبس باطنه، فاشتبه لغموض الأدلة أوخفاء الاستدلال فلم يكن بيِّناً، فلم يجمع أهل الظاهر والورع عليه،كما قال صلى الله عليه وسلم

---

(١)أى برأ دينه من النقص ومن الطعن فيه..

(٢)رواه البخارى ومسلم والترمذى

: لايعلمــه كثير من النـاس. فهـذه طعمـة عمـوم المسـلمين، فـإن ابتليـت بهـذا، فخـذ منهـا حاجتك وضرورتك من كل شئ تكن بذلك فاضلا، ويصح لك مقام فى الورع والاستكثار منه والاقتناء منه مكروه وتركــه إذا أمكـن أفضـل، لأن فـى الخبر:"مـن تركـه فقـد استبرأ لدينـه" أى تنزه وتنظف وتفقد دينه واحتاط له.. وقيل إن الإيمان نَزِهٌ نظيف فتنظفوا وتنزهوا. ومعنى التنزه التباعد من الدناءة والأوساخ. ثم قال الحديث: وعِرْضِه، أى استبرأ لعرضه أن يتكلم الناس فيه بسوء ويسبونه إلى فحش.. وقـد جعلت الشبهة طريقا إلى الحرام لأن فـى الخبر **"من يرتع حول الحمـى يوشك أن يقع فيـه"** أى من يطلب الشبهة ويدمن عليها ويستكثر منها يسرع الوقوع فـى الحرام.. ولذلـك يقـول النبى صلى الله عليه وسلم. دع مايريبك إلى ما لا يريبك، فإن الخير طمأنينة وإن الشر ريبة.. ومعنى ذلك دع ما تشك فيه أنه حلال إلى شئ آخر لاشك فيه.. فإن الشر ريبة وليس بيقين، وقد جـاء فـى الحـديث: الإثـم حـوّاز القلوب، أى ما حزَّ فى القلب وأثر فيه، فهو إثم لأن الله تعالى علَّقَ الإثم بالقلب وجعله من أوصافه فى قوله عز وجل :﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [1]، وفى الحديث الشريف:

البِرُّ ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس[2]، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس فدعه(أى اتركه).. والنبى صلى الله عليه وسلم قال:

المؤمنون شهداء الله، وما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح. كما قال تعالى:﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، لأن كراهتك نظر الله إليك دليل على وجود الريبة فيه..

ولذلك كره النبى صلى الله عليه وسلم أن يأكل تمرا من تمر الصدقة، فالصدقة مُحَرَّمـةٌ على النبى وأهل بيته لأنها أوساخ الناس. فعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد تمرة فى الطريق، فقال: "لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها" [3]
وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم: من الوَرِعُ يارسول الله ؟ قال: الذى يقف عند الشبهة..

---

(١)سورة البقرة آية (٢٨٣)

(٢)قال العلماء: لايكون الشئ حلالاً حتى لايتخالج فى القلب منه شئ، وحتى يسكن القلب إليه ويطمئن به..

(٣)رواه البخارى ومسلم

وقد تربى الصحابة الكرام على النهج المحمدى في معاملاتهم وسلوكهم وعلى دقة تحريهم للحلال واجتنابهم للشبهات.. فعن عائشة رضى الله عنها قالت:
كان لأبى أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بلبن، فشرب منه أبو بكر، ثم سأل غلامه: من أين جئت بهذا اللبن؟ فقال: تكهنت لقوم فأعطونى هذا الذى شربت منه، فأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقئ حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء!! ولما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك، قال: أما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا [1]

ولذلك كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتحرزون من الشبهات في المطعم والمشرب خشية ألا يعودوا إلى حالهم.. قال بعضهم: إن العبد يأكل أكلة فيتقلب قلبه فينغل كما ينغل الأديم[2] ولا يعود إلى حاله أبدا.. وقال بعض السلف: تسامحت بلقمة فتناولتها، فأنا اليوم من عشرين سنة إلى خَلْفٍ..
ويقول أحد العارفين: من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه، وذاك فى قوله تعالى :﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[3] ..فأكل الشبهة يظلم القلب ويورث القسوة ويبعد صاحبها عن الله تعالى.. ويقول الولى الصالح سهل بن عبد الله رضى الله عنه:
"من أحب أن يُكاشف بآيات الصديقين، فلا يأكل إلا حلالا، ولا يعمل إلا فى سنَّة أو ضرورة.. ومن أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخير ..
وقد أوضح عبد الله ين عمر رضى الله عنه أن تقبل العبادات مرهون بأكل الحلال، فقال:

---

(١)رواه البخارى

(٢)الأديم هو الجلد.. والمعنى أن العبد إذا أكل أكلة من حرام أو بها شبهه، فإن قلبه يتقلب تقلب الجلد فى النار، وكما أن الجلد لايعود لحاله إذا دخل النار، كذلك القلب الذى مسَّه شئ من شبهة لايعود إلى حاله..

(٣)سورة المطففين آية (١٤)

"لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد، لم يقبل ذلك منكم إلا بورَعٍ حاجز" (١)

وقد اجتمع جماعة من العلماء يتذاكرون: أى الأعمال أشد على النفس؟

فقال بعضهم: الجهاد فى سبيل الله..

وقال بعضهم: الصيام والصلاة

وقال آخرون: مخالفة الهوى والنفس

وقال البعض الآخر: الورع

فأجمعوا على الورع، ورجعوا إلى هذا القول..

يقول الله تعالى: "وأما الورعون فأستحى أن أعذبهم"

ولذلك قال حسان بن أبى سنان: ما شئ عندى أسهل من الورع، قيل وكيف؟ قال: إذا حاك فى صدرى شئ تركته.. وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: أفضل الأعمال والذى نقيم به وجوهنا عند الله عز وجل هو الورع، فقال له أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: صدقت..

وحكى عن وهب اليمانى مما نقل من الزبور أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: قل لبنى إسرائيل أنى لا أنظر إلى صيامكم ولا إلى صلاتكم، ولكن أنظر إلى من شك فى شئ فتركه لأجلى، ذلك الذى أؤيده بنصرى وأباهى به ملائكتى"..

وقد كان بشر بن الحارث يقول: **المال إذا اجتمع من الشبهات لا ينفق إلا فى الشهوات** وقال سرى السقطى رضى الله عنه: لا يصبر على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات فإذا أراد المسلم صحة العبادة، وسلامة الدين، واستقامة القلب، فينبغى أن يتباعد عن المحرمات، وأن يجعل بينه وبينها حاجزا.. وقد خرج الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن يزيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس"ويشرح ذلك أبو الدرداء رضى الله عنه، فى قوله:

---

(١)يعنى بورع عن الشبهات يحجزكم عن تناول ما اشتُبه فيه

إنما التقوى أن يتقى الله العبد فى مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ليكون حجابا بينه وبين الحرام ..

وقال الإمام الحسن البصرى:"مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام.. وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه:

كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام..

وكان الإمام الربانى عبد الله بن المبارك [1] ، المتوفى سنة ١٨١هـ، يقول:

- من اتقى من تسعة وتسعين شيئا ولم يتق من شئ واحد لم يكن من المتقين..

-ومن تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن من التوابين..

-ومن زهد فى تسعة وتسعين شيئا ولم يزهد فى شئ واحد فليس هو من الزاهدين..

- ومن عفا فى تسعة وتسعين شيئا ولم يعف فى شئ واحد لم يكن من العافين..

قال على بن الحسن بن شقيق: سمعت عبد الله بن المبارك يقول:

"لأن أرد درهما من شبهة أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ تسعمائة ألف".. [2]

فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من الطاعة، وأخلصها تأثيرا تناول الحرام.. وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها ..

ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة ،

وكم من نظرة منعت قراءة سورة ،

---

(١)عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ: هو الإمام الربانى الحافظ الزاهد ذو المناقب الكثيرة، أدرك طائفة من التابعين، جمع بين العلم والفقة والأدب والنحو واللغة والشعر وفصاحة العرب مع قيام الليل وشدة العبادة، كان كثير الانقطاع فى الخلوات، شديد الورع، كان يحج عاماً ويغزو عاما، كانت له تجارة واسعة وكان ينفق على الفقراء فى السنة مائة ألف درهم، قال عنه الولى الزاهد الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ: ورب هذا البيت، مارأت عيناى مثل ابن المبارك. توفى فى رمضان سنة ١٨١ هـ وهو عائد من الغزو فى سبيل الله، ودفن بقرية بهيت، بلد بالعراق وقبره ظاهر يزار، رحمه الله تعالى.. ومن أقواله: كن محبا للخمول كارها للشهرة، ولا تظهر من نفسك انك تحب الخمول فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك، يخرجك عن الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة..

(٢)صفوة الصفوة جـ ٤ صـ ١٣٩

وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة ..

وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات..

والمال إذا جمع من الشبهات، فإنه يبعد صاحبه عن الصدق والإخلاص في القول والعمل.. وتقتضى النفس أن تظهر به الطاعات ليكون لها المنزلة والجاه والقدر عند الناس..!! وهذا يسقط الأعمال..

قال أبو نصر التمار أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث(٢٢٧هـ) وقال: قد عزمت على الحج [١] فتأمرني بشئ؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم.. قال بشر: فأى شئ تبتغي بحجك؟ تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال الرجل: ابتغاء مرضاة الله.. قال بشر: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى، أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس: **مديون يقضى دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغنى عياله، ومربى يتيم يفرحه**، وإن قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل.. **فإن إدخالك السرور على قلب المسلم، وإغاثة اللهفان، وكشف الضر، وإعانة الضعيف، أفضل عند الله من مائة حجة بعد حجة الإسلام**. قم فأخرجها كما أمرناك، وإلا فقل لنا مافي قلبك، فقال: ياأبا نصر، سفرى أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله، وأقبل عليه، وقال له: "**إن المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضى به وطرا، فأظهرت الأعمال الصالحات، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين**".. [٢]

أما إذا جمع العبد المال من حلال، فإنه يوفق لفعل الخيرات وعمل الصالحات ويكون كذلك أقرب إلى رضوان الله ومغفرته ..

روى أن التابعي الجليل عبد الله بن المبارك رضى الله عنه خرج ذات سنة إلى سوق بغداد بخمسمائة دينار ليتجهز للحج، وبينما هو يشترى أدوات وتجهيزات الحج، جاءته امرأة صالحة

---

(١)حج نافلة

(٢)إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي رضى الله عنه جـ٣ صـ ٣٤٨

وقالت له: أنا امرأة شريفة علوية (يعنى من نسل سيدنا على والسيدة فاطمة رضى الله عنهما) وعندى أيتام ما أكلوا منذ أربعة أيام، فهل معك ما أسد به رمقى ورمق أولادى؟ فبكى سيدنا عبد الله بن مبارك، ودفع لها الدنانير كلها، فقالت له: هذا كثير و لم أطلب منك كل هذا المال؟ فقال لها: استحلفك بالله، إن احتجت إلى مزيد من المال، فأنا تحت إمرتك، وسوف أواصل العون إن شاء الله حتى يكبر الأولاد، فرفعت يديها إلى السماء داعية له .. [١]وعلى هذا، فقد آثر القعود و لم يخرج للحج ذلك العام ..

فلما رجع اخوانه الحجاج من أداء الفريضة، خرج لملاقاتهم لتهنئتهم بالعودة، فكان كلما قال لواحد منهم: تقبل الله حجك، يرد عليه قائلا: وأنت تقبل الله حجك.. فتعجب من ذلك لأنه فى الحقيقة لم يذهب للحج، حيث صرف الدنانير كلها لتلك العلوية.. فلما نام تلك الليلة، رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وهو يقول لعبد ا لله: مم تتعجب ؟ قال يارسول الله: إن الحجاج يقولون لى: وأنت تقبل الله حجك، مع أننى تخلفت عن الحج هذا العام، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: يا ابن المبارك، لا تعجب فقد وقفت معهم على عرفات وكتب الله لك حجة هذا العام، فإنى سألت الله عز وجل أن يخلق ملكا على صورتك فهو يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة، فإن شئت فحج وإن شئت فلا تحج [٢]..

---

(١)صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من اصطنع إلى واحد من أهل بيتى معروفا فعجز عن مكافأته كنت أنا المكافئ عنه يوم القيامة .

(٢)(نزهة المجالس ومنتخب النفائس) لعبد الرحمن الصفورى الشافعى من علماء القرن التاسع الهجرى .رحمه الله تعالى..

• الباب الخامس

فضل ذاكر الله فى الغافلين

من أحب الأعمال إلى الله فضيلة التفرد بذكر الله فى وقت من الأوقات لا يوجد فيه ذاكر له..

فالذاكر لله فى وقت غفلة الناس، رجل قد كمل إيمانه وصح صدقه مع ربه، فهو لم يكتف بذكر الله كما يذكر الناس فى أوقاتهم المفضلة، إنما يزيد عليهم فيتحين الأوقات المحببة إلى الله والتى يشق على كثير من الناس ذكر الله فيها، فيختلى بربه منيبا إليه مؤتنسا به.. لعله يظفر بثواب لا حدود له ومكانة لا تدانيها مكانة..

وقد قال العلماء أن فى إحياء الوقت الذى يغفل عنه الناس بالطاعة فوائد جمة:

أولاهـا: أنه يكون أحمى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لاسيما الصيام فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء.. وكان السلف الصالح يستحبون لمن صام أن يظهر ما يخفى به صيامه.. فعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: إذا أصبحتم صياما فأصبحوا مدهين [1]..وقال قتادة رضى الله عنه : 'يستحب للصائم أن يدهن حتى تذهب عنه غبرة الصيام'.. ويروى أن سيدنا عيسى عليه السلام قال: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته وليمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر الناظر إليه فيرى أنه ليس بصائم، وذلك إمعانا فى الخفاء حتى يكون خالصا لوجه الله..وقد قيل: "ماعامل أحد ربه فى السر، إلا ألبسه الله رداءها علانية" [2]

ثانيهـا: أنه أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم، فسهلت الطاعات.. وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس، فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها،ولهذا المعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم: "للعامل منهم أجر خمسين منكم ،

---

(١)يعنى يدهن وجهه بشئ يخفى به أثر الصيام

(٢)ومعناه أن الله هو الذى يتولى نشرها بين الناس (أى فضيلة الإخفاء)

إنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون.."

وقال: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء.."

وفى رواية قيل: "ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس.."

وفى صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

العبادة فى الهرج [1] كالهجرة إلىّ..

وخرجه الإمام أحمد ولفظه:

العبادة فى الفتنة كالهجرة إلىّ..

وسبب ذلك أن الناس فى زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعو إلى دين، فيكون حالهم شبيها بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مرضاته ويجتنب مساخطه، كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به متبعا لأوامره مجتنبا لنواهيه.

ثالثها: أن المنفرد بالطاعة من بين أهل المعاصى والغفلة، قد يدفع الله به البلاء عن الناس كلهم، فكأنه يحميهم ويدافع عنهم.. قال بعض السلف: ذاكر الله فى الغافلين كمثل الذى يحمى الفئة المنهزمة.. ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس لهلك الناس [2]

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

-ذاكر الله فى الغافلين مثل الذى يقاتل عن الفارين..

-ذاكر الله فى الغافلين كالمصباح فى البيت المظلم

-ذاكر الله فى الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الصرير [3]

---

(١)الهرج هو الاختلاف والفتن (٢)هذا رد على من يقول إن الذاكر لا فائدة منه للناس فهو لا يؤدي دورا ذا قيمة لمجتمعه، ولكن ثبت بذلك أن الله يدفع به البلاء عن العباد.. وهل هناك فائدة أعظم من هذا ؟

(٣)أى الذى سقطت أوراقه من شدة البرد

-ذاكر الله فى الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة (وهو حى)
-ذاكر الله فى الغافلين يُغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمْ [١]
-ذاكر الله فى الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبدا.
وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين .. [٢]

ولأن السوق موطن من مواطن غفلة الناس، فقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن ذاكر الله فى السوق له من الأجر والحسنات مالا يدخل تحت حصر..

فعن ابن عمر رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"ذاكر الله فى السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة".. [٣]

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه: "ذاكر الله فى السوق يجئ يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها.."

وقد روى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من دخل السوق، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا فى الجنة.. [٤]

وعن أبى قلابة رضى الله عنه، قال:
التقى رجلان فى السوق، فقال أحدهما للآخر: تعال نستغفر الله فى غفلة الناس، ففعل، فمات أحدهما، فلقيه الآخر فى النوم، فقال: أما علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا فى السوق. [٥]

وقد قيل فى تأويل قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾، أنه يدخل فيها دفعه عن العصاة بأهل الطاعة..

وجاء فى الأثر: أن الله يدفع البلاء بالرجل الصالح عن أهله وولده وذريته ومن حوله.

---

(١)الفصيح هم بنو آدم والأعجم هم البهائم
(٢)رواه البّزار والطبرانى
(٣)رواه البيهقى
(٤)رواه الترمذى ورواه الحاكم أيضا وقال: صحيح الاسناد
(٥)رواه ابن أبى الدنيا وغيره

وفى بعض الآثار: يقول الله عز وجل: أحب العباد إلىَّ المتحابون بجلالى، المشاءون فى الأرض بالنصيحة، الماشون على أقدامهم إلى الجمعات، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، فإذا أردت إنزال عذاب بأهل الأرض، فنظرت إليهم، صرفت العذاب عنهم[1].

وقال مكحول رضى الله عنه: "ما دام فى الناس خمسة عشر يستغفر كل منهم الله كل يوم خمسا وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب العامة.. "

ورأى بعض الأولياء فى منامه من ينشد ويقول:

لولا الذين لهم ورد يصلونا ... وآخرون لهم سرد يصومونا

لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا ... لأنكم قوم سوء ما تطيعونا

وفى مسند النزار عن أبى هريرة مرفوعا: مهلا عن الله مهلا، فلولا عُبَّادٌ رُكَّع وأطفال رُضَّع وبهائم رُتَّع لصب عليكم العذاب صبًّا..

ولفضيلة ذكر الله فى غفلة الناس، واستحباب عمارتها بالذكر والتسبيح والصلاة، كان طائفة من الصحابة الكرام يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة، أى ما بين صلاة المغرب والعشاء.. ويقولون هى ساعة غفلة..

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: نعم ساعة الغفلة، يعنى الصلاة فيما بين المغرب والعشاء[2]، كما ورد أن الدعاء مابين المغرب والعشاء لا يُرد..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عُدِلْنَ بعبادة ثنتى عشرة سنة[3]..وروى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة [4]

وعن حذيفة رضى الله عنه، قال: أتيت النبى صلى الله عليه وسلم، فصليت معه المغرب فصلى إلى العشاء [5]

وروى أبو الشيخ عن الزبير رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١)رواه الطبرانى فى الكبير (٢)أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان.."

(٣)رواه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذى (٤)رواه ابن ماجه والترمذى (٥)رواه النسائى

من جلس من حين يصلى المغرب يذكر الله حتى يصلى العشاء كان مجلسه ذلك روحة في سبيل الله، ومن جلس من حين يصلى الغداة (الصبح) يذكر الله حتى تطلع الشمس كانت مثل غَدْوَةٍ فى سبيل الله عز وجل .. "روحة أو غدوة يعنى غزوة فى سبيل الله"

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه "لطائف المنن والأخلاق" أن صاحب بستان العارفين رحمه الله تعالى، روي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحفظ على العبد الإيمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أحبَّ أن يحفظ الله عليه الإيمان حتى يلقاه يوم القيامة، فليصل كل ليلة بعد سنة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ﴿الإخلاص﴾ ست مرات، و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ مرة ، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ مرة، ويسلم منهما، فإن الله تعالى يحفظ عليه الإيمان حتى يوافى به يوم القيامة..

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه: إن الله يباهى الملائكة بمن يصلى بعد المغرب والعشاء..وعن ابن شاهين والخطيب عن ثوبان رضى الله عنهم، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "من اعتكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة وقرآن، كان حقاً على الله أن يبنى له قصراً فى الجنة" (١)

كما كان السلف رضوان الله عليهم يصلون مابين الظهر والعصر، لأنها ساعة غفلة وانشغال بأمور الحياة. فعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحيا مابين الظهر والعصر أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يحيى ما بين الظهر والعصر..

وعن ابراهيم النخعى رحمه الله أنه قال: كانوا يشبهون الصلاة بين العشاءين وفيما بين الظهر والعصر بصلاة الليل..

كان ذلك دأب كثير من العباد، فيصلون ما فاتهم من صلاة الليل بين الظهر والعصر..ينفردون عن الخلق وينقطعون إلى الحق فى هذه الساعة..وهى ساعة شريفة للخلوة بالرب عز وجل ..

---

(١)جامع الأحاديث للسيوطى

ويستحب الإعتكاف فى المسجد بين الظهر والعصر للصلاة والذكر، ليجمع بين الإعتكاف والإنتظار للصلاة.. إلا إذا كان صاحب نوم وقت القيلولة.. فلينم فى هذه الساعة ليتقوى بها على قيام الليل..

أما بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، فهو الذكر من التسبيح والتهليل والإستغفار والتفكر فى الملكوت وقراءة القرآن، لأن صلاة النافلة منهى عنها فى ذلك الوقت..

روى الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما يذكر من رحمة ربه عز وجل أن الله تعالى قال: يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة، وبعد صلاة العصر ساعة، أكفك ما بينهما، يقول الله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ (١)

أما صلاة الليل فهى تقع فى وقت غفلة الناس جميعا، ماعدا من اجتباهم الله لمناجاته والتقرب إليه.. ولذلك كانوا فى كل عصر وزمان قلة قليلة من الناس، من الذين مَنَّ الله عليهم بذكره.. فقد روى عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة، فينادى مناد فيقول: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب(٢)..

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل"(٣)

ولشدة صلاة الليل، ومشقتها على النفس، وخاصة فى جوف الليل، كان ثوابها عظيما وأجرها كبيرا، لمن حافظ عليها وقام بها احتساب ماعند الله من الثواب..

روى عن أنس رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة، والصلاة بأرض الرباط(٤) تعدل بألفى ألف صلاة، وأكثر من ذلك كله الركعتان

---

(١)سورة طه آية (١٣٠)
(٢)رواه البيهقى
(٣)رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى
(٤)المكان الذى يرابط به المجاهدون فى سبيل الله

يصليهما العبد في جوف الليل لايريد بهما إلا ما عند الله عز وجل"..[1]

وأما صلاة الضحى، فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها، لأنها تقع أيضا في ساعة غفلة.. فإن استطعت أن تقوم بها، كان ذلك مزيدا من الخير والبركة.. وإن لم تستطع فلا حرج عليك.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها..

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لست بتاركهن: أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر [2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صلى الضحى [3] ركعتين لم يكتب من الغافلين

ومن صلى أربعا كتب من العابدين

ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم

ومن صلى ثمانية كتبه الله من القانتين

وما من يوم ولا ليلة إلا لله مَنٌّ يمن به على عباده وصدقة، وما مَنَّ الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره..[4]

ومن هنا، فإن أفضل الأعمال إلى الله وأحبها إليه، أن يختلى الرجل بربه، تاركا مجالس اللهو واللغو والغفلة، فيسبح الله ويحمده ويكبره..

روى الطبراني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أحب العمل إلى الله عز وجل سُبْحَةُ الحديث، فقالوا: يا رسول الله، وما سُبْحَةِ الحديث؟ قال: يكون القوم يتحدثون والرجل يُسبِّح..[5]

وأخرج الديلمي عن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١)رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب "الثواب" (٢)متفق عليه

(٣)صلاة الضحى تقع بعد طلوع الشمس بنصف ساعة حتى ماقبل آذان الظهر بقليل

(٤)رواه الطبراني في الكبير والبزار (٥)رواه الطبراني

" والذى نفسى بيده، إن الله عز وجل ليوحى إلى شجر الجنة أن اشغلى عبادى الذين شغلوا أنفسهم بذكرى عن المعازف والمزامير، فتسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها بالتسبيح والتقديس.. "

وها هو الوَلىُّ الصالح شقيق البلخى المتوفى (٢٦٠هـ) يحدثنا عن ثمرة جهاده وعباداته، فيقول:

طلبنا خمساً فوجدناها في خمس:

-طلبنا ترك الذنوب	فوجدناه فى صلاة الضحى
-وطلبنا ضياء القبور	فوجدناه فى صلاة الليل
-وطلبنا جواب منكر ونكير	فوجدناه فى قراءة القرآن
-وطلبنا عبور الصراط	فوجدناه فى الذكر والصوم والصدقة
-وطلبنا ظل العرش	فوجدناه فى الخلوة ..

• الباب السادس

من ثمرات الذكر

لما أدرك العارفون أن الذكر هو الطريق الموصل إلى الله، انشغلوا به آناء الليل وأطراف النهار.. ولم تفتر قلوبهم عن ذكر محبوبهم، ووجدوا فى ذلك لذة لا تعادلها لـذة، فـالذاكر الذى لا يفتر عن الذكر، إنما يجد حلاوة فى ذكره تعوضه عن نصبه وتعبه.. وهذه الحـلاوة وهذا النعيم لايحس به إلا الذاكرون..

ولذلك نصبوا أقدامهم، وافترشوا وجوههم فى جنح الظلام، يناجون ربهم، ويتملقون إليه بأنعامه، ويحنون إلى محاريبهم كما تحن الطيور إلى أوكارها..

لذلك قال بعض العارفين:

ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهـل الجنة، إلا ما يجده أهل التمـلق فى قلوبهـم بالليـل من حلاوة المناجاة..

وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا، إنما هى من الجنة، أظهرها الله تعالى لأوليائـه لا يجدها سواهم..

وقال أبو سليمان الدارانى المتوفى سنة ٢١٥هـ: "أهل الليل فى ليلهم ألذ مـن أهـل اللهـو فى لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا.."

وقال أيضا رضى الله عنه:

لو عوَّض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة، لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم ..

قال سيدنا أبو الدرداء رضى الله عنه: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا :

الظمأ لله بالهواجر

والسجود لله فى جوف الليل

ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر..

وقال ابن المنكدر رضى الله عنه:

ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة فى الجماعة

ولقد وصل الحال بالقوم أنهم كانوا لعظيم مايتنعمون به وخاصة فى جنح الليل، أنهم كانوا يحزنون لطلوع الفجر..

قيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالين: أفرح بظلمته إذا جاء، وأغتم بفجره إذا طلع ما تم فرحى به قط..

وقال على بن بكار رضى الله عنه: منذ أربعين سنة ما أحزننى شئ سوى طلوع الفجر ! ..

وقال الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس علىّ..

وقال بعض العارفين:

إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا، فترد الفوائد على قلوبهم، فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين..

وقال بعض العلماء: إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين: إن لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى، ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم، ويذكروننى وأذكرهم، وينظرون إلىّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك..

قال: يا رب وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلى كل حبيب بحبيبه، نصبوا إلىّ أقدامهم، وافترشوا إلىّ وجوههم، وناجونى بكلامى، وتملقوا إلى بأنعامى، فبين صارخ وباكى، وبين متأوه وشاكى، بعينى ما يتحملون من أجلى، وبسمعى ما يشتكون من حبى.. أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم، فيخبرون عنى كما أخبر عنهم...

والثانية، لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم..

والثالثة، أقبل بوجهى عليهم.. أفترى من أقبلت بوجهى عليه، أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه..؟!

ومن ثمار الذكر أنه جعل فى مقابلة الذكر، قال الله تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾، وقد ورد فى الخبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقول: أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم، فقال: وما ذاك ياجبريل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾.. لم يقل هذا لأحد غير هذه الأمة.."

ولمكانة أمة النبى صلى الله عليه وسلم عند الله وكرامتها عنده، أن الله أعطاها أربعا مقابل أربعا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أعطى أربعا أعطى أربعا، وتفسير ذلك فى كتاب الله:

- من أعطى الذكر ذكره الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾
- ومن أعطى الدعاء أعطى الإجابة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ادعونى أستجب لكم﴾
- ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾
- ومن أعطى الاستغفار أعطى المغفرة، لأن الله تعالى يقول:﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾ (1)

ومن العطايا والمنن التى أعطاها الله للذاكر أن ملك الموت لايستأمر أحدا فى قبض روحه، إلا الذاكر، فإن الملك يستأمره فى قبض روحه..

ومن ثمار الذكر أن الذاكر إذا بدأ فى ذكره، فإن الملائكة تبدأ فى غرس الأشجار له فى الجنة، فإذا ما توقف، توقفت الملائكة.. يقول سليمان الدارانى رضى الله عنه:

إن فى الجنة قيعانا، فإذا أخذ الذاكر فى الذكر، أخذت الملائكة فى غرس الأشجار فيها، فربما يقف بعض الملائكة، فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: فتر صاحبى (2)

وقد جاء فى بعض الكتب التى أنزل الله تعالى: إذا كان الغالب على عبدى ذكرى، عشقنى وعشقته..

وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام: "بى فافرحوا(3) ، وبذكرى فتنعموا.."

---

(1)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود رضى الله عنه..

(2)أى توقف صاحبى: الرسالة القشيرية صـ ١٧٥

(3)كان نبينا صلى الله عليه وسلم أكمل من أوتى الفرح بالله.. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:

ولذلك إذا أراد الله إنزال عقوبة بالذاكر، فإن الله يحرمه من ذكره، وتلك عقوبة كبيرة على من تلذذ بذكره وتنعم بتسبيحه وتحميده..

يقول سفيان الثورى رضى الله عنه:

لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر..

ومن ثمرات الذكر أن الشيطان لا يستطيع الدنو منه، لأن أنوار الذكر تحرقه.. قال بعض العارفين: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان، فتجتمع إليه الشياطين، فيقولون مالهذا؟ فيقال قد مَسَّهُ الإنسىُّ..

وإن الذكر ليثمر ثمرته فى الدنيا قبل الآخرة، وتكون له بشارة بأن الله تقبل منه ذكره..

يقول الحريرى رضى الله عنه: كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول:

أ لله..ألله، فوقع يوما على رأسه جذع شجرة، فانشج رأسه، وسقط الدم فاكتتب على الأرض لفظ الجلالة: أ لله..ألله..(١)

وكان خالد بن معدان، المتوفى سنة ١٠٣هـ، يسبح الله كل يوم أربعين ألف تسبيحه سوى ما يقرأ من القرآن. فلما مات وضع على سريره ليغسل، فجعل يشير بإصبعه يحركها بالتسبيح(٢).. وقال عبد العزيز بن أبى راود: كان عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، فماتت، فلما بلغت القبر، أخذت من أيديهم، ووضعت فى القبر (٣)..

=جُعلت قرة عينى فى الصلاة" لما فيها من القرب إلى الله، لأن الصلاة فضل من الله، وبارزة من عين منة الله، فكيف لاتكون قرة العين بها ؟ وكان فرحة صلى الله عليه وسلم فيها بالله، وفى قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ أى قل لأمتك فليفرحوا بالإحسان والفضل من الله، وليكن فرحك أنت بالمتفضل وهو الله تعالى..

(١)الرسالة القشيرية باب الذكر

(٢)ونقول:وليس ذلك بكثير على أولياء الله الذين بذلوا المهج والأرواح فى سبيل مرضاة ربهم والتقرب منه، فكانت لهم الكرامات فى الدنيا وصحبة الأنبياء والصديقين والشهداء فى الآخرة.. فأولياء الله أحياء عند ربهم، وربما يسبق بعض الأولياء الشهداء فى منازلهم، وذلك فى قول الله عز وجل: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا﴾ النساء آية (٦٩)، وفى قول الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ آل عمران آية (١٦٩)

(٣)"جامع العلوم والحكم" للشيخ أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى من علماء القرن الثامن الهجرى

وهذا يعنى أن الله أرسل ملائكة يحملونها إلى قبرها تكريما لها لكثرة تسبيحها وذكرها لله فى حياتها، وهذا من البشريات العاجلة لأولياء الله الذين أفنوا أعمارهم فى ذكر الله، عدا ما أعده الله لهم من نعيم فى الآخرة.. ولنقرأ بشرى الله لهم فى قوله تعالى:

﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم﴾[1]

وكان عبد الله بن غالب، المتوفى سنة ١٥٢هـ، من العباد الذين منّ الله عليهم بكثرة الصيام وقراءة القرآن.. لما مات ودفن، كانت تفوح من قبره رائحة المسك، فرآه رجل من إخوانه فى منامه، فقال: "يا أبا فراس ما صنعت؟ قال: خير الصنيع، قال إلى ماذا صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: **بحسن اليقين، وطول التهجد، وظمأ الهواجر.** قال: فما هذه الرائحة الطيبة التى توجد من قبرك؟ قال: **تلك رائحة التلاوة والظمأ**[2]، قال: قلت أوصنى، قال: اكسب لنفسك خيرا، لا تخرج عنك الليالى والأيام عُطْلاً"[3]

وأصحاب الذكر والسهر فى طاعة الله، يمن عليهم ربهم، إذا دعوه أجاب دعاءهم قبل أن يرتد إليهم طرفهم.. فإن لله عبادا إذا أرادوا أراد.. فأولياؤه أحبابه وهم كالنجوم يضيئون لأهل الأرض، كما تضئ النجوم لأهل السماء..

قال عطاء السلمى رضى الله عنه، وكان من التابعين الأجلاء:

مُنِعْنَا الغيث فخرجنا نستسقى، فإذا نحن **بسعدون**، والذى يناديه الناس **بسعدون المجنون**، فوجدناه جالسا بين المقابر، فنظر إلىّ، فقال ياعطاء: أهذا يوم النشور أو بعثر ما فى القبور؟ فقلت: لا، ولكن منعنا الغيث، فخرجنا نستسقى، فقال يا عطاء: بقلوب أرضية، أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات يا عطاء! قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا، فإن الناقد بصير.. ثم رمق السماء بطرفه وقال:

إلهى وسيدى ومولاى، لاتهلك بلادك بذنوب عبادك، ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وما وارت الحجب من آلائك، إلا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا، تحيى به العباد، وتروى به البلاد، يا من

---

(١)سورة يونس آية (٦٤)

(٢)التلاوة أى تلاوة القرآن ليلا ونهارا، والظمأ أى كثرة الصيام نفلا فى أيام الحر وغيرها..

(٣)بجردا من كل خير ومن كل عمل صالح

هو على كل شئ قدير.. قال عطاء: فما استتم كلامه، حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت بمطر كأفواه القرب، فولى، وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدونا .:. إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبا .:. فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى .:. حسب الناس أن فيهم جنونا

ومن العُبّاد الذين قل أن يوجد لهم نظير، ثابت البنانى رضى الله عنه وأرضاه، كان من أعبد العباد فى عصرة ومن المتفرغين لعبادة ربهم ، أعطاه الله من فضله، ومنَّ عليه من نعمة العبادة، ماتقر به الأعين، وتسعد به القلوب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.. عاصر سيدنا أنس بن مالك فى البصرة، وكان سيدنا أنس يقول لإخوان ثابت الذين يزورونه: أين ثابت؟ إن ثابتا دُوَيْبَّة أحبها..

ذكر الأمام أبى الفرج بن الجوزى فى كتابه "صفة الصفوة" الجزء الثانى، ما شهد به إخوان ثابت الذين عاصروه ورأوا عبادته..

قال هشام (رفيق ثابت): "ما رأيت قط أصبر على طول القيام والسهر من ثابت".. وقال مبارك بن فضالة: "كان ثابت البنانى يقوم الليل ويصوم النهار".. وكان يسمع ثابتا وهو يقول: "ما شئ أجده فى قلبى ألذ عندى من قيام الليل.. وما تركت فى المسجد الجامع سارية إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت عندها.."

قال سهل بن أسلم: "كان ثابت البنانى يصلى كل ليلة ثلاث مائة ركعة، ثم يقول: مضى العابدون وقُطع بى والهفاه.."

عن شعبة قال: "كان ثابت البنانى يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ويصوم الدهر.. ولكثرة صلاته وقراءته القرآن، أعطاه الله الصلاة وقراءة القرآن فى قبره .."[1]

قال شيبان بن جسر عن أبيه قال: "والله الذى لا إله إلا هو، أدخلت ثابتا البنانىلحده

---

(١)قال الصالحون من عباد الله: الذاكر ربه حياته متصلة دائماً لاتنقطع بالموت.. فهو حيٌّ، وإن مات، لأنه شهيد الحق.. والشهداء أحياءٌ عند ربهم.. فكم من ميت حيّ، وكم من حيٍّ ميت.

ومعى حميد الطويل ورجل آخر.. قال: فلما سوينا عليه اللبن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلى فى قبره.. فقلت للذى معى ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته، فقلنا لها: ما كان عمل ثابت؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها. قالت: **كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر، قال فى دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينيها**. فما كان الله عز وجل ليرد ذلك الدعاء..

وقال ابراهيم المهلبى: حدثنى الذين كانوا يمرون بالمقبرة بالأسحار، قالوا: كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعناه يقرأ القرآن من داخل القبر..

وكان من الذين أنعم الله عليهم بحب الطاعة والصبر عليها، والإجتهاد فيها، عمران بن مسلم المتوفى سنة ١٥٤هـ، هذا التابعى الجليل الذى بارك الله له فى ليله، فكان يقوم الليل كله إلا قليلا، راكعا، ساجدا، تاليا للقرآن.. فكان له من الله النعيم الأبدى والحياة الطيبة فى دار الخلد.. قال أحدهم: حدثتنى بنت عمران عن أبيها، قالت: كان قد عاهد الله أن لا ينام بليل إلا مستغلبا [١]، قالت: قال أبوها: إنى حُبِّبَتْ إلى طاعة الله تعالى طول الحياة، ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن، ماباليت أن لا أعيش فى الدنيا فواقا[٢]، ثم قالت: فلم يزل مجهودا صابرا على ذلك حتى مات رحمه الله..

قالت: فرأيته فى منامى، فقلت: ياأبت، إنه لا عهد لى بك منذ فارقتنا، قال: يا بنية: وكيف تعهدين من فارق الحياة وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؟! قالت: فقلت، يا أبت، كيف حالك منذ فارقتنا؟ قال: خير حال، بُوِّئْنَا المنال، ومُهِّدَتْ لنا المضاجع، ونحن ها هنا يغدى ويراح علينا برزقنا من الجنة. قال: فقلت: فما الذى بلغك هذا؟ قال: **الصبر الصالح وكثرة التلاوة لكتاب الله تعالى..**"

أخى: إذا لم يعط الله عز وجل مثل هؤلاء الأولياء مثل تلك العطايا والكرامات، فمن يعطى؟ وإذا لم يبشر مثل هؤلاء العُبَّاد بتلك البشريات فى الدنيا قبل الآخرة فمن يبشر؟ إن الله إذا أعطى عبدا صالحا من عباده الصلاة وقراءة القرآن فى القبر لقليل، إذا ما علمنا ما أعده الله لأوليائه وأحبابه من النعيم ومنازل ودرجات تكاد تقترب من درجات الأنبياء..

---

(١)أى إلا إذا غلبه النوم (٢)أى بقدر مابين حلبتين من حلبات الشاة..والمراد من ذلك مدة قليلة

تحدثنا عبدة بنت أبى شوال، وكانت تخدم السيدة رابعة العدوية، فتقول:
كانت رابعة تصلى الليل كله فإذا طلع الفجر، هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها: يانفس كم تنامين وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور..! قالت: **فكان هذا** دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة، دعتنى فقالت: ياعبدة لا **تؤذنى**[1] بموتى أحدا، وكفنينى فى جُبَّتى هذه.. وكانت جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.. قالت: فكفَّنَّاها فى تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه، قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة فى منامى، عليها حلة من إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط أحسن منه.. فقلت: يارابعة، ما فعلت الجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف ؟ قالت: إنه والله نزع عنى، وأبدلت به هذا الذى ترينه على، وطويت أكفانى وختم عليها، ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة.. قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا فقالت: وما هذا من كرامة الله عز وجل لأوليائه. قالت: قلت فمرينى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل، قالت: **عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك..**[2]

ويحدثنا اسحق بن ابراهيم قال: أخبرنا عمار الراهب، وكان والله من العاملين لله فى دار الدنيا، قال: رأيت مسكينة الطفاوية فى منامى، وكانت من المواظبات على حلق الذكر، فقلت: مرحبا يا مسكينة مرحبا.. فقالت: هيهات يا عمار هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر. قُلْتُ: هيه، قالت: أما تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها تظل فيها حيث تشاء!! قال: قلت: وبم ذاك يرحمك الله ؟ قالت: **بمجالس الذكر والصبر على الحق**..قال عمار: وكانت رحمها الله تحضر معنا مجلس ذكر عيسي بن زاذان بالأُبَلَّة[3] تنحدر من البصرة ماشية حتى تأتيه قاصدة..[4]

---

(١)أى لا تخبرى ولا تُعلمى

(٢)صفة الصفوة لابن القيم الجوزى جـ٤، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

(٣)تقع على شاطئ دجلة بالقرب من البصرة

(٤)من كتاب الوصايا للشيخ محيى الدين بن عربى صـ ٢٥٣

ربما يقول قائل: من لنا بهذه النماذج الفريدة، وتلك القمم العالية، في عصر طغت عليه المادة وأفسدته الحضارة، وتغلبت فيه الشهوات، واقتتل الناس على الدنيا ومتاعها!!..

أقول: إن منن الله وعطاءاته لا تنفد، وهباته لا تتوقف.. وإذا أفاض الله على عبد من عباده، فحدث ولا حرج عن العون والمدد واليسر والتيسير.. فإذا ما أكرم الله عبده بحب العبادة، هونها عليه ويسرها له، وذلل له كل صعب، ومنحه كل عون.. كما أن الله يبارك له في وقته وفي نومه وفي طعامه وفي شرابه..

ولذلك لا نرى أحدا منهم ينسب الفضل لنفسه، بل ينسبه لله عز وجل، فالله هو الذي يمد أولياءه بالقوة والعطاء والمنن.. ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ (١)

وهؤلاء العباد يكونون في كل عصر ووقت قلة قليلة، لأن الأرض لا تخلو من صالحين عابدين مخبتين، بهم تعمر الدنيا ويغاث الناس، ويمنع الله بهم البلاء والعذاب عن أهل الأرض.. وإذا خلت الأرض من هؤلاء العُبَّاد، فإن ذلك يكون نذيرا بإفناء الأرض وإنهاء دورها..

سلام الله على تلك الأرواح الطاهرة..

ورحمة الله على أصحاب تلك القلوب الربانية..

رضي الله عن تلك النفوس الزكية.. تلك التي أنست بربها واشتغلت بعبادة ربها، فأفاض الله عليها من منحه وفضله ما تقر به الأعين وما تسعد به عند لقاء محبوبها..

تلك النفوس التي عمرت أوقاتها بذكر الله وعبادته وطاعته والتفاني في مرضاته، حتى أفاض الله عليها من أنواره وعطاياه ما جعلهم كالشموس تعطي الدفء للناس، وكالأقمار تضيء للناس ليلهم..

متعنا الله بصحبتهم في الآخرة، وألحقنا بهم في الصالحين..

---

(١)سورة يونس آية (٥٨)

● الباب السابع

عقوبة تارك الذكر

قد يظن بعض الناس أن تارك الذكر ينجو من عقوبة الله.. فهناك كثير من الناس يكادون لا يحسون بما يقع عليهم من عقوبات بسبب تركهم للذكر، فالقلب الميت لا ينفع فيه الطرق ولا يحس بما يقع عليه أو ينتفع بشيء.. فحياة المسلم فى قلبه لا فى جسده.. ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ (١)

لكن الإنسان الذاكر الذى رتب لنفسه أورادا وأذكارا، مداوما عليها، فإنه يكاد يحس بالضياع والتيه إذا ما أهمل تلك الأذكار، فإهمالها أو التكاسل عنها تجعله يفقد أنوارا وتجليات يفيض بها قلبه عند الذكر وبعده..

يحدثنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، فيقول:

شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير ليلة، فنام عن ورده، حتى أصبح.. فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى! أوجدت داراً خيرا لك من دارى، أم وجدت جواراً خيرا لك من جوارى.. فوعزتى وجلالى، يايحيى، لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة، لذاب شحمك، ولبكيت الصديد بعد الدموع، وللبست الجلد بعد المسوح (٢)

لذلك فإن العارفين الذين ملأوا حياتهم بالذكر وامتلأت قلوبهم بالأنوار، إذا ما انقطعوا عن الذكر، لسبب من الأسباب، فإنهم يحسون بفقدان قلوبهم وضياع الحلاوة من عبادتهم، ولذلك قيل: **"عقوبة العارف انقطاعه عن الذكر"**، بمعنى أن العارف إذا ما قصَّر فى عبادة أو أذنب ذنبا ولم يسرع بالرجوع إلى ربه، فإن الله يحرمه من الذكر، ومن الجلوس فى حضرته.. وتلك لعمرى عقوبة لايحس بها إلا أمثالهم..

ولذلك يقول الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧هـ، وهو من العارفين الأجلاء:

---

(١)سورة الحج آية (٤٦)

(٢)إحياء علوم الدين" للإمام أبى حامد الغزالى جـ١ صـ ٣٢٢

"إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك!! ..

فأولياء الله يرون أن مملكتهم وحياتهم هى دوام الذكر وعدم الإنقطاع عنه، فإذا ما حُرِمُوا من هذا النعيم وتلك اللذة، فإنهم يعتبرون أن جنتهم أغلقت دونهم، وأن إمدادات الله توقفت عنهم.. عندئذ يفرون إلى الله، نادمين معتذرين، لعل الله أن يعيد إليهم أنسهم وتلذذهم به.. [1]

وقد كان رجل فى بنى اسرائيل أقبل على الله ثم أعرض عنه، فقال: "يارب كم أعصيك و لم تعاقبنى؟ فأوحى الله تعالى إلى نبى ذلك الزمان أن قل لفلان: كم أعاقبك وأنت لا تدرى؟ ألم أسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة مناجاتى ! ..

وعن مالك رضى الله عنه قال: جاء فى بعض الكتب أن الله عز وجل يقول:

إن أهون ما أنا صانعه بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه، فعقوبة تارك الذكر قد تكون قساوة فى القلب، أو جمودا فى العين، أو تعويقا عن طاعة الله، أو وقوعا فى ذنب، أو فترة فى الهمة، أو سلب لذاذة المناجاة..

ولذلك كان ابراهيم بن أدهم المتوفى سنة ٢٦٢هـ يقول:

لو يعلم الناس ما نحن فيه من النعيم [2] لقاتلونا عليه بالسيوف ..

ولذلك قيل: إن من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن تراه ساهيا لاهيا لاغيا، معرضا عن ذكر الله.. وتلك لعمرى أنها لمن أعظم العقوبات التى ينزلها الله بعبد من عباده فتجعله بعيدا عن رحمة الله وبره وفضله..

فالذكر هو سبب حياة القلوب، وتركه سبب موته.. وفى الحديث الشريف:

مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت. [3]

---

(١)راجع باب "مايعطلك عن الذكر"   (٢)نعيم الذكر والجلوس فى حضرة الله

(٣)رواه البخارى ومسلم.. فى هذا التمثيل منقبة جليلة للذاكر وفضيلة نبيلة، وأنه بما يقع منه من ذكر الله عز وجل فى حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار ويصل إليه من الأجر الوفير.. كما أن التارك للذكر، وإن كان فى حياة ذاتية، فليس لها اعتبار، بل هو شبيه بالأموات الذين لا يفيض الله عليهم بشئ مما يفيضه على الأحياء المشغولين بالطاعة لله عز وجل.. ومثل ما فى هذا الحديث قوله تعالى: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾.. والمعنى تشبيه الكافر بالميت، وتشبيه الهداية إلى الإسلام بالحياة..

وفى ذلك يقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى فى "الحِكَم:"

"من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات والطاعات، وترك الندم على ما فعلت من وجود الزلات"

ويشرح ذلك العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسينى، فيقول:

موت القلب سببه ثلاثة أشياء: حب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله، وإرسال الجوارح فى معاصى الله.. وسبب حياته ثلاثة أشياء: الزهد فى الدنيا، والإشتغال بذكر الله، وصحبة أولياء الله، وعلامة موته ثلاثة أشياء:

-عدم الحزن على مافات من الطاعات

-وترك الندم على ما فعلت من الزلات

-وصحبتك للغافلين عن ذكر الله..

وذلك لأن إتيان الطاعة من العبد عنوان السعادة، وصدور المعصية علامة الشقاوة.. فإن كان القلب حيا بالمعرفة والإيمان آلمه ما يوجب شقاوته، وأفرحه ما يوجب سعادته..

فصدور الطاعة من العبد علامة على رضا مولاه، وصدور المعصية علامة على غضب الله ..فالقلب الحى يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح، وما يسخطه عليه فيحزن.. والقلب الميت لا يحس بشيء، قد استوى عنده وجود الطاعة والمعصية، لا يفرح بطاعة وموافقة، ولا يحزن على زلة ولا معصية.

يوضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف:

"من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن" (١)

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فأشاح بيديه فأطاره ..

وقد بين القرآن الكريم أن هناك فرقا بين من شرح الله صدره للإسلام واستضاء بنوره، وبين من أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره، ولم يصغ لإستماع الحق وإتباع الهدى.. فقال تعالى:

---

(١)رواه الطبرانى فى الكبير وابن عساكر فى تاريخه عن أبى أمامه وعمر رضى اله عنهما

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور﴾ (٢)

فالإعراض عن ذكر الله وما أنزله على رسله من الشرائع والأحكام، يسبب لصاحبه المعيشة القاسية الشديدة، وإن تنعم ظاهره، كما أنه يحشر يوم القيامة أعمى البصر.. فنسيان أمر الله والإعراض عن أمره يجعل حياته فى الدنيا ضنكا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج، وإن بدا ظاهره مُنَعَّماً، ولبس أحسن الثياب، وأكل لذيذ الطعام، وسكن أفخم القصور والبيوت..

فالعبرة بحياة القلب واتصاله بربه، لا بالجسد المنعم ولا بحياة القصور (٣).. وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (٤)

كما أن من يعرض عن ذكر الله، فإن الله يقيض له شيطانا، يصحبه أنى ذهب أو رحل والشيطان بئس القرين.. وإذا ما صحب الشيطان إنسانا، فهو يأمره بكل معصية ويزين له كل شر، يقول تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ (٥)

ولذلك حث القرآن الكريم النبى صلى الله عليه وسلم ألا يصحب أو يطيع الغافلين عن ذكر الله، المتبعين لأهوائهم، الناسين لربهم، فقال تعالى:

---

(١)سورة الزمر آية (٢٢) (٢)سورة فاطر آيات (١٩ - ٢٢)

(٣)ومن هنا كانت حوادث الانتحار الكثيرة فى دول أوربا وغيرها والتى تعيش فى رفاهية من العيش وتنعم بقمة الحضارة والتقدم، لأن العبرة ليست بالتقدم المادى فحسب، إنما الأمر أولا وآخرا صلة العبد بربه وكيف تكون.. وهم محجوبون عن ذلك..

(٤)سورة طه آيات (١٢٤ - ١٢٦) (٥)سورة الزخرف آية (٣٦)

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ [2]

والمكان الذى ليس فيه ذاكر لله، يخاف أن يخسف به.. ولذلك كان السلف رضوان الله عليهم، يسرعون بالخروج من السوق لأنه شر مكان فى الأرض ففيه الكذب والخيانة والحلف واليمين الكاذبة والغش والخداع إلى غير ذلك مما يكرهه الدين.

ولهذا يحكى لنا الأمام الغزالى رضى الله عنه وأرضاه فى كتابه "الإحياء "[3] أنَّ بعض الصالحين قال: "خرجت يوما إلى السوق ومعى جارية حبشية، فاحتبستها فى موضع بناحية السوق، وذهبت فى بعض حوائجى، وقلت لها لا تبرحى حتى أعود إليك، قال: فلما عدت، لم أجدها فى الموضع، فانصرفت إلى منزلى وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتنى عرفت الغضب فى وجهى، فقالت: يا مولاى، لا تعجل علىَّ، **إنك أجلستنى فى موضع لم أر فيه ذاكرا لله تعالى، فخفت أن يَخْسِفَ الله بذلك الموضع**، فعجبت لقولها، وقلت لها: أنت حرة لوجه الله تعالى .. ولذلك يحذرنا النبى صلى الله عليه وسلم من الأعمال التى تسبب قسوة القلب، فصاحب القلب القاسى أبعد ما يكون عن الله..

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، **فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب**، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى[4]

وقد مدح الله رجالا لم تشغلهم الدنيا وزينتها وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذى هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذى عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، فقال فى شأنهم:

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ [5]

---

(١)سورة الكهف آية (٢٨)
(٢)سورة النجم آية (٢٩)
(٣)الجزء الرابع صـ ٣٥٤
(٤)رواه الترمذى والبيهقى "الترغيب والترهيب"
(٥)سورة النور آية (٣٧)

عن سالم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان فى السوق، فأقيمت الصلاة فأغلق التجار حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر، فيهم نزلت ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾

قال مطر الوراق: كانوا يبيعون ويشترون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء للصلاة، وميزانه فى يده خفضه وأقبل إلى الصلاة..

وقال مقاتل بن حيان: لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها..

وهؤلاء الرجال الذين يؤثرون الله على تجارتهم ويؤدون حقوق الله على أنفسهم، إنما ﴿**يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ (١)، أى يوم القيامة الذى تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة الفزع وعظمة الأهوال..

ويحذر الله عز وجل المؤمنين أن ينشغلوا بالأولاد والأموال عن ذكره، وذلك عاقبته الخسران والندامة، فيقول عز وجل:

﴿يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (٢)

وأداء الصلاة فى وقتها أفضل عند الله من البيع والشراء، لأنه كما قيل لا خير فى شئ يلهى عن الصلاة.. يقول تعالى:

﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (٣)

عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق: **سيعلم**

---

(١)سورة النور آية (٣٧) (٢)سورة المنافقون آية (٩)

(٣)سورة الجمعة آية (٩)

أهل الجمع من أولى بالكرم، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الخلائق"(١)

وعن الأعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله: ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾، قال: أجورهم يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف فى الدنيا..(٢)

ومن هنا نستطيع القول أن ترك الذكر لا رخصة فيه، ولا عذر لأحد فى تركه، فقد طلب الله عز وجل من عباده أن يذكروه فى الرخاء والشدة، وفى جميع الأحوال، ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض﴾(٣)، وألا ينسوه أو يتغافلوا عنه لحظه، حتى يقوموا بآداب العبودية والإمتثال لأمره..

قال التابعى الجليل محمد بن كعب القرظى رضى الله عنه، المتوفى سنة ١٤٠هـ: لو رُخِّصَ لأحد فى ترك الذكر، لرخص لزكريا عليه السلام، فى قوله تعالى:

﴿قال رب اجعل لى آية (٤)، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار﴾ (٥)

ولهذا، فإن أهل الذكر عندما يتفضل الله عليهم بدخول الجنة، فَيُبَوِّئهم المنازل.. إلا إنهم يتحسرون على وقت مر عليهم فى الدنيا تغافلوا فيه عن ذكر الله عز وجل.. لما يجدونه من عظيم المنازل ورفيع الدرجات التى أعدها الله لأكثرهم ذكرا.. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١)رواه الطبرانى (٢)تفسير ابن كثير صـ ٢٩٦ (٣)سورة آل عمران آية (١٩١)

(٤)سيدنا زكريا المتكفل بمريم عليها السلام، رأى من الكرامات التى منحها الله للسيدة مريم الكثير، فدعا ربه أن يهبه ذرية صالحة.. وكان شيخا كبيرا وامرأته عجوزا وعاقرا.. فاستجاب الله دعاءه، وبشرته الملائكة أن الله سيهبه غلاما اسمه يحيى.. ثم طلب سيدنا زكريا من الله أن يجعل له علامة على حمل امرأته، فقال الله له.. "علامتك عليه ألا تقدر على كلام الناس إلا بالإشارة ثلاثة أيام بلياليها، مع أنك سوىٌّ صحيح، والغرض أنه يأتيه مانع سماوى يمنعه من الكلام بغير ذكر الله.. ثم أمره الله ألا يمتنع من الذكر أثناء تلك الأيام بلياليها، فقد مُنِعَ الكلام و لم يُمنع عن الذكر لله والتسبيح له.. وهذا يدل على مكانة الذكر عند الله..

(٥)سورة آل عمران آية (٤١)

" ليس يتحسر أهل الجنة على شئ إلا علي ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها " (١)

نقول: إذا كان أهل الجنة يتحسرون على وقت مر عليهم في الدنيا دون أن يذكروا الله فيه، لما يرونه من درجات أجل قدرا وأعظم منزلة.. فما بالك بالغافلين عن ذكره، المعرضين عن مجالس الخير والبر والفضل، فكيف يكون حال هؤلاء عندئذ؟!

ولنقرأ معا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يرويه عنه سيدنا على كرم الله وجهه، والذى يبين فيه كيف أن تارك الذكر من صلاة وصيام وإنفاق وجهاد سوف يندم كثيرا على مافاته فى الدنيا من عبادة لله وذكر له.. وكم سوف يتحسر على ما فاته من نعيم ومنزلة..

فقد روى عن على رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن فى الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولاتبول، لها أجنحة خطوها مد البصر، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال، فيقال لهم:

كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون،

وكانوا يصومون وكنتم تأكلون،

وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون،

وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون (٢)

وإذا كان الذاكر ينعم بذكر محبوبه فى الدنيا قبل الآخرة، فإن تارك الذكر يشقى وتفسد عليه حياته.. وما تلك الصورة التى يشبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يحضر مجلسا ثم يقوم عنه دون أن يذكر الله، إلا بما سيراه فى الآخرة من صور كريهة مذمومة لا يطيقها إنسان، ولا يستسيغها أحد.. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١)أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث معاذ رضى الله عنه، كما أخرجه البيهقى

(٢)رواه ابن أبى الدنيا (الترغيب والترهيب) للإمام حافظ المنذرى

" ما من قوم جلسوا مجلسا وتفرقوا عنه، و لم يذكروا الله فيه، إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة " (١)

وروى ابن شاهين عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما جلس قوم مجلساً فأطالوا الجلوس، ثم افترقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على نبيه إلاَّ كان من الله عليهم تِرَةٌ (٢)إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم"

فما أقسى العقوبات التى يدخرها الله لتارك الذكر، وما أقبح الصور المنفرة التى سيراها تارك الذكر، بدون عذر، وما أشد ندامتة يوم الحساب..

إن ذكر الله عز وجل، دائماً هو زكاة بعض النعم التى أفاءها الله عليك، فإن قصرت فى إخراج الزكاة، فلابد من إنزال عقوبته بك، إما بسلب تلك النعم، أو بحرمانك من الدرجات والمنازل فى الآخرة..

فلا تكن ياأخا الإسلام من الذين يتغافلون عن ذكر الله عز وجل فى كل وقت وحين، حتى لا تقع فى ندامة وحسرة وخسران فى وقت لن تستطيع فيه العودة إلى الدنيا لتجبر ما فاتك من تفريط فى حق الله..

---

(١)رواه الحاكم وأبو داود والترمذى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه..

(٢)أى حسرة

● الباب الثامن

فضائل الشهور وأذكارها

تمهيد لابد منــه

ثبت من القرآن الكريم والسنة النبوية أن الله فضل بعض الشهور علـى بعـض، كالأشـهر الحرم الأربعة وهى رجب و ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم.. وجعلها الله حُرُماً لأن الله حـرم فيها القتال، حتى يتهيأ المسلمون للسفر إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج. ومن فاته الحج فعليه إن استطاع أن يقوم بعمرة في شهر رجب، وقد اختار الله شهر رجب للإعتمار فيه، لما له من مكانة وحرمة عند الله.. كما فضل الله شهر رمضان على سائر الشـهور، لمـا لـه مـن مكانة وقدر، حيث أنزل فيه القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وحيث أن هذه الشهور لها المكانة والحرمة عند الله، فقد رغـب الله عـز وجـل عبـاده أن يتقربوا إليه فيها بمختلف الطاعات والأذكار وغيرها من أنواع القربات..

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر فيها بأذكار وأدعية مخصوصة، فقد أعطى السـيدة عائشة رضى الله عنها دعاء خاصا بليلة القدر [1]، كما أمـر الصحابـة بأدعيـة خاصـة بليلـة عرفـة ويوم عرفة وليلة النصف من شعبان وغير ذلـك مـن الأيام والليـالى الفاضلـة سوف نذكرهـا فـى الصفحات القادمة..

ثم جاء الصحابة الكرام فزادوا بعض الأدعية والأذكار.. وهذا مما أقره الشـرع.. لأن الشـريعة ترحب بكل زيادة تتفـق مـع الكتـاب والسـنة.. والنبـى صلـى الله عليـه وسـلم فتـح البـاب لكـل فتوحـات يفتح الله بها على أهـل العلم وأهل الصلاح، فقال: "من سن سـنة حسـنة، فلـه أجرهـا وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة" [2]

جاء فى صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع الزرقى، قال:

---

(١)ثبت أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم: أرأيت إن وافقت ليلة القـدر، مـاأقول فيها، قال: قولى: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى.."

(٢)رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه

كنا نصلى يوما وراء النبى صلى الله عليه وسم، فلما رفع رأسه من الركعة قال: "سمع الله لمن حمده"، فقال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف، قال: من المتكلم؟ قال: أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول.."

قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى: واستُدلَّ به على جواز إحداث ذكر فى الصلاة غير مأثور إذا كان لا يخالف المأثور ..

فقد روى أبو داود والنسائى فى حديث أنس رضى الله عنه أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يصلى، ثم دعا الرجل، فقال فى دعائه: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، ياحىّ، يا قيوم.. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى.."

كما روى الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته، ويقول:

يا من لا تراه العيون ولا يخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل واشرق عليه النهار لا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر ما فى قعره ولا جبل ما فى وعره، اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتيمه وخير أيامى يوم ألقاك فيه.. فلما انصرف دعاه النبى صلى الله عليه وسلم ووهب له ذهبا أهدى إليه وقال له: وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل..

فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يكتف بإقرار هذا الأعرابى على الدعاء الذى أنشأه، بل أعطاه عليه جائزة، لأنه أحسن فيه الثناء على الله تعالى [1]

ثم جاء التابعون ومن بعدهم، فأضافوا أذكارا وأدعية وصلوات نافلة، وكل ذلك رغبة فى القرب من الله، ولمزيد من الخدمة لجناب الله، وكل على قدر ما أعطاه الله من فتح وفيوضات، وكم من عبد يسر الله عليه عبادته، وهون عليه طاعته، فأصبح والها عاشقا لا

(١)من كتاب "إتقان الصنعة فى تحقيق معنى البدعة" للشيخ عبد الله بن الصديق الغمارى

يستكثر شيئا على الله، فباع نفسه لله، فاشتراها الله منه بأربح الأثمان وأغلاها، ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (١)

وكل هذه الأذكار والصلوات تدخل فى باب التطوع.. فإذا أقدرك الله عليها، فتلك نعمة أنعمها الله بها عليك، وليس هناك من صدقة أفضل من أن يتصدق الله بها على عبده فيلهمه ذكره.. وإذا لم تستطع، وأخذت منها ما تيسر عليك، فلا حرج ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها..

وإذا لم تستطع إلا أن تؤدى الصلاة والنوافل المعتادة، فلا لوم عليك، ولا ضيق ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ (٢)

وإذا قال البعض أن بعض تلك الأحاديث ضعيفة، فقد جاءت هذه الأعمال فى (باب الفضائل) والعلماء أجمعوا على أن الحديث الضعيف يؤخذ يه فى الفضائل ونحوها بلا تثريب، وهو ما نقله الأمام النووى وذهب إليه ابن الصلاح، وهو ما جاء عن السلف كالثورى وابن عيينة، والإمام أحمد، وابن المبارك، وابن مهدى، وابن معين (٣)..

والحديث الضعيف، كما يقول فضيلة الشيخ محمد زكى ابراهيم رائد العشيرة المحمدية، هو حديث تحققت فيه بعض شروط الصحة، وإن تخلفت شروط أخرى فيه، فهو غير مجرد من الصحة.. وهذا هو الفرق العلمى الكبير بينه وبين الحديث الموضوع!!

ثم إنه قد تبين أنه كم من أحاديث قيل عنها أنها ضعيفة، خرجها بعض علماء الحديث وأثبتوا أنها حسنة، وليس بها ضعف.. كما قيل عن أحاديث "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالى.. فقد قالوا إن الحافظ العراقى خرج أحاديث الإحياء، وبين أن بعضها "لاأصل له" وبعضها "ضعيف" ولكن شيخ الإسلام الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله ذكر فى تعليقه على كتاب "المنقذ من الضلال" أن الإمام الزبيدى الذى قام بشرح الإحياء، بين أن الأحاديث التى قال عنها الحافظ

---

(١)سورة التوبة آية (١١١)

(٢)سورة الاسراء آية (٨٤)

(٣)قال الإمام أحمد رضى الله عنه: "العمل بالحديث الضعيف أحب إلى من آراء الرجال" بمعنى أنه يتبع الحديث ولو كان ضعيفا، ويترك قول من منع ولو أقام الحجة على ذلك بالعقل..

العراقى لا أصل لها أو ضعيفة، أنها ضعيفة من الوجه الذى رواها به، ولكنها هى نفسها حسنة أو قوية من وجه آخر، وبيَّنَ الإمام الزبيدى هذا الوجه الآخر..[1]

والنبى صلى الله عليه وسلم يحض أمته على أن تأخذ طريق الرقى والعلو حتى تصل إلى أعلى الدرجات والمنازل، فمن أتى من أمته بحكمة أو بقول يتمشى مع الكتاب والسنة، فالرسول لا يمنعه، ولا يحجر عليه، بل إن ذلك من الأمور التى ترضى الله ورسوله..

وقد عصم الله أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجتمع على ضلالة أبدا، فعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم:

لن تجتمع أمتى على الضلالة أبدا، فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة [2]

وعن أنس رضى الله عنه، قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم:

إن أمتى لن تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا، فعليكم بالسواد الأعظم [3]

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه، قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم:

"إن الله تعالى أجاركم من ثلاثة خلال:

أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وألا تجتمعوا على ضلالة.." [4]

فإذا كان أولياء الله والصالحون من عباده قد أنشأوا أذكارا وأدعية وصلوات لكل يوم وشهر، ولكل مناسبة لها الفضل والمنزلة عند الله، فما ذلك إلا من باب التقرب إلى الله بالنوافل، وكلنا نعلم أن كثرة النوافل تقرب العبد من ربه وتجلب حب الله له [5].. فالعبد

---

(١)المنقذ من الضلال" لحجة الاسلام أبى حامد العزالى، شرح الشيخ عبد الحليم محمود صـ ٧٥

(٢)رواه الطبرانى فى الكبير (٣)رواه ابن ماجه (٤)رواه أبو داود

(٥)كذلك فإن النوافل تجبر مايحدث من نقص من الفريضة، وذلك فى حديث رسول الله، الذى رواه عنه أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أولماافترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، وآخر مايبقى الصلاة، وأول مايحاسب به الصلاة، ويقول الله: انظروا فى صلاة عبدى، فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة، يقول: انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فإن وجد له تطوع تمت الفريضة من التطوع، ثم قال: انظروا هل زكاته تامة ؟ فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة، قال: انظروا هل له صدقة ؟ فإن كانت له صدقة تمت له زكاته".. رواه أبو يعلى

المحب لا يترك وقتا يمر من عمره دون أن يشغله بفريضة أو نافلة.. وباب النوافل مفتوح على مصراعيه لمن أراد أن يترقى ويصل إلى حب مولاه..

قال بعض العارفين:

لا يفتح على مريد قط إلا من باب إكثاره النوافل من صلاة وصيام، فإنه فى الفرائض عبد اضطرار.. فإنه إن لم يصل الصلوات الخمس متلا عدبه ربه، بخلاف النوافل، فإنه فيها عبد اختيار، فلا يتقرب بها خوفا من عقابه، وإنما ذلك محبة له جل وعلا..

وفى الخبر، قال عيسى عليه السلام: يقول الله تعالى:

بالفرائض نجا منى عبدى، **وبالنوافل تقرب إلىّ عبدى..**

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أول من زادوا من نوافلهم تقربا إلى الله وحبا لجناب الله[1].. وجاء من بعدهم التابعون فأكثروا وزادوا من الصلاة والصيام النوافل، فلم يعترض عليهم أحد، ولم يقل إنهم ابتدعوا شيئا ليس من الدين، وأنهم بذلك خرجوا عن نهج رسول الله !!..وإلى القارئ الكريم الأمثلة على ذلك:

فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أكثر قيامه فى رمضان وفى غيره إحدى عشرة ركعة: يصلى بثمان ويوتر بثلاث، وفى رواية أخرى صحيحة كانت ثلاث عشرة ركعة: يصلى بعشر ويوتر بثلاث... ولما ولى سيدنا عمر بن الخطاب، جمع المسلمين فى صلاة القيام على سيدنا أبى بن كعب رضى الله عنه، فكان يصلى بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث.. وفى زمن سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، كان الناس يصلون القيام بست وثلاثين ويوترون بثلاث.. وقال الإمام مالك رضى الله عنه: الأمر عندنا بتسع وثلاثين، أى (بست وثلاثين ويوترون بثلاث)، وليس فى شئ من ذلك ضيق [2] ، ثم كان طائفة من السلف يصلون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث... فهل ماأحدثه الصحابة والتابعون من زيادة فى صلاة القيام بدعة غير مستحبة أم أن فاعل ذلك مأجور ويثاب عليه؟.. وهل الإكثار من التطوع مكروه أم مستحب؟.. وهل من سن سنة حسنة له أجرها ويثاب عليها أم يحرم من الأجر إذا قام بها ؟..

---

(١)وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسُنتى وسُنة الخلفاء الراشدين من بعدى.. رواه مسلم عن جرير بن عبد الله

(٢)يعنى من استطاع أن يقوم بهذا العدد، فذلك خير، ومن لم يستطع فليس عليه حرج.

لقد مدح الله القائمين بالليل، الساجدين، الراكعين، الساهرين فى طاعته، فقال تعالى:

﴿أمَّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ (٢)

وفى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿فمن تطوع خيرا فهو خير له﴾ (٥)

ولقد رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى الإكثار من صلاة التطوع، فقال:

"الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر، فليستكثر" (٦)

وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه **وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه**".. (٧)

وكما أن الإسلام حث على كثرة صلاة التطوع ابتغاء القرب من الله تعالى، رغب أيضا فى كثرة صيام النافلة، لأن فيه التشبه بأخلاق الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون، والصيام فريضة أو نفلا لاحدود لثوابه، بل يتعدى ثوابه قانون الحساب والعدد.. وكما قال بعض العارفين:

الصلاة تبلغك نصف الطريق

والصيام يوصلك إلى باب الملك

والصدقة تدخلك عليه ..

فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

إن فى الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون لايدخل منه غيرهم ..

وفى رواية: "فإذا دخلوا أغلق.."

وفى رواية: "من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا.."

---

(١)سورة الزمر آية (٩) (٢)سورة الفرقان آية (٦٤)

(٣)سورة الذاريات آية (٥٦) (٤)سورة البقرة آية (١٥٨)

(٥)سورة البقرة آية (١٨٤) (٦)رواه الطبرانى فى الأوسط (٧)رواه البخارى من حديث أبى هريرة

وروى ابن أبى الدنيا عن أنس مرفوعا:
الصائمون ينفح من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها والناس فى الحساب..

وعن أنس رضى الله عنه: "إن لله مائدة لم تر مثلها عين، ولم تسمع أذن، ولا خطر على قلب بشر، لايقعد عليها إلا الصائمون.."

وعن بعض السلف قال: بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس فى الحساب، فيقولون يارب: نحن نحاسب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم..

كما أن صيام التطوع يبعدك كثيرا عن الاقتراب من نار جهنم.. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من صام يوما تطوعا واحتسابا بعَّده الله من النار أربعين خريفا" (١)

فكلما أكثر المسلم من صيام التطوع، كلما أبعده الله من النار، وقربه من الجنة، وأراه نعيما لم يكن يخلد له على بال..

فالإسراف فى العبادة المشروعة، من صلاة وصيام وزكاة وحج مادام فى حدود الوسع والطاقة، ولم يتعد إلى الوقوع فى النهى أو الإضرار بالنفس أو الأهل أو المال، لا نعتقد إلا أنه امتثال وطاعة وقربة وفضيلة ومكرمة وفعل خير يندرج تحت نصوص عامة كثيرة دلت على جواره، بل وعلى استحباب الإكثار منه..

ولهذا فإن الإسلام يحترم الإجماع، مادام متمشيا مع الكتاب والسنة، لأن أمية النبى صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة أبدا..

ولذلك لما سئل عطاء بن أبى رباح (٢)رضى الله عنه عن شئ فى العبادات، أجاب عنها، قال له السائل: عمن هذا؟ فقال له عطاء: **"ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الإسناد"** (٣)

---

(١)(أى أربعين سنة) رواه ابن زنجويه عن جرير رضى الله عنه

(٢)عطاء بن أبى رباح فقيه الحرم والبطاح. وكانت حلقة الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء بن رباح . وقدم ابن عمر مكة، فسألوه، فقال: تجمعون لى المسائل وفيكم عطاء بن أبى رباح ؟

(٣)حلية الأولياء جـ ٣

ولما انتهى القرن الثانى الهجرى وبدأ القرن الثالث، كانت العزائم قد ضعفت، وقصرت الهمم، واستولت الغفلة على القلوب، وانشغل الناس بأمور الدنيا وشهواتها.. فظهر أهل التصوف يدعون الناس إلى العودة إلى منهاج الله وإلى الكتاب والسنة وأخذوا يعقدون دروس العلم، ويجمعون المريدين على حلقات الذكر، والإستماع إلى ما أفاض الله عليهم من اشراقات ولمتوحات..وقد حدد العارف با لله الإمام القدوة أبو محمد سهل بن عبد الله التُّستُرى الصوفى الزاهد، المتوفى سنة ٢٨٣هـ، المنهج الذى يسير عليه الصوفية فى حياتهم ومنهجهم فقال: أصولنا ستة: "التمسك بكتاب الله، والإقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال، وكف الأذى واجتناب الآثام، وأداء الحقوق.. ثم قال: لامعين إلا ا لله، ولا دليل إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد إلا التقوى، ولاعمل إلا الصبر عليه".. وقد حدد الإمام الجنيد رضى الله عنه أصول المنهج الذى يسير عليه المريد والسائر إلى الله، فقال:

من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسُّنَّة، فمن خرج عن هذا المنهج فلا شأن لنا به ولا صحبة لنا معه ..

وجاء من بعدهم مريدوهم فأكملوا المسيرة، وجمعوا الناس على طريق الله، فعقدوا حلقات العلم والذكر، كما أنشأوا أورادا، وهى مجموعة أذكار وأدعية، يقولها المسلم فى الصباح والمساء، تعينه على الطاعة، وتقوى من عزيمته، وتشد من أزره، وتجمعه على ربه.. ثم تعددت الطرق، وأخذ كل شيخ يرتب أورادا لمريديه، يجمعهم عليها، ويحثهم على المداومة عليها، واستكشاف أسرارها.. (١)

---

(١)من تلك الأوراد مثلاً:

١–حزب الفتح، وحزب البحر، وحزب الآيات، وحزب البَر، وحزب النصر لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه

٢– حزب الدور الأعلى لسيدى محى الدين بن عربى رضى الله عنه

٣–حزب النصر لسيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه

٤–– حزب الكفاية لسيدى محى الدين النورى رضى الله عنه

٥–الحزب الكبير والصغير لسيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه

٦– الحزب الكبير والصغير لسيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه

وغيرها من الأحزاب والأوراد لأولياء غيرهم، نفعنا الله بهم وأكرمنا بهم آمين..

ومن هنا كانت أوراد المشايخ ممزوجة بأحوالهم، مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم..

لم يقل أحد من العقلاء أن هذه الأحزاب والأوراد بدعة، ولاأصل لها من الكتاب والسنة.. إنما قالوا إن تلك الأذكار ما هى إلا إشراقات أفاض الله بها على أوليائه.. فاستحسنها العلماء وحضوا الناس على قراءتها والمداومة عليها.. وإذا ما قرأت أيًّا منها، فسوف تجد أنها إمَّا مأخوذة من القرآن أو من السنة، وإمَّا من إلهامات المشايخ الأجلاء أو على لسان العارفين وأهل الطريق [1]..
ومع هذا فأنت مخير، إن شئت قمت بها، وإن شئت توقفت عنها..

* * *

وأما حقيقة تلك الأذكار من صلوات وصيام و التى أنشأها الأولياء والعارفون، فهى من باب استقبال شهر من شهور الله بالطاعة والخير.. ومن باب أن الضيف إذا حل بنا، فإنما نقوم على تكريمه وحسن ضيافته.. فإذا ما أهل علينا شهر عربى، فنحن إذ نرحب به، نحمد الله عز وجل على أن مد لنا فى عمرنا حتى نتعبد إلى الله فيه، وأعطانا فسحة من الوقت لنتزود فيه بالطاعات والقربات، فنبدأه بطاعة الله من صلاة نافلة أو صيام أو ذكر أو دعاء.. كل ذلك من باب تكريم شهر من شهور الله.. فإذا مابدأناه بطاعة

---

(١)كان من أعلام التصوف والعارفين بالله الذين تركوا ميراثا عظيما فى الحقائق والسلوك، فتكلموا عن المعرفة والتوحيد والاخلاص والتوكل والأنس والشوق والمحبة والقرب والمراقبة... إلى غير ذلك من علوم القلوب التى يصل بها العبد إلى مولاه.. نذكر بعضا منهم:

عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ	بشر بن الحارث المتوفى سنة ٢٢٧ هـ
أبو يزيد البسطامى ,,,, ,,, ٢٦١هـ	ابراهيم بن أدهم ,,,, ,,, ٢٦٢ هـ
أبو سعيد الخراز ,,,, ,,, ٢٦٨ هـ	سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة٢٨٣ هـ
أبو طالب المكى ,,,, ,,, ٢٩٧ هـ	أبو القاسم الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨ هـ
أبو حامد الغزالى ,,, ,,,, ٥٠٥ هـ	أبو القاسم القشيرى ,,, ,,,٥١٤ هـ

وأنهيناه بطاعة، فإن الله يغفر برحمته مايقع بينهما من زلات وهفوات.. كذلك إذا بدأ المسلم يومه بطاعة وأنهاه بطاعة، فإن الله يغفر له يومه ببره وكرمه..

وذلك كما روى فى الحديث القدسى عن الله عز وجل:

" ياابن آدم، اذكرنى بعد الفجر وبعد صلاة العصر أكفك مابينهما" [1]وفى رواية: "أغفر لك مابينهما".. وفى حديث مرفوع: "مامن حافظين يرفعان إلى الله صحيفة فيرى فى أولها وفى آخرها خيرا إلا قال الله لملائكته انى قد غفرت لعبدى مابين طرفيها"[2]

ومن هنا، فقد كان بعض الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين يصومون ثلاثة أيام من أول الشهر وآخره حتى يغفر الله لهم مابينهما، ويكتب لهم الشهر كله صوما و طاعة..

-أحمد الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ	نجيب الدين السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ
محيى الدين بن عربى ,,, ,,, ٦٣٧ هـ	عبد القادر الجيلانى ,, ,,, ٦٥١ هـ
أبو الحسن الشاذلى ,,,, ,,, ٦٥٦ هـ	أحمد البدوى ,,,, ,,, ٦٧٥ هـ
ابراهيم الدسوقى ,,,, ,,, ٦٧٦ هـ	

(١)أخرجه أبو نعيم عن أبى هريرة

(٢)أخرجه الطبرانى وغيره

فضائل شهر الله المُحَرَّم

شهر الله المُحَرَّم من الأشهر الحرم التى ذكرها الله عز وجل فى القرآن، فى قوله: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ (١)..

وقد سبق أن قلنا أن هذه الأشهر هى: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم

وقد سمى المحرم بالأصم من شدة تحريمه، أى لأن الله حرم فيه القتال، ولا يسمع فيه صلصلة السيوف، وقوارع الحرب، وذلك لأن الحجاج يتهيئون فيه للعودة إلى أوطانهم، فكان لابد من تحريمه، حتى يوفر الأمان والسلامة فيه للحجاج العائدين إلى أوطانهم.. وقد سمى النبى صلى الله عليه وسلم المحرم شهر الله، وإضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله، فإن الله تعالى لايضيف إليه إلا خواص مخلوقاته.. وقد قيل فى معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عز وجل أنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفرا فأشار إلى أنه شهر الله الذى حرمه، فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره وفى ذلك قول أحدهم:

شهر الحرام مبارك ميمون .·. والصوم فيه مضاعف مسنون

وتواب صائمه لوجه إلهه .·. فى الخلد عند مليكه مخزون

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه، أنه قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام (أى شهر الله المحرم)، وختمها بشهر حرام (أى بشهر ذى الحجة) ..

ولذلك قالوا: من صام شهر ذى الحجة سوى الأيام المحرم صيامها، وصام المحرم فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة، فيرجى أن تكتب له سنته كلها طاعة..

وقد اختلف العلماء أى الأشهر الحرم أفضل ؟، فقال الحسن وغيره أفضلها شهر الله المحرم ..

---

(١)سورة التوبة آية (٣٦)

وقال قتادة رضى الله عنه: إن الفجر الذى أقسم الله به فى أول سورة الفجر فى قوله تعالى: ﴿والفجر وليال عشر﴾ هو فجر أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة.. وقال بعضهم أنه شهر ذى الحجة لوقوع مناسك الحج فيه..

ولقد صام بعض التابعين الأشهر الحرم كلها منهم ابن عمرو والحسن البصرى وغيرهما..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" (١)

وعن على رضى الله عنه، وسأله رجل فقال: "أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟ فقال له: ما سمعت أحدا يسأل عن هذا إلا رجلا سمعته يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قاعد عنده، فقال: يارسول الله أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد شهر رمضان؟ قال: إن كنت صائما بعد شهر رمضان، فصم المحرم فإنه شهر الله، فيه يوم تاب الله فيه على قوم (٢)، ويتوب فيه على قوم آخرين" (٣) ..وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صام يوم عرفة كان له كفارة سنتين، ومن صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما"(٤)..وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صام من كل شهر حرام ثلاثة أيام يوالى بينهن غفر الله له ماتقدم من ذنبه" (٥)

وقالوا: " إذا رأى المسلم هلال المحرم كبر الله تعالى، ثم يقرأ الفاتحة ثلاثين مرة، يجعله الله فى حفظه وأمانه ذلك الشهر كله". وفى رواية "السنة كلها.."

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم هلال محرم فقولوا مرحبا بالسنة الجديدة والشهر الجديد واليوم الجديد والساعة الجديدة ومرحبا بالكاتب والشاهد والشهيد، اكتبا فى صحيفتى بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده وسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور."

---

(١)رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (٢)روى عن وهب بن منبه قال: "أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن مُر قومك أن يتوبوا إلىَّ فى أول عشر المحرم، فإذا كان يوم العاشر فليخرجوا إلىَّ اغفر لهم.."

(٣)رواه عبد الله بن الإمام أحمد عن غير أبيه، والترمذى من رواية عبد الرحمن بن اسحق

(٤)رواه الطبرانى فى الصغير وابن حبان (٥)رواه الديلمى

فضل يوم عاشوراء

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، ولهذا اليوم مكانة خاصة فى الأديان السابقة، وفى الإسلام..

ففى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه سيدنا موسى شكرا لله فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه" (١)

وقد أورد بعض العلماء فضل يوم عاشوراء، فقالوا إن الله أكرم فيه جماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ففيه اصطفى الله آدم، ورفع سيدنا إدريس إلى السماء، واستوت سفينة نوح على الجودى، واتخذ الله سيدنا ابراهيم خليلا، وغفر الله لداود، ورد الله على سيدنا سليمان ملكه، كما كشف الله فيه الضر عن أيوب، وأخرج يونس من بطن الحوت، واجتمع فيه سيدنا يعقوب بيوسف بعد أربعين سنة، وولد فيه سيدنا عيسى ورفع أيضا إلى السماء، ونجى الله فيه سيدنا موسى من البحر وأغرق فرعون ومن معه..

ولما كان لهذا اليوم تلك المنزلة والمكانة، فقد رَغَّبَ النبى صلى الله عليه وسلم فى صيامه والإكثار فيه من العبادات والطاعات تقربا إلى الله فى هذا اليوم المبارك..

فعن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: "يكفر السنة الماضية" (٢)

وفى رواية قال: "صيام يوم عاشوراء إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى بعدها."

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء أو أمر بصيامه (٣)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١)رواه مسلم (٢)رواه البخارى (٣)رواه البخارى ومسلم

" من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه، ومن صام عاشوراء غفر له سنة" (١)

ولمزيد من الثواب، رغب النبى صلى الله عليه وسلم، لمن يستطيع، فى صيام العشر الأوائل من المحرم، لأنها أفضل أيام الشهر، فعن عائشة رضى الله عنها، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "من صام العشر إلى عاشوراء أورث الفردوس الأعلى"

وعن بعض السلف رضوان الله عليهم، فى فضل الذكر فى هذا اليوم:

"من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة يوم عاشوراء نظر الله إليه بعين رحمته" وقالوا أيضاً:

"من قرأ آية الكرسى (مائة) وسورة الإخلاص (مائة) فى هذا اليوم ثم دعا لأبويه، غفر الله لهما ونور لهما فى قبرهما، وكتبه الله باراً.."

أذكار شهر الله المحرم

يصلى فى **أول ليلة من المحرم** ست ركعات بثلاث تسليمات يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسى مرة والإخلاص احدى عشر مرة، ثم يقرأ: "سبحان الملك القدوس ربنا ورب الملائكة والروح" (ثلاثا وعشرين مرة).

وفى **أول يوم من المحرم** يصلى ركعتين يقرأ فيهما ما يشاء من القرآن ثم بعد الإنتهاء، يرفع يديه ويقول:

"اللهم أنت الأبدى القديم، الأول وعلى فضلك العظيم وجودك المعول، وهذه سنة جديدة، أسألك فيها العصمة من الشيطان وأوليائه، كما أسألك العون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والإشتغال بما يقربنى إليك ياكريم، ياذا الجلال والإكرام. ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم".. بقدر مايستطيع.

ورد عن الإمام على رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحيا ليلة عاشوراء أحياه الله تعالى ما شاء" .. وفى إحيائها روايتان:

الأولى: مائة ركعة، يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثا ويقول بعد الإنتهاء من الصلاة:

---

(١)رواه الطبرانى

"سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" (سبعين مرة)

ويقرأ بهذا الإستغفار:

"أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه " (سبعين مرة)

ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة:

"اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله " (سبعين مرة) أو بأى صيغة أخرى..

الثانية: ركعتان يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثا ويقول بعد الصلاة:

"سبحان الله والحمد لله.... إلخ" (سبعين مرة)

ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم (سبعين مرة)

يوم عاشوراء

يصلى ثمانى ركعات بأربع تسليمات يقرأ فى كل واحدة منها بعد الفاتحة ﴿والشمس وضحاها﴾ و ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ و ﴿إذا زلزلت﴾ و ﴿الإخلاص﴾ و﴿المعوذتين﴾، فإذا فرغ يقرأ ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ (سبعا) ثم يدعو بهذا الدعاء ثلاثا:

"بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم اجعلنى ممن دعاك فأجبته، وآمن بك فهديته، ورغب إليك فأعطيته، وتوكل عليك فكفيته، واقترب منك فأدنيته، اللهم امدد لى عيشى مدا، واجعل لى فى قلوب المؤمنين ودا، اللهم إنى أسألك الإيمان بك، وأسألك الفضل من الرزق، وأسألك العافية من البلاء فى الدنيا والآخرة، وأسألك حسن العاقبة فى الدنيا والآخرة".

كما كان بعض السلف يصلون أربع ركعات فى ذلك اليوم، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب و﴿قل هو الله أحد﴾ (خمسين مرة) وقالوا إن لها فضلا عظيما..

كما ذكر الشيخ الأجهورى وقد كان من كبار العلماء، نقلا عن سيدى محمد بن خطير الدين المدعو غوث الله فى كتابه "الجواهر الخمس" أن من قال فى يوم عاشوراء

"حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير " عدد (سبعين مرة)، غفر الله تعالى له ونصره في عامه وأيده.. ثم يدعو بهذا الدعاء (سبع مرات) :

"سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وعدد النعم وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلماته التامات كلها، أسألك السلامة في عامي هذا والأمن والرزق الكثير الطيب، برحمتك ياأرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. وصل اللهم وسلم وبارك على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين"

التوسعة على الأهل والعيال

يُسَنُّ فيه التوسعة على الأهل والعيال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من أوسع على عياله وأهله [1] يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر سنته" [2]

قال سفيان الثوري رضي الله عنه: "لقد جربنا ذلك منذ خمسين سنة فلم نر إلا سعة.."

ولقد أكرم الله جماعة من الناس تصدقوا في يوم عاشوراء، فكان لهم من الله الجزاء الأوفى وحسن العوض..

حدث بعض السلف فقال:

جاء فقير إلى قاضي مدينة تسمى الري (بين إيران والعراق) وقال أعطني شيئا لله بحق هذا اليوم، فأعرض عنه و لم يعطه شيئا، فرآه رجل نصراني فأعطاه حتى أرضاه. فلما كان الليل، رأى القاضي في منامه قصرا من ذهب وقصرا من ياقوتة حمراء، فقال: لمن هذان القصران؟ فقيل: كانا لك لو قضيت حاجة الفقير، فلما منعته، صارا لفلان النصراني، فاستيقظ مرعوبا، وجاء إلى النصراني، فقال له: بعني ثواب عملك مع الفقير البارحة بمائة ألف فقال: ولو أعطيتني مائة ألف في عتبة قصر منهما لم أعطك ذلك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

---

(١)أهله: أي أقاربه وجيرانه الفقراء (٢)رواه البيهقي

وحدثوا أيضا: "أن رجلا تصدق بسبعة دراهم فى يوم عاشوراء، وجعل ينتظر عوضها طول السنة، ولكنه لم يُرزق بشئ، فلما كان يوم عاشوراء التالى سمع بعض العلماء يقول: من تصدق بدرهم فى يوم عاشوراء أخلف الله عليه ألف درهم، فقال فى نفسه: ليس هذا بصحيح! فقد أنفقت سبعة دراهم فلم أجد لها عوضا حتى وقتنا هذا. فلما كان الليل، جاء رجل بكيس فيه سبعة آلاف درهم، وقال خذ أيها الكذّاب ! ولو صبرت إلى يوم القيامة لكان خيرا لك ..!!

فضائل شهر صفــر

جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنـه قال: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفـر"، فقـال أعرابى : يارسـول الله، فمـا بـال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربهـا، فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :فمن أعدى الأول؟ يعنى من الذى أعدى البعير الأجرب؟

أما العدوى فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبـه إلى مـن يقارنـه مـن الأصحـاء فيمـرض بذلك.. وكانت العرب تعتقد ذلك فى أمراض كثيرة منها الجرب.. ولذلك سأل الأعرابى عن الإبل الصحيحة يخالطها البعير الأجرب، فتجرب، فقال النبى صلـى الله عليـه وسـلم: فمن أعدى الأول؟ ومراده أن الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره..

وقد شرح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر، فقال: خلق الله كل نفـس وكتب حياتها ومصابها ورزقها، فأخبر أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قولـه تعـالى: ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها﴾ (١)

وأما الطيرة: التطير هو التشـاؤم..

وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه عـن النبـى صلـى الله عليـه وسـلم قـال: "لاطـيرة والطيرة على من تطير" ، وقال النخعى: قال عبد الله بن مسـعود: لا تضـر الطـيره إلا مـن تطـيَّر. ومعنى هذا أن من تطير تطيرا منهيا عنه، وهو أن يعتمد على ما يسمعه أو يراه ممـا يتطـير بـه حتـى يمنعه مما يريد من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه.. فأما من توكل على الله ووثـق بـه بحيـث علـق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات إلى هذه الأسباب المخوفـة ومضـى إلى شـأنه فإنـه لا يضره ذلك.. وقد ذكر القرآن "التطير" و "الطيرة" فـى ثـلاث مواضـع: فـى سـورة الأعـراف آيـة (١٣١)، وسورة النمل آية (٤٧)، وسورة يس آيتا (١٨، ١٩)

ولا هامة: كانت الجاهلية تعتقد أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامـة وهـو طـائر يطير.. وهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ من أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها.. ولكن

---

(١)سورة الحديد آية (٢٢)

الذى جاءت به الشريعة أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وترد من أنهارها إلى أن يردها الله إلى أجسادها.. وروى أيضا أن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى أجسادها يوم القيامة..

ولا صفر: اختلف العلماء فى تفسير المقصود من صفر، فقال بعضهم: الصفر داء فى البطن يقال إنه دود كبير كالحيات، وكانوا يعتقدون أنه يعدى.. وقالت طائفة: المراد بصفر هو الشهر ثم اختلفوا فى تفسيره على قولين:

أحدها: أن المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسىء، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه..

والثاني: أن المراد بصفر أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر ويقولون إنه شهر مشئووم.. ولعل هذا القول هو أرجح الأقوال.. وما زال بعض الناس يتشاءمون من شهر صفر، وربما يتوقفون عن السفر والحركة فيه.. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها .. فالزمان كله خلق الله تعالى، وفيه تقع أفعال بنى آدم، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه.. وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشئوم عليه.. فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله تعالى.. واليمن هو طاعة الله وتقواه..

أذكار شهر صفر

يصلى فى الليلة الأولى بعد صلاة العشاء وقبل الوتر أربع ركعات:

يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿قل يأيها الكافرون﴾ (١١ مرة)

وفى الثانية سورة ﴿الإخلاص﴾ (١١ مرة)

وفى الثالثة سورة ﴿الفلق﴾ (١١ مرة)

وفى الرابعة سورة ﴿الناس﴾ (١١ مرة)

ويقول بعد السلام: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" (سبعين مرة)

وقد ذكر سيدى محمد الغوث فى كتابه المسمى بـ "الجواهر الخمس" أنه ينزل فى كل سنة ثلاثمائة وعشرون بلية، كلها تنزل فى يوم الأربعاء الأخير من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة. فمن صلى فى ذلك اليوم أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ (سبع عشرة مرة)، و﴿الإخلاص﴾ (ثلاث مرات) والمعوذتين (مرة). وبعد السلام يقرأ هذا الدعاء، فإن الله تعالى يكفيه فى عامه، ويحفظه من جميع البلايا، آمنا فى نفسه وماله وولده سالما من صروف الدهر..إن شاء الله، وهاهو الدعاء:

"اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم. اللهم إنى أعوذ بك من شر هذا الشهر، ومن كل بلاء وشدة وبلية قدرتها فيه، ياأزلى، ياأبدى، يامبدئ، يامعيد، ياذا الجلال والإكرام، ياذا العرش المجيد، أنت تفعل ماتريد. اللهم احرس بعينك التى لا تنام نفسى ومالى وأهلى وولدى ودينى ودنياى التى ابتليتنى بصحبتها، بحرمة الأبرار والأخيار، برحمتك ياعزيز ياغفار ياكريم ياستار، برحمتك ياأرحم الراحمين.

اللهم ياشديد القوى ياشديد المحال، ياعزيز ياكريم، أذللت بعزتك جميع خلقك، يامحسن، يامجمل، يامتفضل، يامنعم، يامن لا إله إلا أنت، يالطيفا بخلق السموات والأرض، ألطف بى فى قضائك، وعافنى من بلائك، برحمتك ياأرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ثلاث مرات) .. ثم تقرأ هذه الآيات المباركات بقدر ماتستطيع:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم﴾

﴿سلامٌ على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين﴾

﴿سلامٌ على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين﴾

﴿سلامٌ على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين﴾

﴿سلامٌ على إل ياسين إنا كذلك نجزى المحسنين﴾

﴿سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾

﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾

﴿سلامٌ هى حتى مطلع الفجر﴾

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم..

فضائـل شهر ربيــع الأول

شهر ربيع الأول شهر حبيب إلى قلوبنا يذكرنا بحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسـلم، ففى هذا الشهر ولد فيه قمر الدنيا وشمسها، وسراج الأنام وعبيرها، ولـد فيـه نبينـا المجتبى صلوات الله وسلامه عليه، والذى جعله الله عز وجل رحمة للعالمين.

وقد أجمع علماء السلف على سنة الإحتفال بمولده الشريف، وأنه بدعة حسنة لها أصل من الكتاب والسنة.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى المتوفى سـنة ٨٥٢هـ عـن عمـل المولـد، فأجاب: أصل عمل المولد بدعة حسنة، لم تنقل عن أحد من السـلف الصـالح مـن القـرون الثلاثة الأولى، ولكنها مع ذلك قد اشتملت علـى محاسـن وضدهـا، فمـن جـرد فـى عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة. ثم قال: "وقد ظهـر لى تخريجهـا على أصل ثـابت من السنة، وهو ماثبت فى الصحيحين مـن أن النبـى صلـى الله عليـه وسـلم قـدم المدينـة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ويحتفلون به فسألهم عـن سـبب صيـامهم لهـذا اليـوم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى سيدنا موسى، فنحن نصومه شـكرا لله تعـالى، فقال صلـى الله عليـه وسـلم: نحـن أولى بموسـى منكـم، فصامـه وأمـر المسـلمين بصيامـه. فيستفاد منه فعل الشكر لله على مامنَّ به فى يـوم معـين مـن إسـداء نعمـة أو دفـع نقمـة، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة.. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة وتلاوة القرآن. وأى نعمة أعظم من بروز هذا النبى نبى الرحمة فى ذلـك اليوم. وعلى هذا فينبغى أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطـابق قصـة سـيدنا موسـى فـى يـوم عاشوراء. وأما ما يعمل فيه فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى.."

وقال الإمام جلال الدين السيوطى رحمه الله المتوفى سنة ٩١١هـ: "قلـت وقـد ظهـر لى تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقى عن أنس أن النبى صلى الله عليــه وسـلم عـق عـن نفسه بعد النبوة، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه فى سـابع ولادتـه، والعقيقـة لاتعـاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، كما كان يصلى على نفسه لذلك، فيستحب لنا أيضا إظهار الشكر

بمولده بالإجتماع وإطعام الطعام وتوزيع الصدقات والصيام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات. ثم قال رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجوزى قال فى كتابه المسمى "عرف التعريف بالمولد الشريف" مانصه:

رئى أبو لهب بعد موته فى النوم، فقيل له ماحالك؟ فقال فى النار. إلا أنه خفف عنى كل ليلة اتنين، فأمص من بين إصبعى هاتين ماء بقدر هذا، وأشار برأس إصبعيه، وإن ذلك بإعتاقى لثويبة عندما بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم . فإذا كان أبو لهب الكافر الذى نزل القرآن بذمه قد خفف الله عنه شيئا من النار، لما أظهر من فرح ليلة مولده صلى الله عليه وسلم، فما حال المسلم الموحد من أمة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يحتفل بمولده، ويبذل ماتصل إليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم. لعمرى إنما يكون جزاؤه من الله أن يدخله بفضله جنات النعيم. . [١]

وقد بين الحافظ بن رجب الحنبلى المتوفى سنة ٧٩٥هـ فى كتابه "لطائف المعارف" أن الإحتفال بمولده عليه الصلاة والسلام من أجلِّ القربات إلى الله عز وجل، كما أنه إظهار للشكر على نعمة إيجاده عليه الصلاة والسلام. فقال:

"وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صيام يوم الإثنين، فقال: ذلك يوم ولدت فيه، وأنزلت علىَّ فيه النبوة [٢]، إشارة إلى استحباب صيام الأيام التى تجدد فيها نعم الله تعالى على عباده، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وإرساله إليهم، كما قال تعالى: ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ [٣] فإن النعمة على الأمة بإرساله صلى الله عليه وسلم أعظم من النعمة بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك. فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقا من بنى آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه، فبدلوا نعمة الله كفرا.

وأما النعمة بإرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضيه لعباده، وكان قبوله سبب سعادتهم فى دنياهم وأخراهم.

---

(١)من كتاب "حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين" للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى

(٢)أخرجه مسلم من حديث أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه (٣)سورة آل عمران آية (١٦٤)

فصيام يوم تجددت فيه النعم من الله على عباده حسن جميل.. وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر. ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث نجى الله فيه نوحا من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده، وأغرقهم في اليم، فصامه سيدنا نوح وسيدنا موسى عليهما السلام شكرا لله، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: نحن أحق بموسى منكم وصامه وأمر بصيامه". (انتهى)

وقد أجمع الأئمة الصالحون على أن الإحتفال بمولده الشريف من أحسن البدع التى ظهرت فى تلك القرون. وأن البدعة الحسنة يرحب بها الدين، لأنها داخلة فى قوله عليه الصلاة والسلام:

"من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"

قال الإمام شهاب الدين أبو شامة شيخ الإمام النووى المتوفى سنة ٦٥٤هـ:

ومن أحسن ماابتدع فى زماننا مايفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من توزيع الصدقات وإظهار الزينة والسرور والإحسان إلى الفقراء وغير ذلك، فإنه مشعر بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه كما أنه شكر لله تعالى على مامن به من إيجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله رحمة للعالمين"

وقال الإمام السخاوى رضى الله عنه المتوفى سنة ٩٠٨هـ:

إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة الأولى، ثم لازال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم..

وقال الإمام قطب الدين القسطلانى رضى الله عنه المتوفى سنة ٦٨٦هـ:

ولازال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام، ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. ومما جرب من خواص الإحتفال بمولده أنه **أمان فى ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام**، فرحم الله امرءا اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعيادا". أ.هـ

وكان أول من احتفل بالمولد النبوى الشريف من ملـوك الإسـلام الملـك **المظفـر أبوسعيد مظفر الدين**، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ، ملك إربل بالعراق. وألف له الحافظ بن دحيـة رحمـه الله تأليفا أسماه "التنوير فى مولد البشير النذير" فأجازه الملك أبو سعيد بـألف دينـار، وكـان يبـدأ الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم بدءا من شهر صفر حتـى آخـر شـهر ربيـع الأول. وكان ينفق على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكان له دار ضيافة للوافدين مـن كـل جهة، فكان ينفق على هذه الدار فى كل سنة مائة ألف دينار. وكان يذبح خمسـة آلاف رأس غنم وعشـرة آلاف دجاجة عدا الحلوى يقدمها للفقراء والمساكين فـى تلـك المناسـبة المباركـة وقد طال مدة حكمه إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة، محمـود السيرة، منصورا على أعداء الله، حتى لقى ربه راضيا مرضيا.. ودفن بالكوفة بجـوار قـبر أمـير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه... فكانت نعم الخاتمة ونعم الجوار..

أذكار ربيـع الأول

يصلى ليله الأولى منه بعد المغرب ركعتين يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة سورة الإخـلاص (ثلاثا). ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد السلام (مائة مرة) بهذه الصيغة:

"اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبارك وسلم برحمتك ياأرحم الراحمين"

وفى ليلة الثالث من الشهر يصلى أربع ركعات فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وسورة ﴿طه﴾ و ﴿يس﴾ كلاً ثلاث مرات يهـدى ثوابهـا إلى روح سـيدنا محمـد صلـى الله عليه وسلم

ويقرأ فى يوم العاشر ويوم الثانى عشر سورة ﴿الإخلاص﴾ ثلاثمائة وستين مرة (مرة واحـدة) ويصلى فى ليلة الحادى والعشرين ركعتين يقرأ فى كل منهما بعـد الفاتحـة سـورة ﴿المزمـل﴾ مرة، ويسجد بعد الفراغ منها، ويدعو بحاجته فإنها تقضى بإذن الله..

تعليق على الاحتفال بمولده الشريف صلى الله عليه وسلم:

يدعى بعض العلماء، وهم معروفون لنا جميعا، أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بدعة ليس لها أصل فى الدين.. وأن الاحتفال بمولده لم يحدث فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عصر الصحابة والتابعين.. فكيف ينشئ المسلمون عيدا لهم لم يكن فى زمن النبى ولا فى زمن الصحابة ؟

ونرد عليهم قائلين: بالله عليكم، أى مناسبة أفضل عند الله.. يوم أن نجّى الله فيه سيدنا موسى عليه السلام من البحر وأغرق فرعون؟.. أم يوم أظهر الله فيه سيد الخلق وأوجد أفضل أنبياء الله تعالى وجعله رحمة للعالمين؟..

فإذا كان اليهود يحتفلون بيوم عاشوراء ،والذين يسمونه "بيوم الزينة" ويصومونه شكرا لله على أن نجى الله فيه نبيهم سيدنا موسى عليه السلام، وأقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال: "نحن أحق بموسى منكم"، وصامه وأمر المسلمين بصيامه..

ألا يكون من باب الأولى والأفضل عند الله أن يحتفل المسلمون بيوم ميلاد نبيهم الذى اصطفاه الله على الناس جميعا وجعله إماما لجميع الأنبياء والمرسلين.. وجعلنا خير أمة أخرجت للناس من أجله..

وإذا كان هذا شئ لم يحدث فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عصر صحابته أو التابعين، أيكون ذلك مانعا أن يأتى رجل من رجالات المسلمين، والذى كان حاكما على مدينة إربل بالعراق، أن يشرح الله صدره، ويلهمه الخير، فيرى أن مرور يوم ميلاده عليه الصلاة والسلام بدون احتفال أو تكريم لتلك الذكرى شئ غير مستحب وغير مقبول.. فأقام الزينات والاحتفالات ابتهاجا بمولده عليه الصلاة والسلام، ودعى العلماء والفقهاء وأعيان الصوفية، فخلع عليهم ووزع الحلوى وسخى على الفقراء والمساكين، وأدخل فى كل بيت فى مملكته السرور والبهجة.. فهل هذا شئ لايرضاه الاسلام ويكون منه براء.. كما يدعى هؤلاء الغلاة المتعصبون..؟

وأين نحن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه:

''من سَنَّ سنة حسنة، فله أحرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة''.. والحديث معناه أن من أنشأ شيئا جديدا لم يكن فى عصر النبوة أو الصحابة، وكان هذا الشئ متفقا مع الكتاب والسنة وغير مخالف للشرع، فالإسلام يقره، بل ويحض عليه، ويطلب المزيد منه..

ونحن والحمد لله لم نر فى احتفالات المسلمين بمولده فى كل البقاع شيئا مخالفا للدين كما يدعون ظلما وزورا.. بل نرى إظهار البهجة والسرور بإقامة الزينات والأعلام وتوزيع الصدقات على الفقراء وذوى الأرحام، ثم بتلاوة سيرته الشريفة من يوم ولادته، وما ظهر قبلها وأثناءها من الآيات الدالة على خصوصيته عند الله، وما أحاطه الله به من عناية ورعاية حتى بلَّغ الرسالة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ثم ما نالت به هذه الأمة من الشرف العظيم والمكانة الرفيعة بين الأمم لانتسابها إليه..

وقد أقر العلماء الأعلام الذين استشهدنا بكلامهم فى هذا الباب، وهم المشهود لهم بالتقوى والعلم والفضل والفقه، فأقروا هذه البدعة الحسنة، وتحدثوا عنها بأفضل حديث وأكرم مقولة، ولم ينكر واحد منهم تلك البدعة التى أحيا الله بها سُنَّة. وما رآه المؤمنون حسنٌ فهو عند الله حسن . بل إنهم حضوا المسلمين على الاحتفال بمولده كل عام وإظهار البهجة والمسرة وكل ما يتفق مع هذه الذكرى الكريمة المحببة إلى نفوس المسلمين..

لعل علماءنا المنكرين لهذا الاحتفال قد قرءوا أقوال العلماء السابقين واللاحقين، وعادوا إلى الحق ونبذوا الهوى والتعصب ..

أكثر الله من أعياد المسلمين، ومنَّ علينا بتوفيقه وفضله، وهدانا إلى مافيه حب الله وحب رسوله..

أذكار ربيع الآخـــر

يصلى فى أول ليلة منه صلاة الحاجة [1]، وهى اثنتا عشرة ركعة (١٢ ركعـة)، ركعتـين، ركعتين بأى سور من القرآن، ويفضل الترتيب فـى قراءتهـا.. ثـم بعـد الانتهـاء مـن الصـلاة، تقول:

-اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثا)

-اللهم إنا نعوذ بعفوك من غضبك، ونعوذ برضاك مـن سـخطك، ونعـوذ بـك منـك، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك (ثلاثا)

-اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى الذى تنحلُّ به العقد، وتنفـرج بـه الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغـائب، وحسـن الخواتيـم، وعلـى آلـه وصحبـه وسلم (عشرا)

-اللهـم اغفـر لى ولوالـدى وللمؤمنـين والمؤمنـات والمسـلمين والمسـلمات الأحيـاء منهـم والأموات، ومن سيأتى منهم إلى يوم القيامة (ثلاثا)

-ثم تقرأ فاتحة الكتاب (سبعا)

-ثم آية الكرسى (سبعا)

-لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كـل شئ قدير (عشرا)

-ثم قل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سـبحان الله رب العـرش العظيـم، الحمـد لله رب العالمين، اللهم كاشف الغم، مفرج الهـم، مجيـب دعـوة المضطريـن، رحمـن الدنيـا والآخـرة ورحيمهما فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك.. الله ارحمنى فـى حـاجتى هـذه بقضائها ونجاحها إنك على كل شـى قديـر.. (ثلاثـا أو سـبعا)

تنبيه: من المستحب أن تتوضأ وضوءا جديدا لتلك الصلاة، وتتصدق بشئ مـن المـال على

---

(١)ذكرها الإمام الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتابه "الترغيب والترهيب"، رواها عن ابن مسعود رضى الله عنـه عـن النبى صلى الله عليه وسلم

الفقراء والمساكين، وأن تصليها فى مكان بعيد عن الضوضاء إن أمكن، ليكون ذلك أدعى إلى الإخلاص وجمع قلبك على الله " ويمكن صلاتها فى أى وقت من السنة"

يصلى فى الليلة الثالثة من الشهر أربع ركعات

يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة سورة يس

وفى الثانية بعد الفاتحة سورة السجدة

وفى الثالثة بعد الفاتحة سورة الدخان

وفى الرابعة بعد الفاتحة سورة ﴿تبارك الملك﴾

ويصلى فى الخامس عشر من الشهر بعد الضحى أربعة عشر ركعة بسبع تسليمات، ويقرأ فيها بعد الفاتحة فى كل منها سورة ﴿إقرأ باسم ربك﴾ (سبعا)

وبعد الفراغ يقرأ

" يامليك تملكت بالملكوت والملكوت فى ملكوتك يامليك".. (ستين مرة)

قال العارفون: "من صلى هذه الصلاة مرة فى عمره يحصل له معنى وترقى.. وكفى بالله وكيلا..

أذكار جمـادى الأولـى

يصلى فى الليلة الأولى ركعتين، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة سورة الجمعة، وفـى الثانيـة سـورة المزمل. وفى اليوم الأول منه أربع ركعات يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ (سبعا).. ويستحب أيضا قراءة "الصلاة التفريجية" التى علمها النبـى صلـى الله عليه وسلم لعبد كان يقطن بدمشق، وهاهي: "اللهم صلِّ صـلاة كاملـة، وسـلم سلاما تاما علـى سيدنا محمد، النبى الأمى الذى تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنـال به الرغائب، وحسن الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم.. وعلى آله وصحبـه فـى كـل لمحة ونفس عدد كل معلوم لـك.. يا ألله.. يا حىُّ ياقيومُ يابديع السـموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام .." [1]..ويصلى فى الليلة الثالثة وهى ليلة القدر [2] وجدهـا أكـثر الصوفيـة وإن لم تكن مشهورة، فينبغى أن يحيى تلك الليلة بعشرين ركعة بعشـر تسـليمات، ويقـرأ فـى كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة القدر (عشرا)، فإذا فرغ منهـا يسـبح بهـذا التسـبيح حتـى طلوع الفجر: "ياعظيـم تعظمت بالعظمـة والعظمة فى عظمتـك ياعظيـم"

ويحيى أيضا ليلة الحادى والعشرين فإن فيها وقع لأكثر الأولياء معراج وترقى..

ويصلى أيضا فى السابع والعشرين منه ثمانى ركعات بتسليمتين، يقرأ فى كل ركعة منها بعـد الفاتحة سورة ﴿والضحى﴾ (مرة)، ثم بعد ذلك يحيى تمام الشهر بهذا التسبيح

"سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح"

---

(١)تقرأ هذه الصلاة (إحدى عشر مرة) عقب كل صلاة، أو (ألفا) عند نزول الملمات والكوارث وذلـك فى جلسة واحدة.. يقول عنها الإمام القرطبى رضى الله عنه: أن من داوم عليها بقـدر مـا يسـتطيع فـرَّج الله همه وغمه، وكشف كربه ضره، ويسر أمره، ونور سره، وأعلى قدره، ووسـع رزقـه، وألقـى الله لـه محبة فى قلوب الناس، وأمنه الله من حوادث الدهر..

(٢)يقول الشيخ الأكبر محيى الدين العربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ، فى كتابه "الوصايا" ص ١٠٧: "وحافظ فى السنة كلها على القيام كل ليلة، ولاتهمل الدعاء فى كل ليلة، واجعل من دعائك السؤال فى العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، فإنك لاتدرى متى تصادف ليلة القدر من سنتك، فإنى قد أُريتها مرارا فى غير شهر رمضان، وهى تدور فى السنة، وأكثر ما تكون فى شهر رمضان، وأكثر ما تكون فى ليلة وتر من الشهر، وقد تكون فى شفع، وقد أُريتها فى ليلة الثامن عشر من الشهر، وقد أُوريتها فى العشر الأوسط منه " ..

أذكار جمادى الآخرة

يصلى فى أول ليلة من الشهر **صلاة التسابيح**، وسوف يأتى شرحها وكيفية صلاتها فى فضائل شهر شعبان.. فلها فضل عظيم، ويقضى الله بها الحاجات ثم بعد الصلاة تستغفر الله بهذا الاستغفار (سبعين مرة):

"أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوب إليه، توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه نفعا ولاضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا"

يصلى الليلة الأولى ركعتين يقرأ فيها ماتيسر من القرآن، ويكثر الإستغفار بعد الفراغ.. ويصلى فى العاشر منه اثنتى عشر ركعة بست تسليمات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة ﴿لإيلاف قريش﴾. وبعد الفراغ منها يقرأ سورة "**يوسف**" يحرسه الله تعالى فى تلك السنة من ضيق اليد والمعاش ويحفظه من نكبات الزمان وتصاريف الدهر.

ويصلى فى نهاية الشهر بعد المغرب أربع ركعات، وبعد الفراغ يشتغل بهذا التسبيح إلى مطلع الفجر، يكون عزيزا فى نظر الخلائق إلى العام القادم إن شاء الله: " يا عزيز"

فضـائل شـهر رجـب

شهر كريم من الأشهر الحرم التى نهى الله فيها المسلمين قتال المشركين ودلك لحرمته عند الله، إلا أن يُبدءوا بقتال، فإذا بدأ المشركون قتال المسلمين فى هذه الأشهر الحرم فعلى المسلمين أن يكفوا عدوانهم حتى يتوقفوا عن القتال.. يقول الله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (١)

وقد ذكر الله تلك الأشهر الحرم فى كتابه العزيز فقال تعالى:

﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ (٢)

وهذه الأشهر الحرم هى: ثلاث منها متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب الذى بين جمادى وشعبان..

وقيل إن الله سمى هذه الأشهر الأربعة حرما، لعظم حرمتها عند الله وحرمة الذنب فيها.. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: اختص الله أربعة أشهر، جعلهن حرما وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم.

وقال العلماء أن الله قد حرم القتال فيها لكونها أشهر الحج، فحجاج بيت الله الحرام يبدءون فى الاستعداد والتأهب للرحيل إلى مكة المكرمة فى شهر ذى القعدة.. وأما شهر ذو الحجة فيقع فيه شعائر الحج، وأما المحرم فيتهيأ فيه الحجاج للعودة إلى أوطانهم..

أما رجب فجعله الله شهر اعتمار فيعتمر فيه من كان قريبا من مكة (٣)..

ورجب هو اسم من الأسماء المشتقة، واشتقاقه من الترجيب، والترجيب: هو التعظيم عند العرب، يقال: رجبت هذا الشهر: يعنى عظّمتُه..

وقال آخرون: **الترجب** هو التأهب والاستعداد، لقول النبى صلى الله عليه وسلم:

---

(١)سورة البقرة آية (١٩٤)   (٢)سورة التوبة آية (٣٦)

(٣)صح أن سيدنا عمر اعتمر فى رجب، وكذلك عائشة رضى الله عنها، وابن عمر أيضا ونقل ابن سيرين عن السلف أنهم كانوا يفضلون الاعتمار فى رجب..

" إنه لَيُرجَّبُ فيه خير كثير لشعبان"

وقال آخرون: **الترجيب** هو تكرر ذكر الله تعالى وتعظيمه، لأن الملائكة يرجبون أصواتهم فيه بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل. ويقال أيضا أنه شهر **رجم** أى ترجم فيه الشياطين حتى لايؤذوا فيه المؤمنين..

ولشهر رجب أسماء أخر: منها أنه سمى رجب مضر، ومنصل الأسنة، وشهر الله الأصم، وشهر الله الأصب، والشهر المطهر، والشهر السابق..

أما لماذا سمى **برجب مضر،** لأن مضر وهى قبيلة كبيرة من قبا ئل العرب فى الجاهلية كانت تبالغ فى تعظيمه وتحريمه (أى تحريم القتال فيه)، وكذلك تحريم تغييره بشهر آخر كما كان بعض القبائل تفعل ذلك.. وقيل أيضا أن قبيلة مضر كانت تدعو على القبائل الجائرة فيه، فكان يستجيب الله لها.. ولهذا كانت بعض القبائل فى الجاهلية يؤخرون دعواتهم على من ظلمهم حتى يحل شهر رجب، ويدعون عليه فلا يرد الله لهم دعاء.. وقيل أن الدعاء فيه مستجاب على الظلمه..

وأما **منصل الأسِنّة،** فلأن العرب كانوا ينزعون الأسنة فيه عن الرماح، ويغمدون سيوفهم وسهامهم تهيئاله وتعظيما، فسمى بذلك منصل الأسنة. ويقال: نصلت السهم: إذا جعلت له نصلا، وأنصلته: إذا نزعت عنه نصله..

وأما **شهر الله الأصم،** فإنما سمى بذلك لأن العرب كانت تظل تحارب بعضها بعضا، فإذا أهل رجب وضعوا السلاح ونزعوا الأسِنّة، فلا تسمع فيه قعقعة السلاح ولاصلصلة الرماح. وكان الرجل إذا ركب فى طلب قاتل أبيه فإذا رآه فى رجب لم يتعرض له، كأنه لم يره و لم يسمع له خبرا، فسمى أصم لذلك. وقيل سمى أصم لأنه لم يسمع فيه غضب ا لله تعالى على قوم قط، وقيل إن الله تعالى عذب الأمم الماضية فى سائر الشهور و لم يعذب أمة من الأمم فى هذا الشهر..

وقد روى عن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، أنه لما استهل رجب رقى المنبر يوم الجمعة وخطب، ثم قال: "ألا إن هذا شهر الله الأصم، وهو شهر زكاتكم، فمن كان عليه دينٌ فليؤدِ دينه، ثم ليزك مابقى.."

وأما **الأصب**، فمعناه: أنه تصب الرحمة فيه صبا على العباد، ويعطيهم الله تعالى من الكرامات والمثوبات ماتقر به أعينهم..

وأما **المطهر**: فلأنه يطهر صائمه من الذنوب والخطيئات..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب، قال: "اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان، وبلغنا رمضان.."

وهو شهر تستجاب فيه الدعوة، وتقال فيه العثرة، وتضاعف العقوبة على من اجترم فيه المعاصى..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رجب شهر الله، وشعبان شهرى، ورمضان شهر أمتى، قيل يارسول الله: مامعنى قولك شهر الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله تعالى على أنبيائه، وفيه أنقذ أولياءه من يد أعدائه..

وقال أهل الإشارة والولاية : رجب ثلاثة أحرف، راء وجيم وباء، فالراء رحمة الله، والجيم جوده، والباء بر الله تعالى، كأن الله تعالى يقول: من تقرب إلىَّ فى رجب بصيام وقيام، فإنى أَمُنُّ عليه برحمتى وجودى وبرى..

وقد أوردنا أن بعض الصحابة والسلف رضوان الله عليهم كانوا يصومون الأشهر الحرم الأربعة، تعظيما لها ولحرمتها عند الله.. منهم أسامة بن زيد والحسن البصرى وغيرهما.. وقال سفيان الثورى رضى الله عنه: الأشهر الحرم أحب إلىَّ أن أصوم فيها..

استحباب الصيام فى رجب

عن العلاء بن كثير، عن مكحول رحمه الله، قال: "إن رجلا سأل أبا الدرداء رضى الله عنه عن صيام رجب، فقال له: سألت عن شهر كانت الجاهلية تعظمه فى جاهليتها، ومازاده الإسلام إلا فضلا وتعظيما.. ومن صام منه يوما تطوعا يحتسب به ثواب الله تعالى، ويبتغى به وجهه مخلصا، أطفأ صومه ذلك اليوم غضب الله تعالى، وأغلق عنه بابا من أبواب النار،

ولو أعطى ملء الأرض ذهبا ما كان جزاء له، ولا يستكمل أجر شئ من الدنيا دون يوم الحساب" (١)

وروى الديلمى عن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صام من كل شهر حرام ثلاثة أيام يوالى بينهن، غفر الله له ما تقدم من ذنبه"
نقول: فإذا كان هذا ثواب من صام ثلاثة أيام من شهر حرام، فما بالك بثواب من يصوم أكثر..!

ولهذا يستحب صيام شهر رجب إن قدرت على ذلك، أو جزء منه، فعن أنس رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فى الجنة نهرا يقال له رجب: ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر (٢)..

أخرج أبو محمد الخلال فى فضائل رجب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين، والثانى كفارة سنتين، والثالث كفارة سنة، ثم كل يوم شهرا " (٣)

وعن أبى ذر رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صام يوما من رجب عدل بصيام شهر، ومن صام منه سبعة أيام أغلقت عنه أبواب الجحيم السبعة، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام بدل الله سيئاته حسنات، ومن صام منه ثمانية عشر يوما نادى مناد أن الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل".. (٤)

وقد روى عن أبى قلابة رضى الله عنه، أنه قال:

---

(١)من كتاب "الغنية لطالبى طريق الحق" للشيخ عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ

(٢)رواه البيهقى فى شعب الإيمان

(٣)جامع الأحاديث للجامع الصغير، جـ ٤، صـ ٤٢٢

(٤)جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٦ صـ ٤٣٨

" فى الجنة قصر لصوّام رجب"، قال البيهقى: "إن أبا قلابة رضى الله عنه من كبار التابعين، ولا يقول متله إلا عن بلاغ عمن فوقه ممن يسمع عن النبى صلى الله عليه وسلم..

وعن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"ألا إن رجب من الأشهر الحرم، وفيه حمل الله نوحا فى السفينة، فصامه وأمر من كان معه بصيامه، فأنجاه الله مس الغرق، وطهر الله الأرض من الكفر والطغيان"

وقد ورد أن من صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء:

مغفرة لجميع ما سلف، وعصمة لما بقى من عمره، والثالثة يأمن من العطش يوم العرض الأكبر..

قال سلطان العلماء الشيح عزالدين بن عبد السلام المتوفى سة ٦٦٠ هـ رضى الله عنه:

"من نهى عن صوم رجب فهو جاهل" (١)

وقد روى عن ابن عباس أنه كره أن يصام رجب كله، وكرهه الإمام أحمد أيضا، وقال يفطر منه يوما أو يومين، لكن تزول كراهة صومه بأن يصوم معه شهرا آخر ، وقال الماوردى فى الإقناع: يستحب صوم رجب وشعبان لمن يقدر على صومهما..

وقال بعض العلماء: لامانع من صيام رجب وشعبان ورمضان إذا كان الصوم فيها متصلا.. وعن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت: قال النبى صلى الله عليه وسلم:

كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهليهم وصائم رجب وشعبان ورمضان، فإنهم شباع لاجوع لهم ولا عطش ..

أول ليلة من رجب

قال الشيخ الولى العارف بالله سيدى عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه فى كتابه

---

(١)ونقول إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغّب فى صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع على مدار السة.. فما بالك بشهر حرام، ذكره الله فى القرآن الكريم وعظمه وحرَّم القتال فيه، ونهى أن يتظالم الناس فيه.. فكلما تقرب المسلم فى الأشهر الحرم بأنواع الطاعات مس صلاة وصيام وأذكار وغير ذلك من النوافل، كان ذلك أحب إلى الله وأرضى له..

"الغُنْيَة" لطالبى طريق الحق، فى أول ليلة من رحب يقول العبد إذا فرغ من صلاة العشاء ونوافلها:

"إلهى تعرض إليك فى هذه الليلة المتعرضون، وقصدك القاصدون، وأمل معروفك وفضلك الطالبون، ولك فى هذه الليلة نفحات ومواهب وعطايا تمن بها على من تشاء من عبادك، وتمنعها عمن لم تسبق له منك عناية، وها أنا ذا عبدك الفقير إليك، المؤمل فضلك ومعروفك، فجد عليَّ بفضلك ومعروفك يارب العالمين"

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أعظم الليالى أربعة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عيد الأضحى..

وروى الديلمى عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يسح الله الخير فى أربع ليال سحا:

أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى"

وعن أبى أمامة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

خمس ليال لاترد فيهن الدعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة وليلتا العيدين [(١)]

ولما كان لشهر رجب هذا الفضل، فقد أورد العارفون فيه صلوات تطوعا، بعضها عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، وبعضها توفيقا من الله.. فمن أراد القيام بها كان ذلك خيرا وبركة، وكان له المزيد من الأجر والثواب والقرب من الله، ومن لم يستطع فلا حرج عليه، وليس ذلك بإلزام عليه..

يصلى أول ليلة من رجب، وذلك بعد صلاة العشاء، يصلى عشر ركعات، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و ﴿قل يأيها الكافرون﴾ مرة وسورة الإخلاص (ثلاثا).. وبعد الفراغ يقول الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" (مائة مرة)، ويصبح صائما، كما قال

---

(١)جامع الأحاديث جـ٤ صـ ٧٢

صلى الله عليه وسلم: "من صام يوما واحدا من شهر رجب سد الله عنه بابا من أبواب جهنم.."

صلاة ليلة الرغائب [1]

يصبح أول خميس من رجب صائما، ثم يصلى ليلتها بين العشاء والفجر اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، و ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ (ثلاث مرات)، و ﴿قل هو الله أحد﴾ (اثنتى عشرة مرة)، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبعين مرة) بهذه الصيغة:

"اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم"

ثم يسجد سجدة يقول فى سجوده:

"سبوح قدوس رب الملائكة والروح" (سبعين مرة)

ثم يرفع رأسه، فيقول:

"رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فإنك أنت العزيز الأعظم" (سبعين مرة)

ثم يسجد ثانية، فيقول فيها متل ماقال فى السجدة الأولى (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) ثم يسأل الله حاجته فى سجوده، فإنها تقضى إن شاء الله تعالى..

استحباب الإكثار من الدعاء في يوم العاشر من رجب

روى عن قيس بن عباد رضى الله عنه، قال: [2]

فى اليوم العاشر من رجب ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعند أم الكتاب﴾ [3]

قال الإمام ابن كثير رضى الله عنه فى تفسيره لهذه الآية:

---

(١)يقول بعض العلماء أن هذه الصلاة لم يرد بها سند صحيح وأنها بدعة.. ونحن نقول إن هناك أيضا علماء أقروها واستحسنوها.. ومادام الأمر يدخل فى باب التطوع، فلا مانع من ذكرها.. والإكثار من التطوع مرغوب فيه ويثاب عليه صاحبه، وخاصة فى الأشهر التى لها فضل وحرمة عن الله.. فقد ذكرها أبو طالب المكى فى كتابه "قوت القلوب"، والإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه "إحياء علوم الدين"، كما ذكرها الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلانى فى كتابه "الغنية لطالبى طريق الحق" ويكفى هؤلاء الثلاثة علما وفضلا وفقها.. وقيل إن هذه الليلة هى التى سمتها الملائكة بليلة الرغائب، لبركتها وقدرها عند الله..

(٢)عن ابن رجب الحنبلى فى كتابه "لطائف المعارف" (٣)سورة الرعد آية (٣٩)

"اختلف المفسرون فى شرح تلك الآية. فعن سعيد بن جبير أن ابن عباس، قال: يدبر أمر السنة فيمحو الله مايشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت.. وفى رواية قال: كل شئ إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فإن الله قد فرغ منها..

وقد سئل مجاهد رضى الله عنه، فقيل له: أرأيت لو دعى أحدنا يقول: اللهم إن كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم، وإن كان فى الأشقياء فامحه عنهم واجعله فى السعداء، فقال: حَسَنٌ. ثم سئل ثانية عن نفس الآية، فقال: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ قال: يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم مايشاء ويؤخر ما يشاء..

وقال الأعمش عن أبى وائل شفيق بن سلمة أنه كان كثيرا ما يدعوا بهذا الدعاء :

اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب

وعن أبى عثمان الفهدى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال وهو يطوف بالبيت ويبكى:

اللهم إن كنت كتبت علىَّ شقوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة

وعن أبى قلابة رضى الله عنه أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يدعو أيضا به ..وهكذا صح عن الصحابة رضوان الله عنهم والتابعين أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء..

ومما يرجح هذا القول، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر" (١)

وفى حديث آخر عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

لايغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة (٢)

وقال ابن عباس رضى الله عنه: لاينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء..

كما ثبت فى الصحيح أن صلة الرحم تزيد فى العمر..

---

(١)رواه ابن حبان فى صحيحه عن ثوبا رضى الله عنه، والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد..

(٢)يعتلجان: أى يتصارعان ويتدافعان ، رواه البزار والطبرانى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحول الشقاء سعادة، وتزيد فى العمر، وتقى مصارع السوء".. [1]

وسئل ابن عباس عن قول الله عز وجل ﴿وعنده أم الكتاب﴾، قال: ما يبدله الله وما يثبته فى كتاب عند رب العالمين..

فعليك ياأخى بالدعاء والإكثار منه وخاصة فى الأيام الفاضلة والتى لها منزلة عند الله لعل الله أن يستجيب لك، وينقلك إلى حال أحسن، والله لا يرد داعيا دعاه..

ولما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الأدوية والرقى، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال: هى من قدر الله تعالى. وكذلك قال عمر رضى الله عنه لما رجع من الطاعون، فقال له أبو عبيدة أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله، فإن الله تعالى قدر المقادير ويقدر ما يدفع بعضها قبل وقوعه..

فضل ليلة النصف من رجب

روى أن سيدنا آدم عليه السلام قال: "يارب: أخبرنى بأحب الأوقات إليك، وأحب الأيام إليك، قال الله: أحب الأيام إلى النصف من رجب، فمن تقرب إلى يوم النصف من رجب بصيام وصلاة وصدقة، فلا يسألنى شيئا إلا أعطيته، ولا استغفرنى إلا غفرت له.. ياآدم من أصبح يوم النصف من رجب صائما ذاكرا حافظا لفرجه، متصدقا من ماله، لم يكن له جزاء إلا الجنة.."

وقد ورد أن من صام النصف من رجب عدل له بصيام ثلاثين سنة..

وجاء فى "عيون المجالس" أنَّ ليلة النصف من رجب هى التى كلم الله فيها سيدنا موسى ورفع سيدنا إدريس فيها إلى السماء، ويقول الله تعالى فى هذه الليلة للملائكة الموكلين بدواوين العباد الذاكرين القائمين، انظروا إلى دواوينهم فكل سيئة امحوها واجعلوا مكانها حسنة..

---

(١)رواه أبو نعيم

ويصلى فى **ليلة النصف من رجب** عشر ركعات بخمس تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص (ثلاثين مرة)، وبعد الفراغ يستغفر الله تعالى (مائة مرة) ويصبح صائما..

فضائل ليلة الإسراء والمعراج

رجح العلماء والسلف رضى الله عنهم أن الإسراء والمعراج وقع فى ليلة السابع والعشرين من رجب، وهو المشهور وعليه عمل الناس، والذى جاء فيه قول الله عز وجل فى سورة الإسراء:

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾

فكان الإسراء إلى بيت المقدس بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم سنة إحدى عشرة من البعثة، وكان كما قال معظم العلماء فى شهر رجب. والمعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا ليطلع على عجائب الملكوت، كما قال تعالى: ﴿لنريه من آياتنا﴾ وإلا فالله تعالى لايحويه زمان ولا مكان..

ولما كان هذا الحدث الجليل يعد من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الكريم فقد احتفل العباد والعارفون بتلك الليلة المباركة بالذكر والتسبيح والدعاء ولزم أن يصبحوا صائمين، شكرا لله على ماأولى نبينا من نعم وآلاء وآيات باهرات..

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا " (١) وهو أول يوم نزل فيه جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وفيه أسرى به (صلى الله عليه وسلم)

ولما كان لتلك اللية هذا القدر الجليل وتلك المكانة العالية، فقد استحب الصالحون أن يحيوا تلك الليلة بالصلاة والتسبيح والذكر والإستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقالوا:

---

(١)روى الحديث الإمام أبى حامد الغزالى فى كتابه (مكاشفة القلوب)صـ٣٦٤ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه

يصلى **تلك الليلة** وبعد صلاة العشاء اثنتا عشرة ركعة، فى كل ركعة بالفاتحة وسورة الإخلاص (ثلاثا)، فإذا فرغ، يسبح الله تعالى (مائة مرة) ويستغفر الله تعالى (مائة مرة)، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم (مائة مرة) وهذه هى الصيغ:

-سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (مائة مرة)

-استغفر الله العظيم الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه (مائة مرة)

-اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (مائة مرة)

ثم يسجد لله، ويسأل الله حاجته تقضى بإذن الله، ثم يقول:

"اللهم إنى أسألك بمشاهدة أسرار المحبين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين أن ترحم قلبى الحزين وتجيب دعوتى ياأكرم الأكرمين"..

استحباب كثرة الإستغفار والتسبيح فى شهر رجب

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يكثرون من الاستغفار فى هذا الشهر الكريم.. ففيه يغفر الله للمذنبين ويكرم التائبين، ويقرب الذاكرين، ويواصل المجتهدين، ويبشر الطائعين.. قال وهب بن منبه: "قرأت فى بعض الكتب السابقة أن من استغفر الله بالغداة والعشى فى رجب سبعين مرة حرم الله جسده على النار". وقال على رضى الله عنه: قال النبى صلى الله عليه وسلم: "اكثروا من الاستغفار فى شهر رجب، فإن لله تعالى فى كل ساعة منه **عتقاء من النار**، وإن لله مدائن لايدخلها إلا من صام رجب".. [1]

وقد كان الصالحون رضوان الله عليهم يقرأون هذا الاستغفار فيما بين **الظهر والعصر** فى رجب وشعبان ورمضان، فقد ورد أن له فضل عظيم.. وهاهو :

"أستغفر الله العظيم الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لايملك لنفسه ضرا ولانفعا ولاموتا ولاحياة ولانشورا (سبعين مرة)

---

(١)قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: كان بعض الصالحين قد مرض قبل شهر رجب، فقال: إنى دعوت الله أن يؤخر وفاتى إلى شهر رجب، فإنه بلغنى أن لله فيه عتقاء من النار، فبلغه الله ذلك ومات فى شهر رجب..

كما كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يسبحون الله كثيرا فى شهر رجب، فكانوا يقرأون:فى العشر الأول: سبحان الحى القيوم (مائة مرة)

وفى العشر الثانى: سبحانْ الله الأحد الصمد (مائة مرة)

وفى العشر الثالث: سبحان الله الرءوف الرحيم (مائة مرة)

ولمكانة هذا الشهر الجليل وحرمته عند الله، فقد عظمه الصالحون والأولياء من عباد الله، وتقربوا فيه إلى الله بشتى العبادات، وأجهدوا أنفسهم فيه تقربا إلى الله، فقد حكى الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه "مكاشفة القلوب": "أن امرأة متعبدة من بيت المقدس كانت تزيد من عبادتها كلما أهل شهر رجب، فكانت تقرأ فى كل يوم من رجب اثنتى عشرة ألف مرة ﴿قل هو ا لله أحد﴾ كما كانت تصوم رجب كله، فلما حضرتها الوفاة، أوصت ولدها، أن يكفنها فى ثيابها التى كانت تتعبد إلى الله فيها فى رجب، فلما ماتت كفنها فى ثياب غير ثيابها، فلما رجع من دفنها، وجد كفنها فى البيت، و لم يجد ثيابها، فعجب من ذلك، فهتف به هاتف: خذ كفنك، فقد كفناها فى ثيابها، فإنا لاننزل من صام رجب وتعد إلينا فيه حزينا فى قبره.."

وقد عدد العلماء والصالحون فضائل تلك الأشهر الكريمة، والتى تبدأ بشهر رجب وتنتهى برمضان، وكيف أن شهر رجب هو المقدمة الطيبة لأشهر بعده تحمل الخير والبركة للعاملين الطائعين.. فقالوا:

-رجب شهر التهليل، وشعبان شهر التسبيح، ورمضان شهر التحميد

-رجب شهر إلقاء البذرة، وشعبان شهر السقى، ورمضان شهر الحصاد

-رجب يطهر البدن، وشعبان يطهر القلب، ورمضان يطهر الروح

-رجب للسابقين، وشعبان للمقتصدين، ورمضان للظالمين..[1]

-رجب لاستغفار الذنوب، وشعبان لستر العيوب، ورمضان لتنوير القلوب

-السنة شجرة: رجب أيام ورقها، وشعبان أيام ثمارها، ورمضان أيام قطافها

-رجب خص بالمغفرة، وشعبان بالشفاعة، ورمضان بتضعيف الحسنات

-رجب شهر التوبة، وشعبان شهر المحبة، ورمضان شهر القربة

(١)أى للظالمين أنفسهم بالمعاصى والسيئات، فإن عادوا إلى ربهم فى شهر رجب، وتابوا توبة صادقة، فإن الله يغفر لهم ما مضى إن شاء الله..

-رجب مثل الرياح، وشعبان كالسحاب، ورمضان كالمطر
وقد قيل: الحسنة فى سائر الشهور بعشرة، أما فى رجب بسبعين وفى شعبان بسبعمائة وفى رمضان بألف..والله تعالى أعلم.

فضائل شهر شعبان

قال صلى الله عليه وسلم يوما وقد دخل شهر شعبان:

"أتدرون لم سمى هذا الشهر بشعبان ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: لأنه يتشعب فيه خير كثير..

وروى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا دخل شعبان: طهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه..

وعن يحيى بن معاذ رضى الله عنه: "إن فى شعبان خمسة أحرف، يعطى لكل حرف عطية للمؤمنين: بالشين الشرف والشفاعة، وبالعين العزة والكرامة، والباء: البر والرحمة، وبالألف الألفة، وبالنون النور والنعمة"..

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فيه، ويتقرب فيه إلى الله بمختلف الطاعات من كثرة صيام، وذكر، وتعبد، وقنوت، وسجود.

فعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما، قال:

قلت: يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ماتصوم من شعبان، قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم(١)

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ولايفطر، حتى نقول مافى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفطر العام، ثم يفطر فلا يصوم حتى نقول مافى نفسه أن يصوم العام، وكان أحب الصوم إليه فى شعبان (٢)

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أحياناً يصوم شعبان كله (٣)، قالت، قلت:

---

(١)رواه النسائى

(٢)رواه الإمام أحمد والطبرانى

(٣)جاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصل شعبان برمضان، فقد روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ثعلبة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أحيانا يصوم شعبان ورمضان يصلهما..

" يارسول الله أحب الشهور إليك أن تصوم شعبان ؟ قال: إن الله يكتب فيه على كل نفس ميتة تلك السنة، فأحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم" (١)..

وليس مطلوبا منك ياأخا الإسلام أن تصوم شعبان كله، فكل على قدر طاقته واستطاعته، ولايكلف الله نفسا إلا وسعها.. فقد روى النسائى والترمذى وغيرهما أن عائشة رضى الله عنها قالت: "ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان، كان يصومه إلا قليلا.."

وفى رواية البخارى ومسلم قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: "لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ماتطيقون، فإن الله لايمل حتى تملوا، وكان أحب الصلاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم مادووم عليه وإن قلت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها.."

وهكذا يتبين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعظم شعبان استعدادا لرمضان، روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال: "سُئِلَ النبى صلى الله عليه وسلم أى الصوم أفضل بعد رمضان؟ قال: شعبان لتعظيم رمضان.."

وقال العلماء إن أفضل التطوع ماكان قريبا من الفرض، ومن هنا كان أفضل الصيام ماكان قبل رمضان وبعده. فإن هذا التطوع يلتحق بالفريضة فى الفضل أى فى الأجر والثواب، ولهذا كانت السنن الرواتب التى تصلى قبل الفرائض وبعدها أعظم أجرا من التى تبعد عنها

وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأنه شهر الله الحرام وليس هذا بصحيح، فقد روى ابن وهب قال حدثنا معاوية بن صالح عن أزهر بن سعد عن أبيه عن عائشة قالت: "ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناس يصومون رجب، ويتوقفون فى شعبان فقال: فأين هم من شعبان ؟.."

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان، شرع فيه مايشرع فى رمضان من الصيام وقراءة

---

(١) الله تعالى يقدّر فى هذا الشهر النفوس التى ستموت إلى شعبان القادم، فيريد صلى الله عليه وسلم أن يتحرى المسلم الصوم فى شعبان ويكثر منه، فربما يأتيه الموت فى تلك السنة، فإن أتاه وهو صائم، فتلك خاتمة طيبة، يتمناها كل مسلم.. الحديث رواه أبو يعلى واسناده حسن

القرآن، ليحصل التأهب لتلقــى رمضــان، وترتـاض النفـوس على طاعـة الرحمـن. فصيـام شعبان كالتدريب على صيام رمضان لئلا يدخل فى صوم رمضان على مشقة، بـل يكـون قد تدرب على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شـعبان حـلاوة الصيـام ولذتـه، فيدخـل فـى صيام رمضان بقوة ونشاط..

كذلك كان السلف إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف، فقرءوها. روى عن أنـس رضى الله عنه، قال: كــان المسـلمون إذا دخـل شـعبان انكبـوا علـى المصـاحف فقرءوهـا وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان.

ومما كان الصالحون يحافظون عليه فى شهر شعبان **صلاة التســابيح**، وكيفيتهـا مـارواه عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمه العباس رضى الله عنـه: "ياعماه ألا أمنحك، ألاأعطيك، ألاأفعل بك عشر خصال، إذا أنت فعلت ذلك، غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، وقديمه وحديثه، وعمده وخطأه، وسره وعلانيته:

تصلى أربع ركعات، تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة مــن القـرآن [1]، فـإذا فرغـت مـن القراءة فى أول ركعة، فقل وأنت قائم: سبحان الله، والحمد لله، ولاإله إلا الله، والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقول وأنت راكع هذه التسـبيحات عشـرا، ثـم ترفـع رأسـك مـن الركـوع فتقولها عشرا، ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا، ثم ترفع رأسك مـن السـجود فتقولهـا عشرا، ثم تسجد فتقولها عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، فذلك خمـس وسـبعون فى كل ركعة، تفعل ذلك فى أربع ركعات [2] ثـم أكمـل النبى حديثـه قـائلا: وإن اسـتطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تستطع ففى كل جمعة مـرة، فـإن لم تفعـل ففـى كـل شـهر مرة، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة [3]"..

---

(١)أما إذا كنت حافظا للقرآن، فمن الأفضل، كما قال بعـض العلمـاء، أن تقـرأ فـى الركعـة الأولى بعـد الفاتحة سورة الحديد، وفى الثانية سورة الحشر، وفى الثالثة سورة الصـف، والرابعـة سـورة الجمعـة، لأنهـا تبدأ بالتسبيح لله ﴿سبح لله ما فى السماوات والأرض﴾ أما إذا لم تكن حافظاً لتلـك السـور، فـاقرأ أى سور بترتيب القرآن

(٢)إن صليتها ليلا، فالأفضل أن تسلم فى كل ركعتين، وإن صليتها نهارا، فإن شئت سلّمت، وإن شئت لم تُسَلِّم..

(٣)رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن خزيمة فى صحيحه.

وقد روى الأمام الطبرانى هذا الحديث، إلا أنه ذكر فى آخره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فلو كانت ذنوبك مثل زبد البحر، أو رمل عالج [1] غفر الله لك"

قال عبد العزيز بن أبى داود: "من أراد الجنة فعليه بالمداومة على صلاة التسابيح"..

وقال أبو عثمان الخيرى الزاهد: "مارأيت للشدائد والهموم مثل صلاة التسابيح.."

صلاة أول ليلة من شعبان

وقد أحيا الصالحون **أول ليلة من شعبان**، كانوا يصلون اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص (خمسة عشر مرة)، قال بعض السلف: من صلى هذه الصلاة فإن الله يكتب فى صحائف أعماله عشرة آلاف حسنة وتمحى عنه مثلها من السيئات إن شاء الله.. وفى رواية أخرى: كانوا يصلون ركعتين يقرأ فى كل واحدة منها الفاتحة مرة وآية الكرسى عشر مرات، وبعد الصلاة يقول: ﴿شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لاإله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الإسلام﴾ (عشر مرات)

١. ليلة النصف من شعبان وفضل إحيائها

أما ليلة النصف من شعبان، فتلك ليلة مباركة لها منزلتها وقدسيتها وفضلها، يتجلى الله فيها على عباده العابدين الطائعين الذين يقبلون على ربهم فى تلك الليلة، آملين من الله أن يمنحهم الخير والقرب والمغفرة

قال عطاء بن يسار رضى الله عنه: "ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان".. ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده كلهم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم..

فلهذه الليلة قداسة تاريخية ذات معنى، ففى نهارها حول الله القبلة من بيت المقدس إلى البيت العتيق استجابة لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين أكثر اليهود اللغط بسبب

---

(١)جبل عظيم يسمى عالج بالأراضى الحجازية

اتجاهه فى صلاته إلى بيت المقدس منذ قدومه إلى المدينة المنورة، شأن أبيه ابراهيم، فكان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه فى السماء يطلب من الله أن يوليه قبلة يرضاها، قطعا للجاجة اليهود. فبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى مسجد بنى سلمة صلاة الظهر مستقبلا المسجد الأقصى بالشام، إذ نزل قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى بالركعتين الأوليين من الظهر فاتجه فى الركعتين الأخريين إلى المسجد الحرام، ولذلك سمى هذا المسجد (مسجد القبلتين) يزوره من زار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزور هناك من آثار..

روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال:

"إذا كانت **ليلة النصف من شعبان**، فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله تبارك وتعالى ينزل (٢) فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر" (٣)

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"يطّلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن" (٤)

وروى البيهقى من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتانى جبرائيل عليه السلام، فقال: هذه ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب، ولاينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل إزاره، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر.."

---

(١)سورة البقرة آية (١٤٤)

(٢)ينزل فيها بمعنى أن تصب رحماته وتغدق بركاته وتصب مغفرته ويعم خيره وتفتح أبواب السماء فى تلك الليلة، فيستجاب الدعاء ويتنزل الإحسان..

(٣)رواه ابن ماجه

(٤)رواه الطبرانى وابن حبان

ولما لهذه الليلة من فضل كما بينا، فقد أحيا النبى صلى الله عليه وسلم هذه الليلة بالدعاء وطول السجود والتضرع، والإبتهال إلى الله..

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل، فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك، فرجعت فسمعته يقول فى سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك إليك، لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.. فلما رفع رأسه من السجود، وفرغ من صلاته، قال: ياعائشة: أظننت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خاس[1] بك؟ قلت: لا والله يارسول الله، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك، فقال: أتدرين أى ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم .." [2]

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن هناك ليالى لها فضل عظيم على كثير من الليالى والأيام، لابد للمسلم أن يغتنمها، ويحييها بالتعبد وطول القنوت وكثرة الدعاء لعل الله أن يمن عليه بالفضل والمغفرة والرضوان.

فقد أخرج الخطيب فى رواية مالك عن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول:

يسح الله الخير فى أربع ليال سحا:

ليلة الأضحى، وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة..

كما روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أربع ليال: لياليهن كأيامهن، وأيامهن كلياليهن:

يبر الله فيهن القسم، ويعتق النسم، ويعطى فيهن الجزيل:

ليلة القدر وصباحها، وليلة النصف من شعبان وصباحها

وليلة عرفة وصباحها، وليلة الجمعة وصباحها..

---

(١)أظننت أنى غدرت بك، وذهبت فى ليلتك إلى غيرك..

(٢)رواه البيهقى

وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا **الليالى الخمس** وجبت له الجنة: ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان.."

وروى من حديث عمر بن عتمان بن كثير بن زياد بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحيا ليلة النصف من شعبان وليلتى العيدين، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب"

وقد تابع السلف الصالح [1] رضوان الله عليهم نهج النبى صلى الله عليه وسلم فى إحياء نلك الليلة المباركة، واقتدوا به، فتسابقوا فى النيل بنفحات الله عز وجل، والسعيد هو الذى يغتنم الليالى المباركات، عسى أن يفوز فيها بالخيرات والسعادة الأبدية.

وقد اختلف الناس فى كيفية إحيائها، فمن قال أنه يستحب إحياؤها جماعة فى المسجد، ومن قال لايكره أن يصلى الرجل فيها فى بيته، ومن هنا قال الإمام الحافظ [2] ابن رجب الحنبلى فى كتابه "لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف:"

"اختلف علماء أهل الشام فى صفة إحيائها على قولين: أحدهما أنه يستحب إحياؤها جماعة فى المسجد منهم خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما، فكانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون فى المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم اسحاق بن راهويه على ذلك، وقال فى قيامها فى المسجد جماعة ليس ذلك بدعة [3]..! أما الفريق الثانى قالوا: لايكره أن يصلى الرجل فيها لخاصة نفسه فى بيته ..

---

(١)قال ابن رجب الحنبلى: كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها فى العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها..

(٢)هو الحافظ زين الدين بن رجب (الحنبلى)، ولد فى بغداد ثم انتقل إلى دمشق صغيراً فسمع وحدَّث عن جماعة، وكان أحد الائمة الحفاظ، أحبه الناس لعلمه الغزير وورعه وتقواه توفى ليلة الأثنين الرابع من رمضان سنة ٧٩٥ هـ.. رضى الله عنه وأرضاه..

(٣)قال كثير من العلماء: "إن صلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة، وصلوها بغير أذان وإقامة. وجاء فى "المحيط" لايكره الاقتداء بالإمام فى النوافل مطلقا كما فى ليلة القدر وصلاة الرغائب وليلة النصف من شعبان وغير ذلك، لأن مارآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن".. قال ابن حزم الأندلسى: "صلاة التطوع فى الجماعة أفضل منها منفردا وكل تطوع فهو فى البيوت أفضل منه فى المساجد، إلا ما صُلِّى منه جماعة فى المسجد فهو أفضل.."

أما صلاة **ليلة النصف من شعبان** والتى يسميها الصالحون والعارفون بليلة البراءة [1]، أى البراءة من النار إن شاء الله، قال عطاء بن يسار: "إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة، فيقال: اقبض من فى هذه الصحيفة، فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان، وإن اسمه قد نسخ فى الموتى، ماينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به يقبضه.." [2]، فكان بعض السلف رضوان الله عليهم يصلى فى تلك الليلة بعد الغسل والتطيب أربع ركعات فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿قل هو الله أحد﴾ (خمسا وعشرين مرة)

والبعض الآخر كانوا يحيونها بصلاة عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص (مائة مرة)

أما الفريق الثالث فكانوا يصلون **مائة ركعة** يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة وسورة الإخلاص (عشرا).. ويسمونها صلاة الخير

وأنت ياأخى مخير فيما يتفق وإمكانياتك، وكل ذلك تطوع، لا إجبار عليك فيه، فمن تطوع خيرا فهو خير له.. ثم إذا انتهيت من صلاتك، لامانع أن تدعو بهذا الدعاء: وأنت ساجد إن امكنك ..

"سجد لك وجهى وخيالى وآمن بك فؤادى وأقر بك لسانى وها أنا بين يديك ياعظيم: اغفر ذنبى العظيم، فإنه لايغفره غيرك . اللهم سجد وجهى الفانى لوجهك الباقى، إلهى لاتحرقن وجها خر لك ساجدا.. واعفر وجهى فى التراب لسيدى، وحق له أن يسجد.. اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا، لاكافرا ولاشقيا"

يقول الشيخ أبو طالب المكى المتوفى سنة ٢٩٧ هـ، فى كتابه "قوت القلوب": "كانوا يسمون هذه الصلاة (صلاة المائة ركعة) صلاة الخير، ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة، ثم قال: روى عن الحسن البصرى أنه قال: حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله عز وجل إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة.."

---

(١)قال العلماء: " إن لهذه الليلة أسماء كثيرة لعظم فضلها، فقالوا عنها ليلة الرحمة، ليلة إجابة الدعاء، ليلة الغفران، ليلة عيد الملائكة، ليلة القسم والتقدير، ليلة الحياة، ليلة الشفاعة والعفو، وليلة البراءة

(٢)"لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلى

ومن شاء قرأ أدعية أخرى أو أورادا للصالحين، أو أذكارا شرعية أخرى فلا مانع، وإذا تصدَّقت فى هذه الليلة بما تستطيع من مال على ذوى الأرحام والفقراء، فإنك تكون قد جمعت بين الحسنيين.. ثم تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بقدر ماتستطيع..

ويقول بعض الصالحين :

من المرغوب فيه، إن استطعت، أن تقرأ فى تلك الليلة المباركة ما بين المغرب والعشاء، أو بعد العشاء، سورة **يس** وسورة **الملك**، ثلاث مرات، بقصد أن يمن الله عليك بأربع منح إن شاء الله :.

-أن يبارك الله فى عمرك

-يدفع الله عنك وعن أهلك بلاء السنة القادمة.

-يغنيك الله عن الناس

-وأن يجيرك الله من عذاب القبر ..

فينبغى للمؤمن أن يتفرغ فى تلك الليلة لذكر الله ودعائه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب، وأن يقدم على ذلك التوبة الصادقة، فإن الله تعالى يتوب فيها على من يتوب ويعود إليه.. ولله در من قال:

فقم ليلة النصف الشريف مصليا .·. فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه
فكم من فتى قد بات فى النصف آمنا .·. وقد نسخت فيه صحيفة حتفه
فبادر بفعل الخير قبل انقضائه .·. وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه
وصم يومها لله وأحسن رجاءه .·. لتظفر عند الكرب منه بلطفه

والله تعالى هو الموفق..

فضـل شهـــر رمضــــان

ها نحن أولاء قد وصلنا إلى شهر التجليـات والنفحـات الإلهيـة، والمغفـرة، والعتـق مـن النار، شهر الأنوار والقرب، شهر العطاء والجود..

شهر منح الله فيه أمة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة مباركة، هى ليلـة القـدر، لم يعطها الله عز وجل لأمة من الأمـم.. من أحياها فكأنما عبد الله خيرا من ألف شهر..

شهر تفتح فيه المصاحف، ويقرأ فيه القرآن، ولايشبع الصالحون من تلاوتـه، فهـو أنيسـهم وجليسهم ونور قلوبهم..

شهر يهرع العــاصون فيـه لربهـم، فيقبـل توبتهـم، ويعفـو عنهـم، ويـأخذ بيدهـم ويبـدل سيئاتهم حسنات..

شهر العفو عن الذنوب صغيرها وكبيرها، حتى إذا خرج من رمضــان، خـرج مغفـورا لـه كيوم ولدته أمه.. وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار..

شهر ينظر الله فيه للمتنافسين فى طاعته ويباهى الله بهم ملائكته..

شهر من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار..

شهر الصبر والإرادة، والصبر ليس له ثواب دون الجنة..

شهر لاينحصر ثواب صيامه فى عدد من الحسنات، كبقيـة العبـادات، بـل لايدخـل ثوابـه تحت حصر أوعدد.. وهو شـهر طول التهجد وذلك مهور الحور العين..

فهنيئا لمن شهد الشهر وصامه، وتحفظ فيه، والتزم بآدابه، وراعى حرماته، وتشبه فيه بالملائكة..

ويكفى ماقاله المعصوم صلوات الله وسلامه عليه من أن الصوم لايسقط ثوابـه بمقاصة [(١)] ولابغيرها بل يُوَفَّـرُ أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة، فيوفى أجره فيها، وذلك فيما رواه سفيان ابن عيينه رضى الله عنه مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) بما أن الصيام لله عز وجل، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام، بل أجـره مدخـر لصاحبـه عنـد الله عـز وجل، وحينئذ فقد يقال إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقى له أجر، فإنه روى أنـه يـوازن يـوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض، فإن بقى من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة..

"إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لايبقى إلا الصوم، فيتحمل الله عز وجل مابقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة" [1]

يمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك، فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذى كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء.

روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وانزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان، وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه: أن الزبور أنزل لثنتى عشرة خلت من رمضان، والإنجيل لثمانى عشرة.

قال تعالى:

﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون﴾ [2]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه فيقول: قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم.. [3]

وعن أبى مسعود الغفارى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وقد أهل رمضان، فقال: لو يعلم العبد مارمضان لتمنت أمتى أن تكون السنة كلها رمضان، فقال رجل من خزاعة: يانبى الله حدثنا عن رمضان، فقال: "إن الجنة لتُنَجَّد، وتُزَيَّن من الحول إلى الحول لدخول رمضان [4]

---

(١)خرجه البيهقى فى شعب الإيمان

(٢)سورة البقرة آية (١٨٥)

(٣)رواه النسائى والبيهقى

(٤)رواه ابن خزيمة فى صحيحه، والبيهقى من طريقه

وليس هناك من شهر أكرم على الله من شهر رمضان، ففيه يحط الله الخطايا، وينزل الرحمات، ويستجيب فيه الدعاء، والله ينظر إلى المتنافسين فيه بعين الرضا

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان:

"أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل" .. (١)

ولمكانة شهر رمضان عند الله، فإن الله يأمر أبواب الجنة أن تفتح، وأبواب النار أن تغلق، كما تغل فيه مردة الشياطين حتى لاتعمل عملها مع الصائمين.

روى الطبرانى فى الأوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

هذا رمضان قد جاء، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتغل فيه الشياطين، بُعَداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، إذا لم يغفر له فمتى..؟ (٢)

ولما لهذا الشهر الكريم من مكانة، ولما للصائمين فيه من منزلة وأجر، فإن النبى صلى الله عليه وسلم يحض الصائمين على الإلتزام بآداب الصيام من بُعْدٍ عن الكذب والغيبة وفحش القول، والإفطار على الحلال من الطعام، فإذا ماتأدب الصائم بهذه الأخلاق، غفر الله له كل ذنوبه، وخرج من رمضان مغفورا له..

رُوى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن شهر رمضان شهر أمتى، يمرض مريضهم فيعودونه (٣) إذا صام مسلم لم يكذب ولم يغتب، وفطره طيب، وسعى إلى العتمات (٤)، محافظا على فرائضه، خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها." (٥)

---

(١)رواه الطبرانى ورواته ثقات (٢)يعنى إذا لم يغفر له فى رمضان، فمتى يغفر له وهو شهر المغفرة..

(٣)بمعنى أن المسلم الصائم لايجب أن يتوقف عن أداء النوافل بحجة الصيام.. فعيادة المريض وتشييع الجنائز وقضاء حاجة المسلمين وخاصة فى شهر رمضان لمن أجل القربات إلى الله..

(٤)العتمات: صلاتا العشاء والفجر (٥)رواه أبو الشيخ فى الثواب

وليس هناك من الأعمال ما تقرب الصائم من ربه فـي هـذا الشـهر أفضـل مـن إطعـام الصائمين، فهو شهر المواساه، والتراحم.. فى رواية لأبى الشيخ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من فطّر صائما فى شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالى رمضان كلها، وصافحه جبرائيل عليه السلام ليلة القدر، ومن صافحة جبرائيل عليه السلام يرق قلبه وتكثر دموعه، قال: فقلت يارسول الله، أفرأيت من لم يكن عنده؟ قال: فقبضة من طعام. قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده لقمة خبز؟ قال: فمذقة من لبن، قال: أفرأيت إن لم تكن عنده؟ قال: فشربة من ماء".. (١)

ولكى يصح صوم المسلم، ويتقبل منه، لابد من مراعاة آداب الصيام التى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا فإن الله يرد عليه صيامه، قال النبى صلى الله عليه وسلم:

"رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم بالليل حظه من قيامه السهر"، ومعنى ذلك أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لايكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات، ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر: ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث (٢)

وقال جابر رضى الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، وعن المحارم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولاتجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء"، وفى ذلك يقول أحد الصالحين:

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون .·. وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظمأ .·. فإن قلت إنى صمت يومى فما صمت

وقد ذكر الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى الأمور التى يتم بها صوم الصالحين فقال: لايتم صوم الصالحين إلا بستة أمور:

---

(١)رواه ابن خزيمة والبيهقى

(٢)رواه مسلم

الأول : غض البصر وكفه عن النظر إلى كل مايذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهيه عن ذكر الله عز وجل [1]

الثاني : حفظ اللسان عن اللغو والكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والفحش والجفاء والخصومة والمراء (الجدل)[2]..وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن..

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، لأن كل ماحرم قوله حرم الإصغاء إليه [3]

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره..

الخامس : ألا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فقد ورد أنه ما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال.. وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة، إذا تدارك الصائم عند فطره، مافاته طوال نهاره، وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام.. ومعلوم أن مقصود الصيام الجوع وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى..

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا بين الخوف والرجاء، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين، أو يرد عليه فهو من الممقوتين.. وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها..

ثم قال: إن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية، والإقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بقدر الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لإستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك فى الشهوات، انحط إلى أدنى مرتبة والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة،

---

(١)روى عن جابر عن أنس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خمس يفطرن الصائم: الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة"

(٢)قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الصوم جُنّة (أى وقاية)، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل إنى صائم إنى صائم..

(٣)قال صلى الله عليه وسلم:"المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم"

والملائكة مقربون من الله عز وجل، فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب بالمكان، بل بالصفات.."

ولذلك قيل: "كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم."

والمفطر الصائم هو الذى يأكل ويشرب ولكنه يحفظ جوارحه عن الآثام.

والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ترتكب من الآثام ماتشاء.

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: "إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته"

ولما تلا النبى صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل:

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾، وضع يده على سمعه وبصره، فقال: السمع أمانة، والبصر أمانة، ولولا أنه من أمانات الصوم، لما قال النبى صلى الله عليه وسلم فليقل إنى صائم.."

فإذا لم يثمر الصيام زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة، ورذائل الأخلاق، وإذا لم يثمر التقوى والمراقبة والخشية فلا قيمة له ولا وزن له عند الله.. وهذا هو سر قوله تعالى ﴿لعلكم تتقون﴾ فى الآية الكريمة: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.. وقد فسر الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير آية ﴿لعلكم تتقون﴾ الآية ١٨٣ من سورة البقرة، بقوله:

-الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وقمع الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويهون على المسلم لذات الدنيا..

-ينبغى لكم بالصوم أن يقوى رجاؤكم فى التقوى وهذا معنى لعل..

-لعلكم تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات من طعام وشراب ونساء.. فإذا سهل عليكم اتقاء الله بترك تلك الملذات، كان اتقاء الله بترك سائر الملذات أسهل وأخف..

-لعلكم تنتظمون بسبب هذه العبادة فى زمرة المتقين، لأن الصوم شعارهم

فإذا ماراقب الصائم ربه فى صيامه، وانتصر على شهواته، وجاهد نفسه، وتحكم فى جوارحه واتقى الله، فإن الله عز وجل يعطيه من الثواب مالايدخل تحت قانون العد والحساب..

روى أبو جعفر محمد بن على حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى قال فيه: "من أتى عليه رمضان صحيحا مسلما، صام نهاره، وصلى وردا من ليله، وغض بصره، وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته فى الجماعة، وبكر إلى صلاة الجمعة، فقد صام الشهر، واستكمل الأجر وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب عز وجل" (١)..قال أبو جعفر: "جائزة لاتشبه جوائز الملوك والأمراء.."

وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: "كل عمل ابن آدم له: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"

وهكذا كما بين الحديث أن الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لاينحصر تضعيفه، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد. والصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى:

﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (٢)

وحيث أن الناس يعتنون برؤية هلال رمضان، فلامانع إذن أن نتعلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله عند رؤية الهلال، كان يقول:

"الله أكبر (ثلاثا)، الحمد لله الذى خلقنى وخلقك وقدر لك منازل، وجعلك آية للعالمين"، وفى رواية أخرى: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله"،

وفى رواية: "هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك" (ثلاث مرات)

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يقولون عند رؤية الهلال:

"اللهم هذا شهر رمضان، أدخله علينا بأمن وأمان وصحة من السقم والفراغ من الشغل، وأعنا على الصيام وتلاوة القرآن، حتى ينقضى عنا وقد غفرت لنا ورضيت عنا. اللهم هذا شهر رمضان قد حضر فسلمه لنا وسلمنا له فى سرور منك وعافية. اللهم ارزقنا صيامه وقيامه بقبول منا واحتساب. اللهم ارفع عنا الكسل والفترة والسلامة، وارزقنا فيه الخير والجد والإجتهاد

---

(١)رواه ابن أبى الدنيا (٢)سورة الزمر آية (١٠)

والأجر والقوة والنشاط كما تحب وترضى.."

وقد روى عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل رمضان:

"اللهم سلمنى لرمضان وسلم لى رمضان وسلمه منى واجعله متقبلا..

قال معلى بن الفضل رضى الله عنه: "كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم صيام رمضان.."

ويستحب قراءة سورة الفتح ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ فى أول ليلة من رمضان، قال ابن مسعود رضى الله عنه، بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من قرأ سورة الفتح فى أول ليلة من رمضان فى صلاة التطوع حفظه الله تعالى ذلك العام ومن الله عليه بالعون". وفى رواية أخرى لأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما: "فى أول ليلة من رمضان يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ ثم يسلم، ثم يقرأ ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ (عشر مرات)، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم .. (عشر مرات)

وقد رَغّب النبى صلى الله عليه وسلم فى قيام رمضان بصلاة التراويح، التى تصلى فى ليل رمضان بعد صلاة العشاء، وعددها ثمانية من غير الشفع والوتر، أو عشرون عدا الشفع والوتر، وذلك طلبا لمزيد من الأجر والثواب.، فعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة[1]، ثم يقول: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه" [2]..

قال الإمام الشعبى رضى الله عنه:

خلق الله تعالى مرجا تحت العرش فيه ملائكة، لاينزلون إلى الأرض إلا فى ليالى رمضان يدعون لمن يصلى التراويح ..

---

(١)من غير أن يجعل قيامه فرضا، إنما لمن أراد المزيد من المثوبة

(٢)رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى

الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد فى غيره، وذلك بغية نوال ليلة القدر، لأنها كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها فى العشر الأواخر من رمضان، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهد فى غيره"(١)، وقالت فى رواية أخرى: "كان النبى صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين الأوائل من رمضان بصلاة ونوم، فإذا كان العشر الأخير شمر وجد وشد المئزر"..(٢)

وعن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر" (٣)

يقول الإمام النووى فى شرح مسلم:

"أحيا الليل أى استغرقه بالسهر فى طاعة الله، من قيام وقراءة للقرآن ودعاء وغير ذلك، وقولها وأيقظ أهله أى أيقظهم للصلاة فى الليل، وجدَّ أى اجتهد فى العبادة زيادة على العادة.."

الإعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان. وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده (٤)

فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هى الاعتكاف فى المساجد، خصوصا فى شهر رمضان وفى العشر الأواخر منه خاصة، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل.. فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه، وما يقربه منه، فما بقى له همٌّ سوى الله وما يرضيه عنه.. (٥)

---

(١)رواه مسلم　　(٣،٢)رواهما مسلم　　(٤)رواه البخارى ومسلم

(٥)روى عن علّى بن الحسين عن أبيه رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اعتكف عشراً فى رمضان كان كحجتين وعمرتين" رواه البيهقى

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين".. والنبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى هذا العشر التى يطلب فيها ليلة القدر قطعا لأشغاله، وتفريغا لباله، وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه.. وكان يحتجز حصيرا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم.. ولهذا ذهب الإمام أحمد رضى الله عنه إلى أن المعكتف لايستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلى بمناجاة ربه وذكره ودعائه..

وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية، وإنما يكون فى المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهى عنها.. سئل ابن عباس رضى الله عنه عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولايشهد الجمعة والجماعة. قال: "هو فى النار"..

إحياء ليله القدر •

ليلة القدر عند المحبين هى ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه، هى ليلة العابدين الركع السجود، هى ليلة الدخول على الملك، هى الليلة التى يباهى الله عز وجل ملائكته بعباده الطائعين القانتين، هى الليلة التى يأمر الله عز وجل الملائكة الكرام أن ينزلوا إلى الأرض لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة فى ليالى رمضان، وأناروا مساجدهم بالمصابيح وبالذكر، فيقول الرب تعالى لملائكته: أنتم طعنتم فى بنى آدم وقلتم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ (١)فقلت لكم إنى أعلم مالا تعلمون.. اذهبوا إليهم فى تلك الليلة لتروا عبادى قائمين ساجدين راكعين لتعلموا أنى اخترتهم على علم على العالمين.."

عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه" (٢)

---

(١)سورة البقرة آية (٣٠)   (٢)رواه البخارى ومسلم

وقد أفرد الله عز وجل لهذه الليلة المباركة، العظيمة القدر، سورة خاصة بها، لما لها من منزلة ومثوبة.. فقال تعالى:

﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ماليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام [1] هى حتى مطلع الفجر﴾

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهى الليلة المباركة التى قال الله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ وهى ليلة القدر وهى من شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن﴾

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا فى ليلة القدر، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم..

عندما علم النبى صلى الله عليه وسلم أن متوسط أعمار الأمم السابقة يفوق كثيرا عن أعمار أمته، أشفق على أمته ألا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم، فأعطاه الله ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر. فكانت ليلة القدر هبة وهدية من الله لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إكراما له.

فكأن المسلم الذى يحيى تلك الليلة المباركة بصلاة وذكر ودعاء واستغفار، كان كمن عبد الله ثلاثاً وثمانين سنة، بل هى خير من ذلك، لأن الله يقول: ﴿خير من ألف شهر﴾..

---

(١)قال مقاتل رضى الله عنه:

سلّم الله على نوح فى العالمين فأورثه النصر مع الكفرة،
وسلّم الله على موسى فأورثه السلامة فى البحر
وسلّم الله على عيسى فأورثه إحياء الموتى
وسلّم الله على ابراهيم فأورثه النجاة من النار
وسلّم الله على محمد صلى الله عليه وسلم فأورثه الشفاعة
وسلّم الله على أمته ليلة القدر فأورثهم الرحمة

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "شهر رمضان فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ..

سميت ليلة القدر، بليلة الشرف، لأن الله أنزل فيها القرآن الكريم، وفيها أيضا يفرق كل أمر حكيم. هى ليلة المنح والمواهب الإلهية، هى ليلة المغفرة وقبول الدعاء، هى ليلة الجمال والجلال، هى ليلة اتصال الأرض بالسماء، هى الليلة التى ينزل فيها جبرائيل ومعه أعداد من الملائكة لاتحصى، ينزلون ومعهم البركات والرحمات، فيحيطون بالمصلين وبحلق الذكر، وذلك حتى مطلع الفجر..فما أعظمها من ليلة، وما أعظم قدرها، وإذا ما اغتنم المسلم الصائم تلك الليلة، فإنه يفوز بخير كثير، وشرف عظيم.. ولهذا نرى النبى صلى الله عليه وسلم يرغبنا فى إحياء تلك الليلة، بالصلاة والذكر والدعاء، حتى نكون من الذين رضى الله عنهم، ورضوا عنه. ولايحييها إلا السعداء..

فقد أخرج الإمام أحمد والطبرانى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

"من صلى فى هذه الليلة **مائة ركعة**، أرسل الله إليه مائة ملك، ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان"

والله سبحانه وتعالى يغفر بفضله ومَنّه لجميع المسلمين إلا لعدد قليل من الناس يأبى أن يصطلح مع الله، فقد أخرج عبد الرازق فى مصنفه والطبرانى فى معجمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة إلا لكاهن، او مدمن خمر، أو عاق لوالديه، أو مصر على الزنا."

وقد أعطى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة تمام الشفاعة.. وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن ليلة القدر إنما تكون فى أوتار العشر الأواخر، فعن عبادة بن الصامت، قال: "أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال: هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو آخر ليلة من رمضان، من قامها احتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر" ..(١)

---

(١)رواه الإمام أحمد

وقد اختلف العلماء فى تحديد ليلة القدر.. فقال بعضهم إنها فى كل السنة، وقال الآخر هى فى الشهر كله، وقالت طائفة هى فى النصف الثانى منه.. وقال آخرون هى فى ليلة سبع عشرة لأنها الليلة التى وقعت فى صبيحتها معركة بدر الكبرى.. وحكى عن الحسن البصرى ومالك رضى الله عنهما أنها تطلب فى جميع ليالى العشر: أشفاعه وأوتاره.. وقال الأكثرون بل بعض لياليه أرجى من بعض، وقالوا الأوتار أرجى فى الجملة.. ورجحت طائفة ليلة سبع وعشرين، وقالوا إن عمر وحذيفة وأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لايشكون أنها ليلة سبع وعشرين.. كما ورد أن أبى بن كعب رضى الله عنه كان يحلف أنها ليلة السابع والعشرين ويقول بالآية أو بالعلامة التى أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس تطلع فى صبيحتها لاشعاع لها..

وقد روى أن قتادة وعاصم رضى الله عنهما أنهما سمعا عكرمة رضى الله عنه يقول: "قال ابن عباس رضى الله عنهما، دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا أنها فى العشر الأواخر، قال ابن عباس فقلت لعمر رضى الله عنه: إنى لأعلم أو أنى لأظن أى ليلة هى؟ قال عمر رضى الله عنه: وأى ليلة هى، قلت: سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر رضى الله عنه، ومن أين علمت ذلك؟ قال: فقلت: إنى سمعت الله أكثر من ذكر السبع: إن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الدهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمى الجمرات سبع.. فقال عمر رضى الله عنه: لقد فطنت لأمر مافطنا له".. وكان قتادة يزيد على ابن عباس فى قوله يأكل من سبع، قال هو قول الله:

﴿فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا﴾ (١)

استحباب الإكثار من تلاوة القرآن فى شهر رمضان

يستحب دراسة القرآن فى رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو أحفظ له، كما يستحب الإكثار من تلاوته بالليل، وذلك لما ورد من حديث السيدة فاطمة رضى الله

(١)سورة عبس الآيات (من ٢٧ إلى ٣١)

عنها عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنــه أخبرهـا أن جـبريل عليـه السـلام كـان يعارضـه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه فى عام وفاته مرتين.

وفى حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبـين جـبريل كـانت ليـلا، فذلـك يـدل علـى استحباب الإكثار من التلاوة فى رمضان ليلا، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجتمــع فيـه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعـالى:" إن ناشـئة الليـل هـى أشـد وطأ وأقوم قيلا"، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى:

﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾، وقد قال ابن عباس رضــى الله عنهمـا أنـه أنـزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى ليلة القدر، ويشهد لذلك قوله تعالى:

﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾، وقوله: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره. وقد صلى معه سيدنا حذيفة رضى الله عنه ليلة فى رمضان، فقرأ بالبقرة ثـم آل عمران، ثم النساء، لايمر بآية تخويف إلاوقف وسأل ربه العفو، فما صلـى الركعتـين حتـى جاءه بلال فأذنه بالصلاة.. (١)

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم فى زمـن سـيدنا عمـر، يصلـون خلـف القـارئ الذى كان يقرأ بالمائتى آيـة فـى ركعـة، ومنهـم كـانوا يصلـون خلـف الإمـام الـذى يقـرأ بالثلاثين آية فى ركعة، ومنهم كان يصلى بخمس وعشـرين آيـة فـى الركعـة، ومنهـم مـن كان يقرأ بالعشرين آية فى الركعة.

ثم كان فى زمن التابعين، كانوا يقرءون بالبقرة فى قيام رمضان فى ثمان ركعات..

وقد سئل الإمام أحمد رضى الله عنه عن ذلك، فقال إنما الأمر على ما يحتملـه النـاس، أى يراعى الإمام حال المأمومين فلا يشق عليهم.

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين

ومن قام بمائة آية كتب من القانتين

(١)خرّجه الإمام أحمد والنسائى

ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين''، يعنى أنه يكتب له قنطار من الأجر

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال:

''من قرأ فى ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين

ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين

ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر..

ثم قال:

ومن أراد أن يزيد فى القراءة ويطيل وكان يصلى لنفسه، فليطول ماشاء.

فالأمر يتوقف على رضا الجماعة، فإذا رغبوا فى التطويل، فليطول ، وإذا أرادوا التوسط، فليتوسط، وهكذا..

وكان بعض السلف يختم فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال، وبعضهم فى كل سبع، وبعضهم فى كل عشرة.

كما كان بعضهم يتلون القرآن فى شهر رمضان فى الصلاة وغيرها

وكان الإمام الزهرى [1]رضوان الله عليه إذا دخل رمضان يقول:

''فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام''

قال ابن عبد الحكم: كان الإمام مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

قال عبد الرزاق: ''كان سفيان الثورى رضى الله عنه إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.''

وقد ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث أيام، فأما فى الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالى التى يطلب منها ليلة القدر، أوفى الأماكن المفضلة كمكة المكرمة أو المدينة المنورة.. فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان..

---

(١)هو محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهرى، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وغيرها وأحد الأعلام المشهورين توفى سنة ١٢٤هـ، قال ابن المدينى: له نحو ألفى حديث

واعلم ياأخا الإسلام أن المؤمن يجتمع له فى شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفىَّ بحقوقهما وصبر عليهما وُفِّىَ أجره بغير حساب.

قال كعب رضى الله عنه:

"ينادى يوم القيامة مناد إن كل حارث يعطى بحرثه ويزاد، غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب، كما يشفعان له عند الله.."

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال:

"الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة: يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول القرآن منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه، فيشفعان" (١)

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام الشهوات المحرمة كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها، أولا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم، والنظر المحرم، والسماع المحرم، والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول: يارب منعته شهواته فشفعنى فيه، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه، ويقول له ضيعك الله كما ضيعتنى، كما ورد مثل ذلك فى الصلاة..

إحياء ليلة العيد وأذكار يوم العيد

رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى إحياء ليلة عيد الفطر، فهى آخر ليلة من رمضان، وبداية لعودة الصائمين إلى إفطارهم، فالنبى صلى الله عليه وسلم يرغب المسلم أن تكون خاتمة رمضان خاتمة طيبة، والعبرة بالخواتيم، كما يقولون.. وكما قال بعض العلماء أن صيام رمضان يرفع إلى الله فى تلك الليلة، فإذا رفع إلى الله وصاحبه مشغول بالذكر والحمد والثناء على الله على أن وفقه لصيام رمضان وقيامه، لعل ذلك يكون سببا للقبول ولتلقى العطايا والمنح فى تلك الليلة المباركة..

---

(١)رواه أحمد والطبرانى فى الكبير

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"من قام ليلتى العيدين محتسبا [1] لم يمت قلبه يوم تموت القلوب" [2]

وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أحيا [3] الليالى الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية [4]، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان". [5]

وصلاة هذه الليلة عشر ركعات فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿الإخلاص﴾ (عشرا) ويقول فى ركوعه بعد التسبيح:

"سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم" (عشرا)

فإذا فرغ من الصلاة يستغفر الله تعالى ألف مرة بقوله استغفر الله العظيم[6]، ثم يسجد ويقول فى سجوده:

"ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام يارحمان الدنيا والآخرة ياأرحم الراحمين ياإله الأولين والآخرين اغفر لى ذنوبى وتقبل صلاتى وصومى وقيامى، ثم يسأل الله حاجته"..

صلاة يوم العيد

بعد صلاة العيد أى فى وقت الضحى، تصلى أربع ركعات بتسليمتين

فى أول ركعة الفاتحة وسورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾

وفى الثانية الفاتحة وسورة ﴿والشمس وضحاها﴾

وفى الثالثة الفاتحة وسورة ﴿والضحى﴾

وفى الرابعة الفاتحة وسورة ﴿الإخلاص﴾

---

(١)طالبا ثواب الله وحده (٢)رواه ابن ماجه، ورواته ثقات

(٣)اجتهد أن يعمر وقتها بالطاعة والذكر والتسبيح والتهليل والاستغفار وقراءة القرآن

(٤)الليلة الثامنة من ذى الحجة (٥)رواه الأصبهانى

(٦)قال العلماء، يستحب ختم رمضان بكثرة الاستغفار، لعل الله أن يغفر للصائم ما وقع منه من هفوات وزلات.. وقالوا: كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يكتب إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يجبر ما تخرق من الصيام..

ومن المستحب أن يقول قبل صلاة العيد إن أمكن:

"لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير" (أربعمائة مرة) (١)

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد (ثلاثمائة مرة) وأهداها لأموات المسلمين، دخل فى كل قبر نورا ويجعل الله فى قبره إذا مات نورا". (٢)

(١،٢) قال أنس رضى الله عنه، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "من قال فى كل واحد من العيدين "لا إله إلا الله..... قدير" أربعمائة مرة قبل صلاة العيد، زوجه الله من الحور العين وكأنما أعتق رقاباً فى سبيل الله، ووكل الله به ملائكة يبنون له المدائن ويغرسون له الأشجار إلى يوم القيامة".. قال الإمام الزهرى: ماتركتها منذ سمعتها من أنس، وقال أنس: ماتركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.. (نزهة المجالس للصفورى الشافعى)

فضـــل شهر شـــوّال [1]

عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

من صام رمضان، ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر [2]..

وعن ثوبان رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾

رواه ابن ماجه والنسائى، ولفظه:

جعل الله الحسنة بعشر أمثالها، فشهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه [3]

عند الإمام أحمد تصام متتابعة أو غير متتابعة، أما عند الإمام الشافعى وابن المبارك فمن الأفضل صومها متتابعة بعد أول أيام العيد مباشرة..

وقد قال العلماء فى فضل صيام الأيام الستة فوائد عديدة منها:

أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام السنة كلها كما سبق..

ومنها أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ماحصل فى الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة [4]

---

(١)كان أهل الجاهلية يتشاءمون من الزواج فى شوال، وقيل أن أصله أن طاعونا وقع لهم فى شوال فى سنة من السنين، فمات فيه كثير من العرائس، فتشاءموا بذلك، وقد ورد الشرع بإبطاله.. قالت عائشة رضى الله عنها: تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده منى ! وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة فى شوال أيضا.. فهو شهر كريم على الله، وهو بداية أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ..

(٢)أى من صام رمضان ثم يتبعه بست من شوال كأنه صام سنة كاملة. رواه مسلم وأبو داود والترمذى

(٣)رواه الطبرانى فى الأوسط. قال العلماء: من كان عليه قضاء من شهر رمضان، فليبدأ به أولا، فإنه أسرع لإبراء ذمته، وهو أولى من التطوع بصيام الستة من شوال

(٤)راجع حديث فضل النوافل فى باب (فضائل الشهور وأذكارها)

ومنها أن الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده.. كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى.. كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة على رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها أن صيام رمضان يوجب مغفرة ماتقدم من الذنوب كما سبق ذكره وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب. كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر، فيقول: "أفلا أكون عبدا شكورا.."

كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالى أصبح فى نهاره صائما ويجعل صيامه شكرا لله على أن وفقه للقيام. وكان وهب بن الورد يُسأل عن ثواب شئ من الأعمال كالطواف ونحوه؟ فيقول: لاتسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا عما قدمه صاحب العمل من شكر على توفيق الله له وأعانه عليه..

وفى ذلك يقول الشاعر:

إذا أنت لم تزدد على كُلِّ نعمة .·. لموليكها شكرا فلست بشاكر

قال كعب رضى الله عنه: من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر من رمضان لم يعص الله دخل الجنة، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر عصى ربه فصيامه عليه مردود .

ومنها أن الأعمال التى كان العبد يتقرب بها إلى ربه فى شهر رمضان لاتنقطع بانقضاء رمضان بل هى باقية بعد انقضائه مادام العبد حيا ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾، وهذا معنى حديث ابن عباس الذى رواه مرفوعا: الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار، يعنى كالذى يفر من القتال فى سبيل الله ثم يعود إليه. وذلك لأن كثيرا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام وطوله عليه. فالعائد إلى الصيام بعد فطره تدل عودته على حُبِّه فى الصيام وأنه لم يمله و لم يستثقله، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أحب الأعمال إلى الله الحال المرتحل، وفسر ذلك بصاحب القرآن الذى مايكاد يختمه حتى يعود إلى أوله، بادئا بختمة جديدة.. وكذلك العائد إلى الصيام بعد الفطر، فإنه يكون كالحال المرتحل..

قيل لسيدنا بشر رضى الله عنه إن قوما يتعبدون ويجتهدون فى رمضان فقط، فقال: بئس القوم لايعرفون لله حقا إلا فى شهر رمضان، إن الصالح هو الذى يتعبد ويجتهد السنة كلها..

وقد سئل الإمام الشبلى رضى الله عنه: أيما أفضل رجب أو شعبان؟ فقال: كن ربانيا ولاتكن رجبيا أوشعبانيا .. بمعنى أنه على المسلم ألا يهتم بالتقرب إلى ربه فى أشهر معينة، ثم يتكاسل أو يفتر بقية الشهور، لأنه مامن ساعة من الساعات تمضى من عمر المؤمن إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج لرحمته خائف من عقوبته.. فالمحب لايمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه لايأمل إلا قربه ورضاه

ماللمحب سوى إرادة حبه .·. إن المحب بكل أمر يضرع

وكما قلنا أن شهر شوال هو بمثابة النافلة لشهر رمضان، فصيامه أوبعضه أمر رغب فيه النبى صلى الله عليه وسلم حتى يعوض الله به ماحدث من خلل فى صيام رمضان.

وقد خرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى من حديث مسلم القرشى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن صيام الدهر، فقال: إن لأهلك عليك حقا، فصم رمضان والذى يليه (يعنى شوال) وكل أربعاء وخميس، فإذا أنت قد صمت الدهر وأفطرت..

وخرج ابن ماجه أن أسامة بن زيد رضى الله عنه كان يصوم الأشهر الحرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صم شوالا" فترك الأشهر الحرم ثم لم يزل يصوم شوالا حتى مات..

وفى رواية: عن أسامة، قال كنت أصوم الأشهر الحرم، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين أنت من شوال ؟ فكان أسامة إذا أفطر من رمضان أصبح الغد صائما من شوال حتى يأتى على آخره [١]

---

(١)ليس ذلك فرضا، وإنما هو تطوع لمن أحب المزيد من القرب من ربه..

أذكار شهر شوّال

ولما كان لشهر شوال تلك المكانة، فقد حبب النبى صلى الله عليه وسلم أن يستزيد المسلم فيه من النوافل صياما أو صلاة، فكل عبادة تؤدى قبل الفريضة أوبعدها، فإنها تدخل فى أجر الفريضة..

روى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وأرضاه فى كتابه "الغنية" ص(١٤٧) وقد ذكر الشيخ سلسلة المحدثين الذين ذكروا الحديث، عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من صلى فى شوال ثمان ركعات ليلا أو نهارا، يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب ثم خمسا وعشرين مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، فإذا فرغ من صلاته سبح الله سبعين مرة، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم سبعين مرة.. قال النبى صلى الله عليه وسلم: "والذى بعثنى بالحق نبيا، مامن عبد يصلى هذه الصلاة إلا أنبع الله له ينابيع الحكمة فى قلبه، وأنطق بها لسانه، وأراه داء الدنيا ودواءها، والذى بعثنى بالحق نبيا من صلى هذه الصلاة كما وصفت، لايرفع رأسه من آخر سجوده حتى يغفر الله له، وإن مات مات شهيدا مغفورا له، ومامن عبد يصلى هذه الصلاة فى السفر إلا سهل الله عليه السير والذهاب إلى موضع مراده، وإن كان مديونا قضى الله عنه دينه، وإن كان ذا حاجة قضى الله حوائجه، والذى بعثنى بالحق نبيا مامن عبد يصلى هذه الصلاة إلا أعطاه الله تعالى بكل حرف وبكل آية مخرفة فى الجنة، قيل: وما المخرفة يارسول الله؟ قال: بساتين فى الجنة يسير الراكب فى ظل شجرة من أشجارها مائة سنة ثم لايقطعها.." (١)

يقول مؤلف الكتاب :

"قُمت والحمد لله بآداء تلك الصلاة لعدة سنوات مضت، ومازلت أقوم بها، فتحقق لى بسببها خيراً كثيراً، وأدعو الله أن يُعِيننى عليها وعلى بقية النوافل إلى أن ألقى الله ..

–ولا مانع من آداء هذه الصلاة فى أى وقت من السنة ..

---

(١)ربما يتردد على قلبك: أكُل ذلك الثواب لتلك الصلاة ؟، أقول لك إن الله واسع الفضل والمنة والعطاء، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾، والعبرة بالصدق والإخلاص وحسن اليقين وحب التقرب من ربك.

فضـــل ذى القعــدة

شهر ذى القعدة كما سبق أن ذكرنـا، مـن الأشـهر الحـرم، وهـو أول الأشـهر الحـرم المتوالية (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، أما رجب فهو فرد بذاته وهو أيضا مـن أشـهر الحج التى قال الله تعالى فيها: ﴿الحج أشهى معلومات﴾ (١)

وقيل أن تحريم ذى القعدة كان فى الجاهلية لأجل السير إلى الحـج، وسمـى بذى القعدة لقعودهم فيه عن القتال، وتحريم المحرم لرجوع الناس فيه من الحـج إلى أمصـارهم، وتحريـم ذى الحجة لوقوع حجهم فيه، وتحريم رجب كان للإعتمار فيه من البلاد القريبة.

ومن خصائص ذى القعدة أن عمرات النبى صلى الله عليه وسلم كلها كانت فـى ذى القعدة سوى عمرته التى قرنها بحجته، مع أنه صلى الله عليه وسلم أحرم بها أيضا فى ذى القعدة، وفعلها فى ذى الحجة مع حجته، وكـانت عمـرات النبـى صلـى الله عليـه وسـلم أربعا، عمرة الحديبية و لم يتمها، بل تحلل منها ورجع، وعمـرة القضـاء مـن قـابل، وعمـرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنـائم حنـين وكـانت فـى ذى القعـدة، ثـم عمرتـه فـى حجـة الوداع.

وقد روى عن طائفة من السلف منهـم ابـن عمـر وعائشـة وعطـاء تفضيـل عمـرة ذى القعدة وشوال على عمرة رمضان، لأن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمـر فـى ذى القعـدة وفى أشهر الحج حيث يجب عليه الهدى إذا حج من عامه لأن الهدى زيادة نسـك، فيجمع نسك العمرة مع نسك الهدى..

ولذى القعدة فضيلة أخرى وهى أنه قيل أنه الثلاثون يوما الذى واعد الله فيــه موسـى عليه السلام. قال ليث عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثـين ليلـة﴾ قـال ذو القعدة ﴿وأتممناها بعشر﴾ (٢) قال عشر ذى الحجة

وعن قيس بن عباد أنه قال:

"ليس فى الأشهر الحرم شهر إلا فى اليوم العاشر فيه خير، قال:

ففى الحجة فى العاشر منه يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر

---

(١)سورة البقرة آية (١٩٧)

(٢)سورة الأعراف آية (١٤٢)

وفى المحرم - العاشر منه عاشوراء

وفى العاشر من رجب (يمحو الله مايشاء ويثبت)

قال الراوى: ونسيت ماقال فى ذى القعدة" [1]

أذكار ذى القعدة

يصلى ليلة الأولى منه ثلاثين ركعة، يقرأ فى كل منها سورة الفاتحة وسورة ﴿إذا زلزلت الأرض زلزلها..﴾، فإذا فرغ من هذه الصلاة يقرأ سورة ﴿عَمَّ يساءلون﴾.

ويصلى فى التاسع منه أى ليلة العاشر ركعتين، يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة سورة المزمل، وبعد السلام يقرأ سورة "يس" (ثلاث مرات). ويصلى آخر يوم منه بعد إشراق الشمس ركعتين يقرأ فى كل منهما سورة القدر (ثلاثا)، وبعد السلام يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم (إحدى عشرة مرة)، ثم يقرأ الفاتحة (إحدى عشرة مرة)، ويسجد ويسأل الله حاجته، فإنها تقضى بإذن الله..

---

(١)من كتاب "لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلى

فضـائل ذى الحجـة [1]

قال بعض العلماء إن شهر ذى الحجة هو أفضل الأشهر الحرم، وأفضل أيامه العشر الأوائل لما يقع فيه من مناسك الحج بدءا من يوم التروية ثم الوقوف بعرفه، ثم أعمال يوم النحر وما يتبع ذلك من نسك..

ولذلك أقسم الله بها فى القرآن الكريم، وذلك لما لها من فضل ومكانة عند الله، فقال تعالى: ﴿والفجر وليال عشر﴾

والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة، كما قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغيرهم، أما الفجر فهو فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالى العشر..

كما أن الله ذكر العشر أى عشر ذى الحجة فى قصة سيدنا موسى عليه السلام، عندما وعده المناجاه وإعطائه التوراة وفيها أحكام بنى إسرائيل وتفاصيل شرعهم.. فلما أراد الله أن ينزل عليه الكتاب، أمره أن يصوم ثلاثين يوما، وهو شهر ذى القعدة، فلما صامها، وقصد المناجاة، استاك بلحاء شجرة، لما شاهد من تغير رائحة فمه، فأوحى الله إليه: أما علمت يا موسى أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ! فأمره تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة، فتمت أربعين ليلة، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ (١)

وعلى هذا يكون قد اكتمل الميقات يوم النحر، وحصل فيه التكليم لسيدنا موسى عليه السلام، وفيه أيضا أكمل الله الدين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فى قوله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (٢)

وقال بعض أهل العلم: "إن الله اختار من السنة ثلاث عشرات مباركات:

العشر الأخير من رمضان لما فيه من بركات ليلة القدر

وعشر الأضحى لما فيه من يوم التروية، ويوم عرفة والأضاحى والتلبية والحج وأنواع المناسك

---

(١)سورة الأعراف آية (١٤٢)   (٢)سورة المائدة آية (٣)

وعشر المحرم لما فيه من بركات يوم عاشوراء..

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم فضل هذه الأيام العشر فى أحاديث عديدة، لما لها من حرمة عند الله، ثم فضل إحيائها والتعبد إلى الله فيها.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مامن أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام: يعنى أيام العشر، قالوا: يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشئ [(١)]

وفى رواية للطبرانى فى الكبير: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مامن أيام أعظم عند الله، ولاأحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.."

وفى رواية للبيهقى، قال صلى الله عليه وسلم: "مامن عمل أزكى عند الله ولاأعظم أجرا من خير يعمله فى عشر الأضحى، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع ذلك بشئ"، فقال: فكان سعيد بن خبير رضى الله عنه إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهادا شديدا حتى مايكاد يقدر عليه..

ولأن تلك الأيام المباركات مقدمة للحج الأكبر، والوقوف بعرفة، وغير ذلك من مناسك الحج فقد رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى التقرب إلى الله فيها، بصيام وقيام. كما أن ثوابها مضاعف، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة، **يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر**" [(٢)]

فالسعيد حقاً هو الذى يغتنم تلك الأيام المباركات، فيزيد فيها من التعبد والذكر والصيام، لعل الله أن يشركه فى ثواب الحجاج..

---

(١)رواه البخارى والترمذى وأبو داود وابن ماجة

(٢)رواه الترمذى وابن ماجة والبيهقى

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهمـا قـال: قـال رسـول الله صلـى الله عليه وسلم:

"مامن أيام أفضل عند الله، ولاالعمل فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام، يعنـى من العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وذكـر الله، وإن صيـام يوم منها يعدل بصيام سنة، والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة ضعف" (١)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال:

"كان يقـال فى أيام العشـر بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفه عشرة آلاف يوم. قال: يعنـى فى الفضل" (٢)

قال بعض العلماء: من صام هذه الأيام العشر، وحـافظ علـى حرمتهـا، أكرمـه الله بعشـر كرامات:

البركة فى عمره	والزيادة فى ماله
والحفظ فى عياله	والتكفير لسيئاته
والتضعيف لحسناته	والتسهيل لسكرات موته
والضياء لظلمات قبره	والتثقيل لميزانه
والنجاة من دركاته	والصعود على درجاته

حكى عن ولى الله سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال:

"كنت أطوف بمقابر المسلمين فى البصرة فى ليلة مـن ليـالى عشـر ذى الحجـة، فـإذا نـور يسطع من قبر رجـل، فوقفت متفكـراً، لم اختص الله قبر هذا الرجـل بهـذا النـور؟ فـإذا صـوت عـال يقول: ياسـفيان، إن أردت أن يعط لك نور مثل هذا، فعليك بصـيام عشـر ذى الحجة، قال سفيان: ماتركتهم منذ أن سمعت هذا القول..

فضـل يوم عـرفـة

هو اليوم التاسع الذى يتوجه فيه الحجاج إلى عرفة للوقوف بها، بعد أن قضوا ليلتهم فى

(١)رواه الإمام أحمد فى مسنده، والطبرانى فى الكبير (٢)رواه البيهقى والأصبهانى

منَى تأسيا بالنبى صلى الله عليه وسلم، والذى يسمى بيوم التروية. وهناك على عرفات يجتمع الحجيج فى موقف واحد، ملبين، محرمين، ضارعين إلى الله أن يقبل حجهم، وأن يتقبل منهم نسكهم، والحج عرفة كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم؛ فلو أتى الحج بجميع المناسك، ثم لم يقف بعرفة فإن حجه لايقبل ولايصح، وعليه أن يعيد حجه.

ولاشك أن وقوف جميع حجاج بيت الله الحرام فى صعيد واحد وفى موقف واحد وفى توقيت واحد يلبون، ويتضرعون، ويبتهلون، لهو من أعظم المواقف التى يباهى الله تعالى بها ملائكته، فهو يوم المغفرة، ويوم تنزل الرحمات، ويوم تجاوز الله عن الذنوب العظام، ويوم العتق من النار.

وقد ورد أن يوم عرفة أفضل أيام السنة على الإطلاق، لما خصه الله من تجمع الحجاج من كل فج عميق، ملبين، ضارعين، داعين ربهم، راجين منه المغفرة، والصفح والعفو، والإحسان..

عن جابر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مامن أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة، قال، فقال رجل: يارسول الله: هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله؟ قال: هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين(١) جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى و لم يروا عذابى، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفه" (٢)

وقد ورد أن الله عز وجل يسع بمغفرته جميع الواقفين بعرفه ويغفر كل الذنوب صغيرها وكبيرها، فقد روى عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك رضى الله عنهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: يابلال أنصت لى الناس، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنصت الناس، فقال: "معشر الناس أتانى جبرائيل عليه السلام آنفا فأقرأنى من ربى

---

(١)أى بارزين للشمس غير مستترين منها

(٢)رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان

السلام، وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات [1]، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: يارسول الله هذا لنا خاصة؟ قال: هذا لكم، ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: كثر خير الله وطاب..

أذكار يوم عرفة

روى عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال:

يلتقى سيدنا الخضر وسيدنا إلياس فى كل موسم على جبل عرفات، فيفترقان عن هذه الكلمات:

"بسم الله ماشاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ماشاء الله، لايصرف السوء إلا الله، بسم الله ماشاء الله، ماكان من نعمة فمن الله، بسم الله ماشاء الله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم" (ثلاثا أو سبعا)

عن ابن عباس مرفوعاً أن:

من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (ألف مرة) يوم عرفة أُعْطِيَ ماسأل

وهذا يدل على أن الحاج عليه أن ينشغل بالذكر والدعاء والتضرع فى هذا اليوم الذى يباهى الله به الملائكة، فكلما انشغل الحاج بالدعاء والإبتهال والإستغفار كلما كان ذلك أرجى للقبول، ولهذا ندبنا النبى صلى الله عليه وسلم إلى كثرة الذكر والدعاء وخاصة فيما بين العصر إلى غروب الشمس يوم عرفه

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مامن مسلم يقف **عشية عرفة** بالموقف، فيستقبل القبلة بوجهه، ثم يقول:

"لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير" (مائة مرة)

---

(١)يقول بعض العلماء أن التبعات هنا هى التبعات التى فى حقك تجاه ربك مثل الذنوب والآثام والمعاصى والكبائر التى ارتكبها العبد والتى ظلم بها نفسه.. أما حقوق العباد كالدَّين أو أخذ المال بدون وجه حق أو اعتداء على حقوق الغير أو نهب أو اغتصاب.. كل ذلك لابد أن يودى إلى أصحابه قبل أداء فريضة الحج، لأنهم يقولون أن أبواب الجنة لا تفتح للذين عليهم تبعات لغيرهم.. عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة" أى حقوق العباد

تم يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (مائة مرة) ثم يقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم (مائة مرة)، إلا قال الله تعالى: ياملائكتي ماجزاء عبدى هذا سبحنى وهللنى وكبرنى وعظمنى وعرفنى وأثنى عليَّ، وصلى على نبيى، اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت له، وشفعته فى نفسه، ولو سألنى عبدى هذا لشفعته فى أهل الموقف". (١)

صلاة يوم عرفة

يصلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ﴿وقل هو الله أحد﴾ (خمسين مرة) ثم يدعو الحاج بتلك الأدعية إن استطاع، وكلما أكثر منها، كان له مزيداً من الفضل، ويرجى له إجابة الدعاء إن شاء الله تعالى:

- "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، إلها واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا."
- "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك واله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير."
- "حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.."
- "اللهم لك الحمد كما تقول، وخيرا مما تقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن شتات الأمر، وأعوذ بك من شر مايلج فى الليل، وشر مايلج فى النهار وشر ماتهب به الرياح.."

صيام يوم عرفة

عن أبى قتادة رضى الله عنه، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة، قال: **"يكفر السنة الماضية والباقية"** (٢)

وروى ابن ماجه أيضا عن قتادة بن النعمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامة، وسنة بعده

---

(١)رواه البيهقى.. كما رواه الإمام حافظ المنذرى فى كتابه "الترغيب والترهيب"

(٢)رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى، الباقية أى القادمة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"صوم يوم التروية [1] كفارة سنة، وصوم يوم عرفة كفارة سنتين

قال الإمام حافظ زكى الدين المنذرى فى كتابة "الترغيب والترهيب" اختلفوا فى صوم يوم عرفة بعرفة، فقال ابن عمر رضى الله عنه:

لم يصمه النبى صلى الله عليه وسلم، ولاأبو بكر، ولاعمر، ولاعثمان، وأنا لاأصومه، وكان مالك والثورى يختاران الفطر، وكان عبد الله بن الزبير وعائشة يصومان يوم عرفة.

وقال الإمام الشافعى: "يستحب صوم عرفة لغير الحاج، فأما الحاج فأحب إلىّ أن يفطر لتقويته على الدعاء. وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن قدر على أن يصوم صام، وإن أفطر فذلك يوم يحتاج فيه إلى القوة أ.هـ

صلاة شهر ذى الحجة

يصلى ليلة الأول من ذى الحجة صلاة التسابيح وقد سبق ذكرها وكيفية صلاتها فى فضائل شهر شعبان..

كان السلف رضوان الله عليهم إذا دخل عشر ذى الحجة، جدوا فى الطاعة وتسابقوا فى مرضاة ربهم لفضل تلك الأيام عند الله، ولما جعل حرمة ليلها كحرمة نهارها.. وكانوا يصلون فى كل ليلة من ليالى العشر فى الثلث الأخير من الليل [2]: أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب (مرة) والمعوذتين وسورة الإخلاص (ثلاثا) ثم يقرأ آية الكرسى (ثلاثا)، وذلك فى كل ركعة..

فإذا فرغ من صلاته رفع يديه، وقال:

"سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى القدرة والملكوت، سبحان الحى الذى لايموت، لاإله إلا هو يحيى ويميت، وهو حى لايموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله كثيرا حمدا كثيرا طيبا على كل حال، الله أكبر كبيرا، ربنا جل جلاله وقدرته بكل مكان.. ثم يدعو بما شاء..

---

(١)أى يوم الثامن من ذى الحجة

(٢)وإذا لم يستطع فليصلها بعد العشاء.. والله صاحب الفضل والعطاء

ليلـــة عرفة

كان بعض السلف رضوان الله عليهم يصلى ليلة عرفـة عشـر ركعـات بخمـس تسـليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة ﴿لإيلاف قريش﴾ (خمس مرات)..
وكان بعضهم يصلى **مائة ركعة** يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص (ثلاثا) وكل على قدر استطاعته.. ومن استعان بالله أعانه الله..

فضل إحياء ليلـــة الأضحى

روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من أحيا ليلة لبفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب" (١)

صلاة ليلـــة الأضحى

قال بعض السلف : يُصلى ركعتين يُقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وبعدها ﴿قل هـو الله أحد﴾، و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ (خمس عشرة مـرة) لكـل منها... فإذا سلّم قرأ آية الكرسى (ثلاث مرات)، ويستغفر الله (خمـس عشـرة مـرة)، ثـم يدعو بما يشاء من خيرى الدنيا والآخرة..

صلاة العيد

شُرعت صلاة العيدين فى السنة الأولى من الهجرة، وهى سنّة مؤكدة للمقيم والمسـافر، واظب النبى صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنسـاء أن يخرجـوا لهـا، كمـا أمـر صلى الله عليه وسلم أن يغتسلوا لها وأن يتطيبوا ويلبسوا أجمل الثياب..
فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كـان يلبـس بـرد حبرة (٢) فى كل عيد.. وعن الحسن السِّبط قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١)رواه الطبرانى فى الأوسط الكبير. والمعنى أن الله ينجيه من أهوال يـوم القيامـة، ويعطيـه ثباتـاً وقـوة حتـى يتحمل شدائدها، وهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾.. اللهم اجعلنا منهم آمين.

(٢)برد حبرة : نوع من برود اليمن.. رواه الشافعى والبقوى

فى العيدين أن نلبس أجود مانجد، وأن نتطيب بأجود ما نجده، وأن نضحى بأثمن مـانجد.. قال ابن القيم: وكان صلى الله عليه وسلم يلبس لهما لأجمل ثيابه، وكان لـه حُلّة يلبسها للعيدين والجمعة [١]

فضل الأضحية

الأضحية سُنّة لا يُستحب تركها لمن قدر عليها. فعن لبن عباس رضى الله عنهما، عن النبى الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أُمرتُ بالنحر وهو لكم سُنّة، وفى خبر آخر:"ثلاث عليّ فرض ولكم تطوع: النحر والوتر وركعتا الفجر"

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من وجد سَعَةً لأن يضحى فلم يضحِّ فلا يحضر مصلانا" [٢].. وقد ورد أن خير الأحية الكبش الأقرن، فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دعا بكبشين أملحين أقرنين عظيمين، فأضجع أحدهما، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن محمد وعن أهل بيته، ثم ثنى بالآخر، وقال بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن محمد وعن أمته"

وقال أهل العلم: إن الضحايا هى المطايا إلى الجنة، وأنها تمحو الخطايا، وتدفع البلاء عن المسلم، فإنها فداء المؤمن كفداء اسماعيل من الذبح وحجاب لصاحبها من النار.. قال النبى صلى الله عليه وسلم: "أحسنوا ضحاياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة"

وعن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها،عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرّب أضحية [٣] يوم النحر لمنحرها، قرّبه الله تعالى إلى الجنة، فإذا نحرها غفر الله له بأول قطرة تقطر من دمها، وجعلها الله تعالى مركباً يوم القيامة إلى المحشر، ويعطى بعدد شعرها وصوفها حسنات ..

فإذا أراد أن يذبح أضحيته، فالأفضل أن يذبحها بنفسه، فإن لم يحسن، كلف غيره بذبحها على أن يكون عارفا بشروطها، ويحضر ذبحها. فعن على رضى الله عنه أنه قال:

---

(١)فقه السنة للشيخ سيد سابق جـ ١

(٢)رواه الحاكم مرفوعاً وصححه (من كتاب الترغيب والترهيب) للإمام حافظ المنذرى رضى الله عنه جـ٢

(٣)لكى يقبل الله أضحيتك لابد أن تكون كاملة الشروط، فتكون من أجود الشياه وأغلاها، بعيدة عن العور، والعرج، والهزال، والكسر، وأن يكون لها من العمر سنة وأخذت فى الثانية.. والله طيب لا يقبل إلاّ طيبا.. كما لا يجوزبيع جلد الأضحية، فقد ورد فى الحديث: "من باع جلد أضحيته فلا أضحية له" رواه الحاكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: "يافاطمة قومى فاشهدى أضحيتك، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يجاء بلحمها ودمها توضع فى ميزانك سبعين ضعفا".. قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وأرضاه: "يارسول الله: هذا لآل محمد خاصة، فإنهم أهل لما خصوا به من الخير أو للمسلمين عامة؟ قال :لآل محمد خاصة وللمسلمين عامة"، ثم يقول عند الذبح:" اللهم هذا منك وإليك فتقبل منى كما تقبلت من محمد نبيك وابراهيم خليلك، الله أكبر الله أكبر، لاإله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، بسم الله والله أكبر.. فإذا انتهى من الذبح، يصلى ركعتين على طريق الإستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام: "ألقوا مافى أيديكم من السكين، ثم اركعوا ركعتين، فإنه ماركعهما أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه"، ثم يقول بعد السلام: " اللهم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لاشريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"..

آخر الشهر (آخر السنة)

يُستحب صيام آخر يوم من ذى الحجة، وأول يوم من المحرم، حتى يختم المسلم سنته الماضية بطاعة، ويستقبل الجديدة بطاعة .. فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال "من صام آخر يوم من ذى الحجة وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية بصوم واستقبل القابلة بصوم وجعله الله كفارة له خمسين سنة"(١)

وقد ورد أن من قال آخر ذى الحجة (ويسمى دعاء آخر العام) :

"اللهم ماعملت فى هذه السنة، مما نهيتنى عنه ولم ترضه، ونسيته ولم تنسه، وحلمت على بعد قدرتك على عقوبتى، ودعوتنى إلى التوبة منه بعد جراءتى على معصيتك، اللهم فإنى أستغفرك منه فاغفر لى، وماعملت فيها من عمل ترضاه ووعدتنى عليه الثواب، فأسألك اللهم ياذا الجلال والإكرام أن تقبله منى، ولاتقطع رجائى منك ياكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (ثلاث مرات) يقول الشيطان عندئذ: تعبنا منه طول سنته، فأفسده فى ساعة واحدة وولى وهو يحثو التراب على وجهه..

---

(١) وقد يسأل سائل إذا لم يكن لى ذنوب خمسين سنة فنقول إن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلمفقال يا رسول الله إذا لم يكن له ذنوب خمسين سنة ؟ فقال : يغفر الله ذنوب والديه وقرابته وعامة المسلمين" جامع الأحاديث للإمام السيوطى.

● الباب التاسع

أهمية الأذكار والأوراد

أهميــة الأذكار والأوراد [1]

تقــديم

هذا الورد اليومي والذى سوف تطالعه بعد قليـل، إنما هو من الأذكار والأدعية التـى قـال بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتى أصبحت جزءا من عمل المسلم فى اليوم والليلة.. كما أوردنا الآيات القرآنية التى ذكرهـا النبـى صلـى الله عليـه وسـلم وجـاء فـى فضلهـا أحاديث صحيحة، والتى إن واظب المسلم عليها كل يوم، فإنهـا تحفظـه إن شـاء الله مـن كل سوء ومكروه، كما أنها تفتح لـه أبـواب التيسـير والقبـول ويكـون محاطـا بعنايـة الله ورعايته طوال يومه، كما أنها تنزله منازل الذاكرين أصحاب الدرجات العلى فى الجنـة.. وقد جاء فى الخبر: "وليس شئ أكرم على الله من الدعـاء" [2]

وقد كان الصحابة والسلف رضوان الله عليهم يقرأون هذه المأثورات بعد صلاة الفجـر حتـى مطلع الشمس، ثم يقومون بعد شروقها بقليل، فيصلون ركعتى الإشراق وهى أول صلاة الضحى، وذلك له فضل عظيم.. فقد ورد عن أنس بن مالك وأبى ماجه رضى الله عنهما

---

(١)يقول شيخ العارفين أبو طالب المكى فى كتابه "قوت القلوب": اعلم أن الورد اسم لوقت من ليل أو نهار، يرد على العبد مكررا، فيقطعه فى قربة إلى الله، ويورد فيه محبوبا يرد عليه فى الآخرة.. والقربة اسم لأحد معنيين: أمـر فرض عليه، أو فضل نُدب إليه، فإذا فعل ذلك فى وقت من ليل أو نهار وداوم عليه، فهو ورد قدمه ير عليه غدا إذا قدم على الله.. وعن طريق الأوراد يستبين للمريد النقصان من المزيد، ويعرف قـوة العـزم مـن وهـن العبـادة. وفـى الأوراد أيضا فضيلة، وهو أن المريد إذا شغل عنها بمرض أو سفر، كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل فى صحته وإقامته. عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مـن أتـى فراشـه وهـو ينـوى أن يقـوم يصلى من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه مـن ربـه.. رواه النسـائى وابـن ماجة وابن حبان.. فالأوراد طريق المجدين السالكين إلى الله.. كما أنها تدل على أحوال العباد، منها دخلوا وفيهـا يرفعون إلى أن يشهدوا الواحد، فتكون الأوراد كلها وردا واحدا ويكونون بشهاداتهم قائمين..

(٢) من حديث عائشة رضى الله عنها، وقد أخرجه الترمذى وابن حبان وأحمد والبخارى

قالا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى الفجر فى جماعــة، ثـم قعــد يذكـر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كـانت لـه كـأجر حجـة وعمـرة تامـة، تامـة، تامة".. (١)

وقد روى الترمذى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة (أى أفضل مـن غنيمة القتال) وأســرع رجعة، قـومٌ شهدوا صلاة الصبح، ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس، فأولئك أسرع رجعة، وأفضل غنيمة.."

ومن فاته قراءة ورده أو حزبه بعد صلاة الصبح، فليقرأه مابين طلوع الشـمس وصـلاة الظهر.. فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نام عن حزبه أو عن شئ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهـر، كتـب لـه كأنما قرأه من الليل. " (٢)

وليس معنى هذا أن الذكر مقصور على تلك الأوقات، بـل إن المسـلم مطـالب بـدوام الذكر متى فرغ من أشغاله الدنيوية، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم عندمـا يـأمره ربـه عز وجل أن يكثر من ذكره بالنهار وبالليل، وألاينقطع عن الذكـر والإجتهـاد فـى العبـادة مادام قد فرغ من أشغاله.. ولنقرأ ذلك فى قول الله عز وجل:

﴿إن لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ (٣)

وفى قوله تعالى:﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾(٤)

وفى قوله تعالى:﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ (٥)

وفى قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾ (٦)

أى إذا فرغت يارسول الله من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب فـى طاعـة ربك واجتهد فيها وقم إليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة..

---

(١)رواه الطبرانى والترمذى (٢)رواه مسلم وأبو داود (٣)سورة المزمل آية (٨،٧)

(٤)سورة الإنسان آية (٢٦،٢٥) (٥)سورة الإسراء آية (٧٩) (٦)سورة الشرح آية (٨،٧)

والذكر دعاء، والدعاء عبادة، وترك الدعاء استكبار، وليس شئ أقبح من أن يتكبر عبد عن دعاء من هو خالقه ورازقه وموجده. عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"الدعاء هو العبادة، ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿وقال ربكم ادعونى استجب لكم **إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين**﴾" (١)

كما أن الدعاء يرد القضاء، فإذا أنزل الله قضاءه وقدره، فإنه ببركة الدعاء ومنزلته عند الله يخفف كثيرا من القضاء الذى قضاه الله، أو يلطف بصاحبه، أو يتصارع الدعاء مع القضاء ويتدافعان إلى يوم القيامة.

فعن ثوبان رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لايرد القضاء إلا الدعاء، ولايزيد فى العمر إلا البر" (٢)، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (٣)، فالدعاء من قدر الله عز وجل، فقد يقضى بشئ على عبده قضاء مقيدا، فإن دعاه اندفع عنه ماقضاه.. عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لايغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة" (٤)

فإذا بدأت يومك ياأخا الإسلام بالذكر والدعاء، فإن يومك هذا يكون يوم خير وبركة، وتحس أن أمورك ميسرة، وأنك تحت عناية الله ولطفه.. وأنك محفوظ طوال يومك من شر الجن والإنس والشياطين.. وماأكثرهم..!! ولذلك قالوا: **"الذكر سيف المريدين، به يقاتلون أعداءهم من الجن والإنس، وبه يدفعون الآفات التى تطرقهم.."**

أما إذا تكاسلت عن قراءة وردك، فإن أهل المعرفة بالله قالوا: **إن الإمدادات تنقطع عنك فى ذلك اليوم..**

---

(١)رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه (٢)رواه الترمذى والحاكم وابن حبان

(٣)سورة الرعد آية (٣٩) (٤)رواه البزار والطبرانى والحاكم

وماأعظم ماشبه به النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء، فقال إنه كالسلاح الذى يدفع عن صاحبه شرور العدو، فإن كان عدوك يملك سلاحا يقاتلك به، وأنت لاتملك مثله، فعليك بالدعاء، فإنه بالدعاء ترد عنك بطشه وجبروته ويجعلك فى أمان الله وحفظه.. كما أنه بالدعاء يلطف الله بك فيما قدره عليك، ويدفع عنك ماتخشاه من سوء العواقب.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض" (١)

ثم إذا أردت أن يستجيب الله لك فى الشدائد، فعليك بالإكثار من ذكره، ومن الدعاء فى الرخاء..

ولنا فى قصة سيدنا يونس عليه السلام مع قومه درس وعبرة.. فعندما ضاق صدره بتكذيب قومه له، أنذرهم بعذاب قريب، وغادرهم مغضبا، فركب سفينة مشحونة فلجت بهم واضطربت وماجت وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخلصوا من أحمالها. فلما اقترعوا، وقعت القرعة على نبى الله يونس ثلاث مرات، فكان لابد من إلقائه فى البحر، فالتقمه الحوت وهو آت بما يلام عليه من تخليه عن المهمة التى أرسله الله بها، وخروجه بغير إذن من ربه.. ولولا أنه كان من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيرا فى حال الرخاء، للبث فى بطن الحوت إلى يوم القيامة، وذلك فى قوله تعالى فى سورة الصافات:

﴿وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين (٢) فالتقمه الحوت وهو مليم. **فلولا أنه كان من المسبحين. للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون**﴾

وجاء فى سورة الأنبياء قوله تعالى:

﴿وذا النون (٣) إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لاإله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين﴾

---

(١)رواه أبو هريرة وأخرجه الحاكم

(٢)أى فقارع أهل السفينة، فكان من المغلوبين بالقرعة فألقوه فى البحر..

(٣)النون هو الحوت، نُسب إليه لأنه التقمه.

وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر من الدعاء فى الرخاء"[1]

كما يشهد لذلك مارواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:

"ياغلام إنى معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، **تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة..**"

وسوف ترى أيها القارئ الكريم فى الصفحات التالية ورد اليوم والليلة ويليه ورد القرآن الكريم، والذى إن واظبت وداومت عليهما، فإن الله يحفظك فى يومك وليلك، ويجتبيك ويجعلك إن شاء الله محفوظا محاطا برعايته وعنايته، ويدخلك فى عداد الذاكرين العابدين..

وبالله التوفيق.

(١)رواه أبو هريرة وأخرحه الترمذى والحاكم

ورد اليوم والليلة [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

١-لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير (عشرا)

٢-اللهم أجرني من النار (سبعا)

-اللهم أجرنا وأجر والدينا من النار بجاه النبي المختار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار بفضلك ياعزيز ياغفار (مرة واحدة)

٣-أصبحنا (أمسينا) على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين (ثلاثا)

٤-اللهم إنى أصبحت (أمسيت) منك فى نعمة وعافية وستر فأتم علـى نعمتـك وعـافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة (ثلاثا)

٥-اللهم ما أصبح (أمسى) بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشـريك لـك فلك الحمد ولك الشكر (ثلاثا)

٦-أصبحنا (أمسينا) وأصبح (وأمسى) الملك لله والحمد لله لاشـريك لـه، لا إلـه إلا هـو وإليه النشـور (ثلاثا)

٧-اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شئ ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه (ثلاثا)

٨-حسبى الله لاإله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبعا)

٩-بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم (عشرا)

١٠-أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق (ثلاثا)

١١-ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولاتكلنى إلى نفسى طرفة عين (ثلاثا)

---

(١)يقرأ هذا الورد بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب مباشرة، ثم يأتى بعده ختم الصلاة، أو بأيها تبدأ فهذا يجوز..

١٢-ياربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثا)

١٣-رضيت بالله تعالى ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا (ثلاثا)

١٤-سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (ثلاثا)

١٥-بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاثا)

١٦- اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه (ثلاثا)

١٧- اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك الله لاإله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن سيدنا محمد عبدك ورسولك (أربعا)

١٨-اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. (ثلاثا)

١٩-اللهم عافنى فى بدنى، اللهم عافنى فى سمعى، اللهم عافنى فى بصرى (ثلاثا)

٢٠-اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لاإله إلا أنت. (ثلاثا)

٢١-اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت. (ثلاثا)

٢٢-استغفر الله العظيم الذى لاإله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه. (ثلاثا)

٢٣-اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تحل بها عقدتى، وتُفَرِّجُ بها كربتى، وتنقذنى بها من وحلتى، وتقيل بها عثرتى، وتقضى بها حاجتى، صلاة رضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين عدد ماأحاط به علمك وخَطَّ به قلمك وأحصاه كتابك وسبقت به مشيئتك وخصصته إرادتك وشهدت به ملائكتك.. وارض اللهم عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.. (عشرا)

٢٤-سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الورد القــرآني: [(١)]

بســـم اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيـــم

﴿الحَـمـدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ * الرَّحمـنِ الرَّحيـم * مَـلِك يَوْمِ الدِّيـنِ * إيـَّاكَ نَعْبُـدُ وإيـَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْـدِنَا الصِّرَاطَ المُسـتَقيمَ * صِـراطَ الَّذِيـنَ أَنعمَـتَ عَلَيْـهِمْ غَيْرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلاَ الضـَّآلِّينَ﴾ الفاتحة

بســـم اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيـــم

﴿الـم * ذَلِكَ الكتابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُـدىً للمُتقيـنَ * الَّذينَ يُؤمِنُـونَ بـالغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصـَّلاةَ وممَّا رَزَقْنَاهُم يُنفِقُونَ * والَّذيـنَ يُؤمِنُـونَ بِمَآ أُنـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـآ أُنزِلَ مِن قَبْلِـكَ وبـالأَخرةِ هُـمْ يُوقِنـُونَ * أُوْلَئِـكَ عَلَى هُـدىً مِّـن رَّبـِّهِم وَأُوْلَئِـكَ هُمُ المُفْلِحُـونَ﴾ البقرة (١-٥)

﴿اللهُ لآ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِـى الأَرضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْـفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذنِـهِ يَعْلَمُ مَا بَيْـنَ أَيْدِيهِـمْ ومَـا خَلْفَـهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَـآءَ وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُـهُمَـا وَهُو العُلِيُّ العَظِيـمُ * لآ إِكْـرَاهَ فِي الدِّيـنِ قَد تَّبَيـَّنَ الرُشْـدُ مِـنَ الغـيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطـَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِـالعُرْوَةِ الوُثْقَـى لاَ انفِصَـامَ لَهَـا وَاللهُ سَمِيـعٌ عَليمٌ * اللهُ وَلِـيُّ الَّذينَ ءَامَنُـوا يُخرِجُـهُم مِـنَ الظُلُمـَاتِ إِلَـى النُّـورِ والَّذيـنَ كَفَـرُواْ أَوْلِيَاؤُهُـمُ الطـَّاغُوتُ يُخرِجُونـَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُلُمـَاتِ أُوْلَئِـكَ أَصْحَـابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خـَالِدونَ﴾ البقرة(٢٥٥-٢٥٧)

---

(١)يقرأ هذا الورد بعد قراءة ورد اليوم والليلة، أى بعد صلاة الصبح والمغرب فإذا لم تستطع، فيقرأ مابين شروق الشمس وصلاة الظهر، وبين المغرب والعشاء، أو بعد العشـاء..

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِليكَ المَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ البقرة (٢٨٥-٢٨٦)

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم * اللهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لآ إِلهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾

آل عمران (١-٦)

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلآئِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلْمِ قَآئِمَاً بِالقِسْطِ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلامُ**﴾ (ثلاثا)

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

آل عمران (٢٦-٢٧)

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ اللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

آل عمران (١٥٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِى السَّمَوتِ وَفِى الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ الأنعام (١-٣)

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام (١٢٢)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ * ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف (٥٤-٥٦)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**﴾ (سبعا) التوبة (١٢٨-١٢٩)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوْ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ

الحَمْدُ للهِ الّذِى لَمْ يَتّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لّهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلِىٌّ مِن الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ الإسراء (١١٠-١١١)

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إنَّ الّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً * قُل لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنْفَدَ كَلِمَاتِ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً * قُلْ إِنّما أَنَاْ بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَى إِلَىَّ أَنّما إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَل عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ الكهف (١٠٧-١١٠)

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلحَىِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمَاً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمَاً وَلاَ هَضْماً﴾

طه (١١١-١١٢)

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فَتَعالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ * وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً ءَاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّه إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ * وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ المومنون (١١٥-١١٨)

بســـــمِ اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيــــمِ

﴿الله نُورُ السَّمَوتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِ شَئٍ عَلِيمٌ﴾ النور (٣٥)

بســـــمِ اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيــــمِ

﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الحُمْدُ فِى السَّمَوتِ وَالأَرضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ * يُخرِجُ الحَىَّ مِنَ الميِّتِ وَيُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَىِّ وَيُحى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ ءَاياتِه أَنْ خلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنْتُم بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِن ءَاياتِهِ أَنْ خلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحمَةً إِنَّ فِى ذَلِك لأَياتٍ لِقَومٍ يَتفَكَرُونَ * وَمِنْ ءَاياتِهِ خلْقُ السَّمَوتِ وَالأَرْضِ وَاختِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُم إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَياتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ ءَاياتِهِ مَنَامُكُم باليَّلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُم مِن فَضْلِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَياتٍ لِقَومٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ ءَاياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِن السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِ بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ ءاياتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةً مِن الأَرْضِ إِذَا أَنْتُم تَخرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِى السَّمَوتِ وَالأَرْضِ كُلٌ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الذَّى يَبْدَؤُاْ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَوتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ الروم (١٧-٢٧)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم * تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ غافر (١-٣)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً * وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ الفتح (١-٣)

﴿مُّحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح (٢٩)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوٰتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالأَرْضِ يُحْيِ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَايَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يُولِجُ الَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الحديد (١-٦)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَآئِزُونَ * لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللهُ الَّذِي لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوٰتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ الحشر (١٩-٢٤)

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَـٰنِ الرَّحيمِ

﴿وَالضُّحَى * وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَللأَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَئَاوَى * وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَى * فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَـٰنِ الرَّحيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ الشرح

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَـٰنِ الرَّحيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ القَدْرِ * ومَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ * لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنَ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ المَلآئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِىَ حَتَى مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾ القدر

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَـٰنِ الرَّحيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَالَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ الزلزلة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ التكاثر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ الفيل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾
الكوثر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون (ثلاثا)

بِســــمِ اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيـــمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ النصر (ثلاثا)

بِســــمِ اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيـــمِ

﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ الإخلاص (ثلاثا)

بِســــمِ اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيـــمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الفلق (ثلاثا)

بِســــمِ اللهِ الرَّحمَـــنِ الرَّحيـــمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ، إِلَـهِ النَّاسِ، مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ، مِن الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الناس (ثلاثا)

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عمَّا يَصِفُونَ

وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ والحمدِ للهِ رَبِّ العَالمين

فضـــل الأدعيـــة

١-عن أبى أيوب الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

"من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ولـه الحمد، وهو على كل شىء قدير (عشر مرات)، كتب الله عز وجل له بكل واحدة قالها عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وكن كعتق عشر رقاب، وكن لـه مسلحة من أول النهار إلى آخره، و لم يعمل يومئذ عمـلا يقهرهـن، وإن قالها حين يمسـى فمثل ذلك"

أخرجه الإمام أحمد والطبرانى

-وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ن قال إذا أصبح "**لا إله ألا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**"، كان له عدل رقبة من ولد اسماعيل، وكتب لـه عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان فى حرز من الشيطان حتى يمسى ..وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح ..

أخرجه أبو داود والنسائى وأحمد وابن ماحه

-وعن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

من قال فى دبر صلاة الفجر وهو ثـان رجليه قبل أن يتكلم: " لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد،يحى ويميت وهو على كل شىء قدير"، (عشر مرات)، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك كله فى حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، و لم ينبغ لذنب أن يدركه فى ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى

رواه الترمذى والنسائى

وفى رواية الإمام أحمد وابن حبان: ومن قالهن إذا صلى المغرب، فمثل ذلك حتى يصبح ..

٢–عن الحارث بن مسلم التميمى رضى الله عنه، قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إذا صليت الصبح، فقل قبل أن تتكلم، "اللهم أجرنى من النار" (سبع مرت)، فإنك إن مت من يومك كتب الله لك جوارا من النار، وإذا صليت المغرب، فقل قبل أن تتكلم: "اللهم أجرنى من النار" (سبع مرات)، فإنك إن مت من ليلتك كتب الله لك جوارا من النار

رواه النسائى وأبو داود عن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث

٣– كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاصوعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين أخرجه أحمد والطبرانى والنسائى وابن السنى

٤–عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من قال: "اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر .....إلى آخره، ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى، كان حقا على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته رواه ابن السنى

٥–قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال حين يصبح: "اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر"، فقد أدى شكر يومه، ومن قالها مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته . أخرجه أبو داود وابن حبان والنسائى

٦–عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: "أصبحنا، وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله........."
من قالهن ثلاث مرات فإنهن يكفرن ما بينهن أخرجه البزار وابن السنى

٧-روى عن أبى بكر رضى الله عنه قال: يا رسول الله مُرنى بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: "اللهم فاطر السموات والأرض....."أخرجه النسائى والحاكم وابن حبان

٨-عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال، قال النبى صلى الله عليه وسلم:
من قال كل يوم حين يصبح وحين يمسى: "حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" (سبع مرات)، كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدنيا وأمر الآخرة، صادقا بها أوكاذبا . رواه ابن السنى وابن عساكر

٩-عن عليٍّ رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عليّ، ألا أعلمك كلمات إذا وقعت فى ورطة فقل: "بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، ترددها كثيرا، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنوع البلاء ..
رواه ابن السنى فى "عمل اليوم والليلة"

-وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثر من قول: "لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم"، فإنها كنز لا الجنة.
قال مكحول رضى الله عنه، فمن قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ من الله إلاّ إليه"، كشف الله عنه سبعين بابا من الضُرِّ أدناها الفقر . رواه الترمذى والنسائى والبزار

١٠-جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، لقيت عقربا لدغنى البارحة، فقال: أما قلت حين أمسيت "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق" .وقي: هى النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوذ منه .. قال المنذرى فى الترغيب والترهيب

-وعن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: ما لقيتمن عقرب لدغتنى البارحة، قال: أما لو قلت حين أمسيت: "أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق لم تضرك" رواه مالك ومسلم وأبو داود والنسائى

١١-عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: "يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين" أخرجه النسائى والحاكم والبزار والطبرانى

١٢-عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال: "يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك"، فعضلت بالملكين (أى اشتدت عليهما وعظمت واستغلق عليهما معناها)، فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء، فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدى؟ قالا: يا رب إنه قد قال: يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها"

رواه أحمد وابن ماجه

١٣-عن سلام رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: "**رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا**"، كان حقا على الله أن يرضيه أخرجه أهل السنن الأربعة والطبرانى فى الكبير والإمام أحمد

١٤-عن جورية رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة تسبح الله، فقال: مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم. قال النبى صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات (ثلاث مرات) لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته ..." رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى

١٥-عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: "بسم الله الـذى لا يضـر مـع اسمـه شىء ..." إلى تمام الحديث بعد قوله (ثلاث مرات)، فلا يضره شـىء وفـى لفـظ "فيضـره شىء" .. وفى الحديث دليل على أن هذه الكلمات تدفع عـن قائلهـا كـل ضـر كائنـا مـا كان، وأنه لا يصاب بشىء فى ليله ولا فى نهاره إذا قالها فى الليل والنهار..

أخرجه أهل السنن الأربعة وابن حبان والترمذى

١٦-عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنـه، قـال، خطبنـا رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم ذات يوم، فقال: ياأيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول، وكيف نتقيه وهو أخفـى مـن دبيـب النمـل يـا رسـول الله؟ قـال: قولوا: "اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه" (ثلاثا).

رواه أحمد والطبرانى وابن حبان ..

١٧-عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
من قال حين يصبح أو حين يمسى: "اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك ..." أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار، ومن قالهـا ثلاثـا أعتـق ا لله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربع مرات أعتقه الله من النار. أخرجـه أبو داود والـترمذى والنسائى

١٨-عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: دخل رسول الله صلى الله عليـه وسـلم ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامـة: مـالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتنـى وديـون يـا رسـول الله، قال: أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت "اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحـزن .." قـال ففعلـت ذلك فأذهب الله همى وقضى دينى

١٩، ٢٠-روى أن عبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنه قال لأبيه: يا أبت سمعتك تدعو كل غداة (صباح): "اللهم عافنى فى بدنى، اللهم عافنى فى سمعى، اللهم عافنى فى بصرى، لا إله إلا أنت" (ثلاثا)، "اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت" (ثلاثا) تعيدها حين تصبح وثلاثا حين تمسى، فقال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن، فأنا أحب أن أستن بسنته ..

٢١-عن شداد بن أوس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
سيد الإستغفار: "اللهم أنت ربى.... فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"، إذا قاله المسلم حين يصبح فمات دخل الجنة، وإذا قاله حين يمسى فمات دخل الجنة

رواه البخارى والترمذي والنسائى

٢٢-روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قال بعد صلاة الفجر ثلاث مرات، وبعد العصر ثلاث مرات: "أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه"، كُفرت عنه ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر

رواه ابن السنى فى كتابه..

٢٣-عن أبى الدرداء رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صلّى علّى حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً، أدركته شفاعتى يوم القيامة "

رواه الطبرانى

٢٤-قال الإمام النووى فى الأذكار: روينا فى حلية الأولياء عن علىٌ كرَّم الله وجهه:
من أحب أن يكتال بالمكتال الأوفى، فليقل فى آخر مجلسه أو حين يقوم:
﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾
-وفى رواية عن زيد بن أرقم رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قال دبر كل صلاة: ﴿سبحان ربك رب العـزة......﴾ (ثلاث مـرات) فقـد اكتـال بالجراب الأوفى من الأجر" رواه الطبرانى فى الكبير

فضيلة الإستغفار :

جاء القرآن الكريم بآيات كثيرة تحض على الاستغفار، لأنه االمطهر من الذنـوب، كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بكثرة الاستغفار، لأن الاستغفار توبـة، وهـو واجب على كل مسلم ودون إبطاء ..

قال الله تعال: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾

وقال تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾

وقال تعالى: ﴿ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾

-عن أبى هريرة وعن عبادة بن الصامت رضـى الله عنهمـا، قـال: سمعـت أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استغفر للمؤمنين والمؤمنـات، كتـب الله لـه بكـل مؤمـن ومؤمنة حسنة أخرجه الطبرانى فى الكبير

-وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصبحت غدوة إلا استغفرت الله مائة مرة أخرجه الطبرانى

-وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة أو خمسا وعشرين مرة، أحـد العددين، كان من الذين يُستجاب لهم ويرزق بهم أهل الأرض"

قاله فى مجمع الزوائد رواه الطبرانى

-وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجـا، ومـن كـل هـم فرجـا، ورزقـه مـن حيث لا يحتسب" أخرجه أبو داود واب حبان والنسائى

-عن الزبير ابن العوام رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار" رواه الطبرانى فى الأوسط والبيقهى
-وذكر الإمام النسفى رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"ما من مؤمن إلاّ وله صحيفة فى كل يوم، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهى سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ ..

فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

-قال الله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.. وقال النبى صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلى أحب إليه من أهله، وعترتى أحب إليه من عترته، وذريتى أحب إليه من ذريته رواه الطبرانى والبيقهى

-وأخرج ابن الملقن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"من صلّى علىَّ صلت عليه الملائكة، ومن صلت عليه الملائكة، صلّى الله عليه، ومن صلّى الله عليه، لم يبق شىء فى السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع والأشجار والنبات والطيور والسباع والأنعام إلاَّ صلّى عليه" كذا فى الحقائق

-عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صلّى علىَّ واحدة، صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات، وكتبت له عشر حسنات" .. أخرجه النسائى وابن حبان والطبرانى وغيرهم
-عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
" من صلّى علىَّ حين يُصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة"
رواه الطبرانى

-عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشرا، ومن صلّى عليّ عشرا صلّى الله عليه مائة ومن صلّى عليّ مائة صلّى الله عليه ألفا، ومن صلّى عليّ ألفا كل يوم زاحمت كتفه كتفيعلى باب الجنة" ذكره صاحب الدر المنظم عن ابن عباس

-وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة عليّ، فإنها تحل العقد وتكشف الكرب وتكثر الأرزاق وتقضى الحوائج ."

-وأخرج ابن عباس عن جابر رضى الله عنه، قال، رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من صلّى عليّ كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها فى الآخرة، وثلاثين فى الدنيا"
-عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من صلّى عليّ فى يوم ألفاً لم يمت حتى يُبشر بالجنة"

رواه أبو الشيخ عن أنس رضى الله عنه

-وقال النبى صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل مسلم لم تكن عنده صدقة، فليقل فى دعائه:
"اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وصلّ على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فإنها له زكاة . رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم عن أبى سعيد رضى الله عنه

-وروى الديلمى عن الإمام عليٍّ كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة خُلقوا من النور **لا يهبطون إلا ليلة الجمعة ويوم الجمعة**، بأيديهم أقلام من ذهب، ودُوِىٌّ من فضة، وقراطيس من نور، لا يكتبون إلا الصلاة على النبى (صلى الله عليه وسلم)"

-وعن عليٍّ بن الحسين عن أبيه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلّى علىَّ كل يوم جمعة (مائة مرة) جاء يوم القيامة ومعه نور، لو قُسِّمَ ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم" رواه أبو نعيم فى الحلية

أدعية للحفظ واللطف والنصر (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بكلمات الله التامّات التى لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شرِّ ما يلج فى الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن ..

اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير ..

ربِّ أعنى ولا تُعن علىَّ، وانصرنى ولا تنصر علىَّ، وامكر لى ولا تمكر علىَّ، واهدنى ويسِّرْ هداى إلىَّ، وانصرنى على من بغى علىَّ .. اللهم اجعلنى لك شاكرا، لك ذاكرا، لك راهبا، لك مطواعا، إليك مخبتا، إليك أوَّاها منيبا .. ربِّ تقبل توبتى، واغسل حوبتى، وأجب دعوتى، وثبت حجتى، واهد قلبى وسدِّد لسانى، واسلل سخيمة قلبى ..

اللهم إنى أسألك يا لطيفا قبل كل لطيف، يا لطيفا بعد كل لطيف، يا لطيفا لطف بخلق السموات والأرض أسألك أن تلطف بى من خفىٍّ لطفك الخفىِّ، إنك قلت وقولك الحق :

﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوىُّ العزيز﴾

اللهم إنى أسألك اللطف بى فيما جرت به المقادير .. يا لطيف، يا لطيف (٢٠ مرة)

اللهم لا تمكِّنْ منى عدوا، ولا حاسدا، ولا شامتا، ولا ظالما، ولا جبارا، ولا ساحرا اللهم احجبنى عن أعين الظلمة والظالمين، والحاقدين، والحاسدين، وأسدل علىَّ جميل سترك، وأمنِّى مما أخاف وأحذر، وجُد علىَّ بحفظك وعنايتك وتوفيقك إنك على كل شيء قدير ..

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ..

---

(١) بعض هذه الأدعية مأخوذ من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضها من أقوال السلف الصالح وبعضها من أولياء الله الصالحين .. يستحب قراءة تلك الأدعية على طهارة (أى على وضوء) وإذا قرأتها على غير وضوء يصح، وكلما كررتها كثيرا كان أدعى للإجابة إن شاء الله ..

♦ ســورة الفـاتحـة

١-أخرج ابن جوير عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلــى الله عليـه وسـلم أنه قال فى **فضل فاتحة الكتاب**: "هى أم القرآن وهى فاتحة الكتـاب وهـى السـبع المثـانى [1] والقرآن العظيم". رواه البخارى

٢-وأخرج الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى والبيهقى عن أبـى سـعيد بـن المعلـى قـال: كنت أصلى، قال فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت، ثم أتيت، فقال: "مامنعك أن تأتينى، فقلت: كنت أصلى، فقال: ألم يقل الله: ﴿استجيبوا لله وللرسـول إذا دعاكم﴾، ثم قال: ألا أعلمنك أعظم سـورة فـى القـرآن قبـل أن تخـرج مـن المسـجد، فأخذ بيدى، فلما أردنا أن نخرج قلت يارسول الله إنك قلت ألا أعلمنك أعظم سورة فى القرآن؟ قال: سورة الحمد لله رب العالمين، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته"

٣-وأخرج أبو الشيخ والطبرانى وابن مردويه والديلمى عن أبى أمامـة رضـى الله عنـه، قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'أربع أنزلت من كنز تحت العرش، لم ينزل منه شئ غيرهن: أم الكتاب، وآية الكرسى، وخواتيم سورة البقرة، وسورة الكوثر.

(١)قال المفسرون: سميت بالمثانى، لما فيها من الثناء على الله تعالى،
ويحتمل أن يكون من الثنياء، لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة
ويحتمل أن يكون من التثنية، لأنها تثنى فى كل ركعة أى تثنى بسورة أخرى
ويحتمل أيضا لأنها نزلت مرتين (مرة بمكة ومرة بالمدينة)
وقيل لأنها على قسمين ثناء ودعاء
وقيل لأنها كلما قرأ العبد منها آية اثنى الله عليه
وقيل لأنه احتمع فيها فصاحة وبلاغة المعانى
وقيل لأنها مستثناة من سائر الكتب السابقة

٤-عن أبى كعب رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"ألا أعلمك سورة ماأنزل فى التوراة ولا فى الزبور ولا فى الإنجيل ولافى القرآن مثلها؟ قال: بلى، يارسول الله، قال: كيف تقرأ إذا قمت تصلى؟ قال بفاتحة الكتاب قال هِىَ هِىَ، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته."

أحرجه الدارمى وابن خزيمة من طريق أبى هريرة عن أبى بن كعب رضى الله عنهم.

٥-وعن معقل بن يسار رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"أعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش" رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

٦-وأخرج الأمام أحمد والبيهقى عن عبد الله بن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"ألا أخبركم بأخير سورة نزلت فى القرآن، قلت بلى يارسول الله، قال: فاتحة الكتاب.. وأحسبه قال: "فإن فيها شفاء من كل داء"

٧-وأخرج ابن قانع، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه وبما مدح الله به نفسه، قلنا: وماذاك يانبى الله؟ قال: سورة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، و ﴿قل هو الله أحد﴾، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله

٨-روى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من شئ إلا الموت" (١) رواه البزّار

---

(١)روى الديلمى عن الحكم بن عمير رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نام على تسبيح أو تكبير أو تهليل أو تحميد بُعث عليها يوم القيامة، ومن نام على غفلة بعث عليها يوم القيامة، فعوِّدوا أنفسكم الذكر عند النوم.."

٩-وأخرج أبو عبيد وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال:

"بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية ثلاثين راكبا، فنزلنا بقوم من العرب، فسألناهم أن يضيفونا، فأبوا، فلدغ سيدهم، فأتونا، فقالوا: هل فيكم أحد يرقى من العقرب، فقلت نعم أنا، ولكن لا أفعل حتى تعطونا شيئا، قالوا: إنا نعطيكم ثلاثين شاة، قال: فقرأت عليه سورة (الحمد لله رب العالمين) سبع مرات، فلما قبضنا الغنم، أعرض[1] فى أنفسنا منها، فكففنا، حتى أتينا النبى صلى الله عليه وسلم، فذكرنا ذلك له، فقال: أما علمت أنها رقية، اقسموها واضربوا لى معكم بسهم."

١٠-يقول ابن القيم الجوزى رضى الله عنه: فى حديث الرقية بالفاتحة:

"إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين، ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا فى غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معانى الكتب، وقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الرب تعالى، وطلب الإعانة والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء، والرد على جميع أهل البدع، وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء" أ.هـ   زاد المعاد الجزء الثالث ص ١٢٢

***فضائل سورة البقرة**

١-عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ من تحت العرش فوصلت بها، أو "فوصلت بسورة البقرة" رواه الإمام أحمد

٢-وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لكل شئ سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وإن منها آية هى سيدة آى القرآن: آية الكرسى"   رواه الترمذى

---

(١)أى حدث فى نفوسنا شئ أن نقبل شيئا ثمنا للرقية

٣-وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" إن لكل شئ سناما وأن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها فى بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال، ومن قرأها فى بيته نهارا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام"

رواه أبو القاسم الطبرانى وأبو حاتم وابن حيان

٤-وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه، قال:
"بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فاستقرأ كل واحد منهم مامعه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنا، فقال: مامعك يافلان؟، قال: معى كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم، قال: اذهب فأنت أميرهم

رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه

٥-عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"لاتجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ليفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة"

أخرجه مسلم والنسائى والترمذى

٦-وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"اقرءوا سورة البقرة فى بيوتكم، فإن الشيطان لايدخل بيتا يقرأ فيه سورة البقرة"

رواه الحاكم

٧-وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أربعا من أولها، وآية الكرسى وآيتين بعدها، وخواتيمها فى ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح"..

رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم وصححه

فضل آية الكرسى

١-من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"ياأبا المنذر: أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال الله ورسوله أعلم. قال: ياأبا المنذر: أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم...﴾

قال:فضرب في صدرى، وقال: لِيُهَنِّكَ [1] العلم أبا المنذر، والذى نفسى بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش''   رواه مسلم وأبو داود

٢-عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
''سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن [2]، **لاتقرأ فى بيت فيه شيطان إلا خرج منه وهى آية الكرسى''**   رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد

-وقال الإمام النسفى رضى الله عنه: قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عفريتا من الجن يكيدك، فاطرده عنك بآية الكرسى..

٣-عن القاسم بن عبد الرحمن رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن اسم الله الأعظم فى ثلاث سور من القرآن. فى سورة البقرة وآل عمران وطه، قال القاسم: فالتمستها فوجدتها فى سورة البقرة: آية الكرسى ﴿الله لاإله إلا هو الحى القيوم ﴾..وفى سورة آل عمران: ﴿آلم.. الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾.. وفى سورة طه: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾..   رواه الحاكم

٤-وأخرج ابن السنى عن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
''من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى..''

٥-وقال الإمام على رضى الله عنه، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد المنبر:
''من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، **وإذا قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والدويرات حوله''**

٦-وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١)ليهنك: أى فلتهنأ بما أعطاه الله لك من علم

(٢)قوله هى سيدة آى القرآن فيه اثبات السيادة لهذه الأية على جميع آيات القرآن

من قرأ آية الكرسى هون الله عليه سكرات الموت، ومامرت الملائكة ببيت فيه آية الكرسى إلا صَفُّوا، ولابيت فيه قل هو الله أحد إلا سجدوا، ولابيت فيه أواخر سورة الحشر إلا جثوا على ركبهم شمس المعارف للبونى

-عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه: "من قرأ آية الكرسى حين يخرج من بيته وهو على وضوء وكل الله به ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى يرجع.."

-وقال الإمام القزوينى رضى الله عنه: "من أراد سفرا وخاف من عدو أو غيره، فليقرأ آية الكرسى وسورة لإيلاف قريش".. وقال الشيخ البونى رحمه الله: "من قرأ آية الكرسى عند خروجه من منزله قضيت له حاجته، وغفرت له ذنوبه، وذهبت شياطينه، ووكل الله تعالى به ملائكة يحرسونه من كل آفة وعاهة وجن وإنس ومن كل مايخاف ويحذر".. وقال القطب الكبير سيدى عبد الله العيدروس رضى الله عنه: "إن كثرة قراءة آية الكرسى يثبت الله بها القلب لاسيّما عند الموت.."

-قال رجل من الصالحين:

"كنت أداوم على قراءة آية الكرسى، فأصابنى وجع شديد، فنمت وبى من الوجع مالا يعلمه إلا الله، فرأيت فى منامى رجلين يقول أحدهما لصاحبه، إنه يقرأ آية فيها ثلاثمائة وستون رحمة [1]، أفلا يدركه منها رحمة واحدة، فاستيقظت وقد عافانى ربى.."

٧-قال الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله عنه:

"من قرأ آية الكرسى بعدد حروفها وهى (مائة وسبعون حرفا) فى جلسة واحدة وعلى طهارة، مستقبلا القبلة، مع شئ من الصدقة، والقراءة بالليل أفضل، أعانه الله تعالى فى جميع أموره، وقضى حوائجه، وفرج همه وغمه، وقضى دينه، وكشف ضره، ووسع رزقه، وكشف الله له أبواب الخيرات، ونال مطلوبه إن شاء الله.."

(لامانع من القيام بقراءة هذا العدد عدة مرات حتى يقضى الله المطلوب)

---

(١)عن علىٍّ رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسى، أما إن فيها خمس كلمات، فى كل كلمة خمسون بركة".. رواه الديلمى فى مسند الفردوس

فضل آخر سورة البقرة

١-عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"الآيتان من آخر سورة البقرة: آمن الرسول..إلى آخرها لايقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان" أخرجه الترمذى وابن حبان والنسائى

٢-عن أبى ذر رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن الله ختم البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت عرشه، فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم، فإنها صلاة وقرآن ودعاء" أخرجه الحاكم والبخارى

٣-من حديث أبى مسعود عقبة بن عمرو قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه" (١) أخرجه البخارى ومسلم

٤-وأخرج الدارمى عن الربيع بن عبد الله الكلاعى، قال رجل يارسول الله، أى آية فى كتاب الله أعظم؟ قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسى:الله لا إله إلا هو الحىُّ القيوم، قال فأى آية من كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال آخر سورة البقرة آمن الرسول، لأنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله، ولم تترك خيرا فى الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه ..

٥-وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال:

"بينما جبرائيل عليه قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" (٢) أخرجه مسلم والنسائى

---

(١)كفتاه: أى أجزأتاه عن قيام الليل، وقيل كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته، وقيل كفتاه ما يكون من الآفات التى تكون فى الليل، وقيل معناه حسبه بهما فضلا وأجرا..

(٢)إلا أعطيته: أى أعطيت ثوابه، أو أعطاك الله ثواب ما اشتمل عليه من الدعاء..

فضــل البقرة وآل عمــران

١-عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اقرءوا الزهراوين [١] البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان[٢]أو كأنهما غيايتان [٣]، أو كأنهما فِرقَان [٤] من طير صوافٍّ يحاجان عــن أصحابهمــا

أخرجه مسلم

٢-وعن أبى أمامة الباهلى رضـى الله عنـه قـال: سمعـت رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم يقول: "اقرءوا القرآن، فإنـه يـأتى يـوم القيامـة شـفيعا لأصحابـه. اقـرءوا الزهراويـن: البقـرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتــان أو غيايتـان، أو كأنهمـا فرقـان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولاتستطيعها البطلة" [٥].قال معاوية بن سلام: بلغنى أن البطلة السحرة.رواه مسلم

فضــل الآيات من آل عمــران

١-عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتان من آل عمــران: ﴿شـهد الله... ﴾ إلى قولـه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ و﴿قـل اللهـم مـالك الملـك...﴾ إلى قولـه: ﴿بغـير حسـاب﴾.. مُعَلَّقاتٍ مابينهن، أى مابين الآيات وبين الله حجاب، يعنى لما أراد الله أن ينزلهمــا تعلقـن بالعرش، فقلن يارب: أتهبطنا إلى الأرض وإلى من يعصيك، فقال تعالى: حلفت لايقرؤكن أحد من عبادى فى دبر كل صلاة إلا جعلـت الجنـة مثـواه علـى مـا كـان منـه ولأسكننه حظيرة القدس وإلا نظرت إليه فى كل يوم سبعين نظرة، وإلا قضيت له كـل يـوم سـبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعذته من كل عدو وحاسد وإلا نصرته.."

كذا فى المعالم وتفسير الفاتحة وروح البيان

---

(١)ت البقرة وآل عمران زهراوين لنورهما وهدايتهما وعظم أجرهما والمراد بالزهراوين المنيرتان..

(٢)متان: يعنى سحابتين (٣)غايتان: الغياية كل شئ أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية

(٤)فرقان: أى قطعتان من طير صواف باسطة أجنحتها حال طيرانها

(٥)يقال أبطل إذا جاءه بالباطل، وقيل هم الشجعان من أهل الناطل.. أى لايستطيع أهل الباطل أن يؤذوا قارئ سورة البقرة المداوم على قراءتها، وقيل أن البطلة هم السحرة.

٢-عن أبى يحيى مولى آل الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال:
"سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعرفه يقرأ هذه الآية من آل عمران:
﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ثم قال: "وأنا على ذلك من الشاهدين يارب.."

-وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو.. الآية﴾، ثم قال بعدها: "وأنا على ذلك من الشاهدين" خلق الله تعالى سبعين ألف ملك يستغفرون له الله إلى يوم القيامة.."

٣-حدث غالب القطان قال: "أتيت الكوفه فى تجارة فنزلت قريبا من الأعمش(1) فلما كان ليلة، قمت لصلاة التهجد فى المسجد، فرأيت الأعمش قائما يتهجد، فمر بهذه الآية:
﴿شهدالله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام﴾، ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة. قالها مرارا: قلت: لقد سمع فيها شيئا، فغدوت إليه، ثم قلت ياأبا محمد إنى سمعتك تردد هذه الآية، قال: أوما بلغك ما فيها، قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثنى، قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة، فأقمت سنة، فكنت على بابه، فلما مضت السنة، قلت ياأبا محمد: قد مضت السنة. قال: حدثنى أبو وائل عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: عبدى هذا عهد إلَّى عهدا وأنا أحق من وفّى بالعهد، أدخلوا عبدى الجنة" رواه أبو الشيخ عن ابن مسعود تفسير ابن كثير

-كان رجل من الصالحين يداوم على قراءة هذه الآية، وكان يقول بعد قراءتها: "يارب هذه وديعتى عندك، فردها إلىَّ يوم وفاتى، فلما قرب أجله، نطق لسانه بلا إله إلا الله، فنودى من فوقه: هذه وديعتك قد رددناها إليك.."

---

(١)الأعمش: يسمى سليمان بن مهران الأعمش الأسدى، كان من الفقهاء العباد الزاهدين، وكان فى عصره علامة الاسلام، أدرك جماعة من الصحابة وعاصرهم، ورأى أنس بن مالك، توفى سنة ١٤٨ هـ عن ثمان وثمانين سنة..

٤-عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضى الله عنه: "ألا أعلمك دعاء تدعو به لوكان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك؟ قل يامعاذ: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على شئ قدير﴾، رحمن الدنيا والآخرة تعطيهما من تشاء وتمنعهما من تشاء ارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك.."

رواه الطبرانى فى الأوسط والضياء المقدسى فى المختارة

٥-وعن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، في هذه الآية من آل عمران: ﴿قل اللهم مالك الملك...﴾ إلى قوله تعالى ﴿إنك على شئ قدير﴾

٦-روى عن بعض العلماء المحققين أن من قرأ كل يوم الآيتين: الأولى الآية (١٥٤) من سورة آل عمران، والثانية الآية (٢٩) من سورة الفتح، فإن الله يذهب عنه الخوف والفزع والحزن ويفرج الله عنه كل هم وغم، وقالوا إن الله يبارك له فى جميع أحواله وينصره على أعدائه، كما ينفعان من الشفاء من الأمراض الباطنية، وكل ألم يحدث فى بدن الإنسان.. وهما: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا..﴾إلى قوله تعالى: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ والثانية: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم..﴾ إلى آخر السورة

٧-وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس" رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير

فضل الآيات من سورة الأنعام

-عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح.."

-وعن انس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد مابين الخافقين لهم زجل (أى صوت) بالتسبيح والتحميد

والتمجيد كادت الأرض ترتج، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا.."

-وروى عن جابر مرفوعا أن من قرأ سورة الأنعام يصلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره.. كما روى عنه مرفوعا أن من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله تكسبون.. وكذلك الآية: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن هو مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون﴾. الأنعام الآية (١٢٢)، وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه، ويحفظه الله من الشيطان، ويقيه الله عذاب الدنيا والآخرة.. يقول بعض العلماء: "إذا كان لك إلى الله حاجة، فلتقرأ سورة الأنعام كلها قبل غروب شمس يوم الجمعة بساعة فإن الله يستجيب دعاءك إن شاء الله.."

يقول الإمام الرازى رضى الله عنه: "امتازت هذه السورة بنوعين من الفضيلة: أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة، وثانيهما أنه شيعها سبعون ألفا من الملائكة، والسبب فى هذا الإمتياز أنها مشتملة على دلائل التوحيد، والعدل، والنبوة، والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين.."

ويقول الإمام القرطبى رضى الله عنه: "إن هذه السورة أصل فى محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضى إنزالها جملة واحدة.."

فضل الآيات من سورة الأعراف

-من أول قول الله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض...﴾ إلى قوله تعالى ﴿المحسنين﴾

قال بعض أهل الولاية: "من أراد أن يعينه الله على السهر بالليل فى طاعة الله، فليقرأ الآيات السابقة (ثلاث مرات) أو (سبعا)".. كما نقل الإمام السيوطى فى (الإتقان) عن ابن السنى، أنه لما دنت ولادة السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها، أمر النبى صلى الله عليه وسلم زوجتيه السيدة أم سلمة والسيدة زينب بنت جحش رضى الله

عنهما أن يأتياها، فيقرآ عندها: آية **الكرسى**، وقوله تعالى: ﴿**إن ربكم الله**.... **المحسنين**﴾، وكذلك المعوذتين، والفاتحة..

فضل الآيات من سورة التوبة

١-قال ابن عباس رضى الله عنه،: ''سألت على بن أبى طالب كرم الله وجهه: لِمَ لم يكتب فى أول سورة التوبة "بسم الله الرحمن الرحيم" قال: لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمان، وسورة التوبة (براءة) نزلت بالسيف، ليس فيها أمان للمنافقين''.. وقال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب فى صدر هذه السورة البسملة لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت لتقرر السيف على المنافقين، ولا أمان للمنافقين..

٢-عن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: ما من عبد يقول: ﴿فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ من آخر سورة التوبة (سبع مرات) صادقا كان بها أو كاذبا، إلاَّ كفاه الله ما أهمه..''

٣-قال بعض العارفين: ''من داوم على قراءة هاتين الآيتين من آخر سورة التوبة ﴿لقد جاءكم رسول... إلى آخر السورة﴾ (سبع مرات) فى دبر الصلوات المكتوبات، إن كان ضعيفا قوى، أو ذليلا عز، أو مغلوبا انتصر، أو معسرا يسر الله تعالى كل أموره، أو مديونا قضى الله دينه، أو مكروبا رفع الله عنه الهم والغم والحزن، وإن كان مضيقا عليه فى الرزق فتح الله عليه أبواب الخيرات إن شاء الله.. وإن كان مسجونا ظلما فليداوم عليها **إحدى وأربعين مرة** يخرج من سجنه بلطفه وكرمه..''

فضل الآيات من آخر سورة الإسراء

-عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''من قرأ فى مصبح أو ممسى ﴿قل ادعو الله أو ادعو الرحمن..﴾ إلى آخر السورة، لم يمت قلبه فى ذلك اليوم ولا تلك الليلة'' أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس

فضل الآيات من سورة الكهف

١-عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين" (١)

رواه النسائى والبيهقى وأخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد

٢- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه" أخرجه الحاكم والنسائى

وفى رواية لمسلم: "من حفظ عشر آيات من أولها عصم من فتنة الدجال"

٣-روى ابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من قرأ الآيات الآواخر من سورة الكهف عند نومه ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم... إلى آخر السورة﴾، بعثه الله أى الليل شاء

يعنى من قرأ هذه الآيات ودعا الله قبل نومه أن يوقظه فى ساعة معينة من الليل، فإنه ببركتها يبعثه الله فى تلك الساعة..

فضل الآية من سورة طه

-عن معقل بن يسار رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أعطيت طه والطواميس والحواميم من ألواح موسى" أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد

*الطواميس: سورة الشعراء، والنمل، والقصص: تبدأ كل منها بـ طسم

*الحواميم: سورة غافر، والأحقاف: تبدأ كل منهما بـ حم

-وقد سبق أن قلنا إن الآية الكريمة من سورة طه وهى: ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾ فيها اسم الله الأعظم..

فضل الآيات الأخيرة من سورة المؤمنون

-عن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه قال: "وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية، فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا..إلى آخر السورة﴾ فقرأنا فغنمنا وسلمنا" أخرجه بن السنى وأبو نعيم وابن منده

---

(١)معنى إضاءة النور له مابين الجمعتين: أنه لايزال عليه أثرها وثوابها فى جميع الأسبوع.. وفى الجامع الصغير: "فيندب قراءتها يوم الجمعة، وكذا ليلتها.. نص عليه الشافعى" أ.هـ

-ومما يستخدم كرقية للمجنون أو المصروع أو المبتلى، ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ فى أذن مبتلى شيئا من القرآن، فأفاق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قرأت فى أذنه؟ قال: قرأت ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ....﴾ إلى آخر السورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال" أخرجه ابن السنى

فضل الآيات من سورة النور

آية (٣٥) ﴿الله نور السماوات والأرض﴾، فاقرأها واسأل الله نورها وبركتها، فإن المؤمن لينظر بنور الله..

فضل الآيات من سورة الروم

-عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من قال حين يصبح: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون....﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك تخرجون﴾، أدرك مافاته فى يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته"
رواه أبو داود

سورة آلـم السجدة وسورة الإنسان

-عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: "كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر يوم الجمعة ﴿آلـم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين..﴾ السجدة، و سورة ﴿هل أتى على الإنسان...﴾ رواه البخارى ومسلم

-وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ﴿آلـم تنزيل..﴾ السجدة، و ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾

-وعن أنس رضى الله عنه أن من قرأهما فى ليلة كان كمن وافق ليلة القدر

-وكان طاووس بن كيسان من أجلاء التابعين رضى الله عنه لايدعهما فى حضر ولا سفر

سورة يس

-عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إن لكل شئ قلبا وقلب القرآن، يس" رواه الترمذى

-عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
" قلب القرآن **يسٓ** لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرءوها على موتاكم"
أخرجه النسائى و ابن ماجه وأبو داود وابن حبان

-وعن جندب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له" رواه مالك وابن السنى وابن حبان فى صحيحه

-وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، وكان مريضا، اقرأ يس فإن فيها عشر بركات:

ماتلاها جائع إلا شبع ولا عارٍ إلا اكتسى

ولا أعزب إلا تزوج ولا خائف إلا أمن

ولا مسجون إلا خرج من سجنه ولا مسافر إلا أعين على سفره

ولا رجل ضلت له ضالة إلا وجدها ولا ظمآن إلا روى

ولا مريض إلا برئ وما قرئت عند ميت إلا خفف عنه

-وقال صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة (**يسٓ**) فى ليل أو نهار لم يدركه يومئذ ذنب"
كذا فى شمس المعارف

-ونقل ابن حبيب حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن فى القرآن لسورة تدعى "العزيزة" عند الله تعالى هى (سورة **يسٓ**) يدعى صاحبها "الشريف" عند الله، يشفع قارئها يوم القيامة فى أكثر من ربيعة ومضر.."

-وقال صلى الله عليه وسلم: "تهرب الشياطين من سورة (**يسٓ**) وآخر سورة (**الحشر**) و(**المعوذتين**) ..

-وقال صلى الله عليه وسلم: "من دخل المقابر وقرأ سورة (**يسٓ**) خفف عليهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات"

-روى أبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ سورة ﴿ **يسٓ** ﴾ في صدر النهار وقدمها بين يدى حاجته قضيت"

-وعن يحيى بن كثير قال: "بلغنا أن من قرأ سورة (يس) حتى يصبح لم يزل في فرح حتى يمسى، ومن قرأها حين يمسي، لم يزل في فرح حتى يصبح"..

-وقال بعض الصالحين: "من كانت له إلى الله حاجة، أو نزلت به ضائقة، أو محنة أو بلاء أو عسر، فليتوضأ وضوءا جديدا، ثم يصلي ركعتين بنية قضاء الحاجة، ثم يستغفر الله كثيرا، ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطاع، ثم يقرأ السورة المباركة بالعدد (٤١) في جلسة واحدة، إن أمكن، والأفضل أن يكون ذلك ليلة الجمعة مع التصدق بشئ على الفقراء والمساكين ..

-جاء في مشكاة المصابيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

عشرة تمنع عشرة:	سورة الفاتحة	تمنع غضب الرب
	وسورة يس	تمنع عطش القيامة
	وسورة الدخان	تمنع أهوال القيامة
	وسورة الواقعة	تمنع الفقر والفاقة
	وسورة الملك	تمنع عذاب القبر
	وسورة الكوثر	تمنع خصومة الخصماء
	وسورة الكافرون	تمنع الكفر عند الموت
	وسورة الإخلاص	تمنع النفاق
	وسورة الفلق	تمنع حسد الحاسدين
	وسورة الناس	تمنع الوسواس

كذا في مشكاة المصابيح وروضة المتقين

فضل الآيات من سورة غافر

-عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قرأ أول سورة ﴿حم..﴾ إلى قوله تعالى .. ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾ وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح" ..رواه الترمذى وابن السنى

سورة الدخان

-عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ حـــم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك"

رواه الترمذى والأصبهانى

-وعن الحسن البصرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"من قرأ سورة يــس و﴿حــم﴾ الدخان فى ليلة جميعا إيمانا واحتسابا غفر له مـاتقدم مـن ذنبه، ومن قرأهما فى ليل أو نهار لم يدركه يومئذ ذنب"..

سـورة الفتـــح

أخرج البخارى فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"لقد نزلت علىَّ الليلة سـروة أحب إلى من الدنيا ومافيها، وفى رواية أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشـمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنــا لك فتحـا مبينــا﴾..

-وعن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ سورة الفتح كان له من الأجر كأنما كان ممن بايع محمـدا صلـى الله عليـه وسـلم تحت الشـجرة"..

-وقال ابن مسـعود رضى الله عنه بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
"من قرأ سـورة الفتح فى أول ليلة من رمضـان فى صـلاة التطـوع (التـراويــح) حفظـه الله تعالى ذلك العام ومن الله عليه بالعون"..

-وفى رواية أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما: "فى أول ليلـة من رمضـان يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وسورة ﴿إنا فتحنا لـك فتحـا مبينـا﴾ ثـم يسـلم ويقرأ سورة ﴿إنا أنزلناه فى لىلة القدر﴾ (عشر مرات) ويصلى على النبى (عشـر مرات).
-وعن بعض المشـايخ: "تقرأ سورة الفتـح لنيل كل مطلوب ولدفع كل مرهوب (إحـدى وعشـرين مـرة) أو (إحـدى وأربعـين مـرة) فـى ثلاثـة أيـام أو خمسـة أيـام أو سـبعة أيــام متواليات..

وإن قرئت لضعيف قوى، أو ذليل عـز، أو مغلـوب نصـر، أو معسـر يسـر الله امـوره، أو مدين قضى الله دينه، أو مسجون خرج من سجنه إن كان مظلوما.."

سـورة الواقعـة

-أخرج أبو عبيده والحرث وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقى عـن ابـن مسـعود رضـى الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"من قرأ سورة الواقعة كل ليلـة لم تصبه فاقـة أبـدا، وسـورة الواقعـة هـى سـورة الغنى فاقرءوها وعلموها أولادكم."

*والمراد أن يرزق الله الأولاد قناعة أو قوتا يكون لهم عدة علـى عبـادة الله تعـالى وقـوة على تحصيل العلم النافع..

-وأخرج الفردوس عن فاطمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"قارئ سورة ﴿الحديـد﴾ و﴿إذا وقعت الواقعـة﴾ و﴿الرحمـن﴾ يدعـى فـى ملكـوت السموات والأرض ساكن الفردوس" .. كذا فى الجامع الصغير

*وقال بعض العلماء: "من قرأها إحدى وأربعين مرة فـى مجلس واحـد قضيـت حاجته خصوصا فى طلب الرزق" .. كذا فى خواص القرآن

-عن جابر رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لقد قرأتها، يعنى سورة ﴿الرحمن﴾، على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله ﴿فبأى آلآء ربكما تكذبان﴾، قالوا: ولا شئ من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد" رواه الترمذى

سـورة الحديـد والحشـر

-سئل الإمام على رضى الله عنه عن أحسن ما خصه به النبى صلى الله عليه من الدعـاء، فقال: "ماظننت أن أحـدا يسـألنى عـن هـذا، ثـم قـال: إذا أردت أن تسـأل الله حاجـة، فتصدق بمـا تستطيع، ثـم اقرأ سـت آيـات مـن أول سـورة الحديـد: ﴿سـبح لله مـا فـى السموات الأرض﴾

إلىقوله تعالى ....﴿وهو عليم بذات الصدور﴾، وآخر سورة الحشر: ﴿هـو الله الـذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة..﴾ إلى آخر السورة.. ثم تقول:

"اللهم ياجامع الشتات، ويامخرج النبات، ويامحيى العظـام الرفـات، ويـامجيب الدعـوات، وياقـاضى الحاجـات، ويـامفرج الكربـات، وياسـامع الأصـوات مـن فـوق سـبع سمـوات، ويامالك حوائج المخلوقات، ويامن ملأ نورك الأرض والسموات، ويا من أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا، وياعالما بما مضى وماهو آت، أسألك اللهـم بقدرتـك علـى كل شئ، واستغنائك عن جميع خلقـك، وبحمـدك ومجـدك إلـه كـل شـئ أن تجـود علـىَّ بقضـاء حاجتى إنك على كل شئ قدير.. ثم تطلب حاجتك.. (تقرأ ذلـك كلـه وتكـرره فى ثلاث ليل أو سبعا) يحصل المطلوب إن شاء الله [1]..

سـورة الحشـر

-عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليل أو نهار فمات فى ذلك اليـوم أو الليلـة فقـد ضمـن الله له الجنة"

أخرجه البيهقى

-أخرج الإمام البغوى عن معقل بن يسار رضى الله عنه عن رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم قال:

"من قال حين يصبح ثلاث مرات (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشـهادة﴾.. إلى آخـر السورة، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه". وفى روايـة أخـرى: "يحرسـونه حتـى يمسى، فإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة"..

---

(١)يفضل أن تفعل ذلك بعد أن تصلى ركعتـين وإخـلاص نيـة وحمـد لله تعـالى واستغفار وصـلاة علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ســورة المُلْك

-عن ابن عباس رضى الله عنهما أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهـو لا يشعر أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقـال يارسـول الله، ضربت خباء لى على قبر وأنا لا أعلم أنه قبر، فإذا إنسـان يقـرأ سـورة الملـك، فقـال عليه الصلاة والسلام: هى المانعة أى مـن عـذاب الله تعـالى، تنجـى صاحبهـا مـن عـذاب القبر.. وكانوا يسمونها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية..

-عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

''إن سورة فى القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهى: ﴿تبارك الـذى بيـده الملك..﴾ رواه الأربعة والحاكم وقال صحيح الإسناد

-وأخرج النسائى من حديث عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم:

''من قرأ ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القـبر، وكنـا فـى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة(١)، وإنها فـى كتـاب الله عـز وجـل سورة من قرأ بها فى ليلة فقد أكثر وأطاب..''

-وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

''وددت أنها فى قلب كل مؤمن، يعنى ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾'' رواه الحاكم والترمذى

-ولذلك ورد أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قـال لرجـل: ''ألا أحدثـك بحديـث تفرح به؟ قال: بلى، قال: اقرأ ﴿تبـارك الـذى بيـده الملـك..﴾ واحفظهـا وعلمهـا أهلـك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية المجادلـة تجـادل أو تخـاصم يـوم القيامـة عند ربها لقارئها، وتطلب إلى ربها أن تنجيه من عذاب النار إذا كانت فى جوفه، وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبـر''.. ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينام كـل ليلة حتى يقرأ بسـورة ﴿آلـــم السجدة﴾، وسـورة ﴿تبارك الذى بيده الملك..﴾، وذلك فى الركعتين اللتين بعد صلاة العشـاء.

---

(١) المانعة: تمنع صاحبها من عذاب القبر

-وذكر الإمام القرطبى فى كتابه التذكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ سورة المُلْك كل ليلة جاءت تجادل عنه فى القبر وأن من قرأها كل ليلة لم تضره الفتّانات عند الممات.."

الفتّانات: يعنى التى تفتن المؤمن عند خروج روحه، ليكفر بالله ويؤمن بإبليس وجنوده..

-وقال أهل الولاية: "من قرأ قول الله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ عدد (٢٠١٢) ألفين واثنتى عشرة مرة، فى مرة واحدة أو على مرات متقاربات فإن الله يشفى بها المريض، ويدفع بها البلاء والمصائب والفقر، وينال بها المناصب والجاه، إن كان متقيا لله عاملا على طاعته ومرضاته.."

(وتكرار هذا العدد مرغوب فيه حتى تنال ماتريد إن شاء الله)

سورة والضحى

-جاء فى تفسير الشيخ العلامة أبو السعود العمادى على حاشية الشيخ فخر الدين الرازى فى تفسير القرآن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة والضحى، جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل"

-وعن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة ﴿والضحى﴾ (سبع مرات) عند طلوع الشمس وعند غروبها، لم يضع له ضائع، ولا يهرب له هارب، ولا يسرق له سارق من بيته، ولا يقع فى بيته فساد، ولا يدخل بيته وباء، وكل سارق يقرب من بيته ليلا، يجد على بيته سورا من حديد ولا يجد لمنزله سبيلا" (كذا فى خواص القرآن)

-وقال الإمام الغزالى رضى الله عنه: "روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا إذا ضلت لهم ضالة، أو ضاع لهم ضائع، أو أبق لهم آبق، كانوا يصلون يوم الجمعة أو أى يوم صلاة الضحى ثمان ركعات، فإذا فرغوا يقرأون سورة ﴿والضحى﴾ (سبع مرات) ثم يقولون:

"ياجامع العجائب، ياراد كل غائب، ياجامع الشتات، يامن بيده مقاليد الأمور، اجمع على ضائعي، أو اجمع ضائع فلان ابن فلان عليه، لاجامع له إلا انت.. " (ثلاث مرات أو سبعا)"

كذا في الدر العظيم

تنبيه: لامانع من تكرار هذه الصلاة وهذا الدعاء أكثر من مرة، مع إخراج صدقة..

فضل سورة ألم نشرح

-جاء في خزينة الأسرار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ سورة ﴿ألم نشرح﴾ فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني"

-وقال بعض الصالحين:" من قرأها دبر كل صلاة (تسع مرات) فك الله عسره وييسر رزقه، وفرج همه ورزقه من حيث لا يحتسب"..

-وقال بعضهم:" الإكثار من تلاوتها تشرح الصدر وتذهب العسر، وتصلح لمن غلب عليه الكسل في الطاعات وضيق المعاش"..

-ومن خواصها: من تعسر عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة، فليتوضأ ويصلي ركعتين بما تيسر من القرآن بعد الفاتحة، ثم يجلس مستقبل القبلة متوجها إلى الله تعالى بصدق، ويقرؤها عدد حروفها (١٥٢) مرة، ثم يسأل الله حاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى مع إخراج صدقة ..

(ولا مانع من تكرار هذا العدد في جلسة أخرى)

سورة القدر

-قال عليه الصلاة والسلام: "من قرأ سورة القدر (مائة مرة) أدخل الله تعالى اسمه الأعظم في قلبه ويدعو ذلك العبد بما شاء تقضى حوائجه، ومن قرأها يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه.."

(من الأفضل تكرار هذا العدد ليحدث المطلوب)

-وقال أحد العارفين بالله لأحد مريديه: "ألا أعلمك اسم الله الأعظم؟ قال: بلى، قال: اقرأ سورة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وسورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وآية الكرسي وسورة ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ واجعل ذلك وردا لك كل يوم، ثم استقبل القبلة وادع بما أحببت فإن الله يستجيب دعائك.."

سورة الفيـــل

-من خواصها أن من قرأها (سبع مرات) فى وجه عدوه نصره الله تعالى عليه، ومن قرأها وهو فى الحرب قوى قلبه وغلب خصمه، ومن قرأها لإهلاك الظالم، رأى فيه مايُسُّره.. (وعددها ٤١ مرة)

-ونقل الإمام الغزالى عن بعض الصالحين وأرباب العلوم أن من قرأ فى ركعتى الفجر ﴿ألم نشرح﴾ فى الركعة الأولى، وسورة ﴿ألم تر كيف فعل ربك﴾ فى الثانية، قصرت عنه يد كل عدو و لم يجعل له إليه سبيلا..

سورة ألهاكم التكاثر

-عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

''ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾ رواه الحاكم عن عقبة بن محمد عن نافع عن ابن عمر

فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ و ﴿قل ياأيها الكافرون﴾ و ﴿إذا زلزلت﴾ و ﴿الكوثر﴾

-عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: ''هل تزوجت يافلان؟ قال: لا والله يارسول الله، ولا عندى ما أتزوج به، قال: أليس معك ﴿قل هو الله أحد﴾؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قل ياأيها الكافرون﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن تزوج تزوج.. رواه الترمذى عن سلمة بن وردان عن أنس

-وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

''قل هو الله أحد: تعدل ثلث القرآن، وقل ياأيها الكافرون: تعدل ربع القرآن''، وكان يقرؤهما فى ركعتى الفجر، وقال: ''هاتان الركعتان فيهما رغب الدر''

رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير

والمعنى: أن هاتين الركعتين يرغب الإنسان فيهما كما يرغب فى جمع الدر ويود منه شيئا كثيرا..

-فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا: " إذا زلزلت تعدل نصف القرآن"

رواه الترمذى والحاكم من حديث يمان بن المغيرة

-فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: "﴿قل ياأيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن"

رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد

-فى حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن" .

رواه الترمذى وقال حديث حسن

-عن أنس رضى الله عنه، أن رسول صلى الله عليه وسلم، قال: "أُنزلت علىّ آنفا سورة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنّا أعطيناك الكوثر فصلِّ لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾، أتدرون ما الكوثر ؟ فإنه نهر وعدنيه ربىّ، عليه خير كثير، هو حوضى، ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته كعدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول ربِّ إنه من أمتى، فيقول: ماتدرى ما أحدث بعدك.."

رواه مسلم وأبو داود والنسائى

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من داوم على قراءة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ سقاه الله تعالى من أنهار الجنة"

-وقال الإمام التميمى رضى الله عنه: "من داوم على قراءتها رق قلبه وخشع لربه وثبت على الطاعة، وإذا قرئت عند نزول المطر مائة مرة ودعا العبد بما يحب من أمر الدنيا والآخرة يستجاب له دعاؤه، وهو من المجربات.."

-ويقول أحد العارفين: "قراءة سورة الكوثر لكل مطلوب ألف مرة، خصوصا فى جلب الأرزاق والمال وطلب الجاه وقضاء الحوائج وغيرها لفتح الخيرات وظهور التجليات.. كما أن من قرأها ألف مرة ليلة الجمعة، فإنه يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه.. إن لم يكن فى الجمعة الأولى ففى التانية أو الثالثة إن شاء الله مع كثرة الإستغفار والصدقة" ..

فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ و (المعوذتين)

-قال العلماء إن هذه السورة الشريفة ﴿قل هو الله أحد﴾ لها أسماء كثيرة، نذكر بعضا منها:

سورة الإخلاص لأن من قرأها تخلص من النار

وسورة المعرفة لأن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأها فقال هدا عبد عرف ربه

وسورة الأساس لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال:" أسست السموات السبع والأرضون السبع على ﴿قل هو الله أحد﴾

وسورة الولاية لأن من لازم قراءتها صار وليا لله..

-وروى الديلمى عن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: "استكثروا من السورتين يبلغكم الله بهما فى الآخرة، المعُوَّذتين، ينوران القبر، ويطردان الشيطان، ويزيدان فى الحسنات والدرجات، ويثقلان الميزان، ويُدلّان صاحبهما إلى الجنة"

قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

-عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"أيعجر أحدكم أن يقرأ فى ليلة ثلث القرآن. قالوا: وكلف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن". وفى رواية قال: "إن الله عز وجل جزأ القرآن بثلاثة أجزاء، فجعل: ﴿قل هو الله أحد﴾ جزءا من أجزاء القرآن." رواه مسلم

-عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ يرددها، فلما أصبح داء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها (أى يعدها قليلة بالنسبة لما قرأ)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن[1]. رواه ملك والبحارى وأبو داود والنسائى.

---

(١)سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأن ثلثه أحكام، وثلثه الآحر وعد ووعيد، والثالث: أسماء وصفات.. وهى تجمع ذلك كله..

-عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: "بينما أنا أسير مع النبى صلى الله عليه وسلم إذا غشيتنا ريح مظلمة شديدة، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ بـ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وقال: ياعقبة تعوذ بهما، و لم تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة الفلق وسورة الناس فإن استطعت ألا يفوتك فى صلاتك فافعل.."

-وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة (الإخلاص) و(المعوذتين) وينفث على يديه ويمسح بهما على جسده عند النوم إذا كان وجعا ويأمر بذلك..

-أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: "ألا أخبرك بأفضل ماتعوذ المتعوذون به، قال: بلى، قال: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾" (١).

-وأخرج أبو داود والترمذى عن عبد الله بن حبيب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"اقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ و(المعوذتين) حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ..

-وأخرج الإمام أحمد رضى الله عنه برجال ثقات من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال:

"لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى: يا عقبة بن عامر ألا أعلمك سورا ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلهن: لا تأتى ليلة إلا قرأت بهن: ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾

-وأخرج ابن السنى من حديث عائشة رضى الله عنها والتى روته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ (سبع مرات) أعاذه الله تعالى من السوء إلى الجمعة الأخرى.."

---

(١)يقول بعض المشايخ الفضلاء: من كان مريضا أو مسحورا، فليقرأ المعوذتين بنفسه، وذلك أفضل، أو بأمر غيره ليقرأ عليه السورتين (أربعين مرة)، فإن الله يشفيه بإذن الله، ويداوم عليها ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة أيام مع إخراج صدقة.

-وعن سهل بن سعد رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم، وشكا إله الفقر، فقال: "إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد، وإن لم يكن فيه أحد فسلم على نفسك (أى تقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، ثم سلم على النبى صلى الله عليه وسلم، واقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ وداوم على ذلك، ففعل الرجل، فزاد الله عليه رزقه، حتى أفاض على جيرانه.."

-وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء، وزوج من الحور العين كم شاء: من أدى دينا خفيا[1]، وعفا عن قاتله، **وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة (عشر مرات) ﴿قل هو الله أحد﴾**[2]، فقال أبو بكر رضى الله عنه: أو إحداهن يارسول الله؟ فقال أو إحداهن".. رواه الطبرانى فى الأوسط، ورواه أيضا من حديث أم سلمة رضى الله عنها

-وعن واثلة بن الأسقع رضى الله عليه، وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من صلى الصبح ثم قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (عشر مرات) لم يلحقه فى ذلك اليوم ذنب.."

-وعن النبى صلى الله عليه وسلم: "من مر على المقابر وقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ (إحدى عشرة مرة)، ثم وهب ثوابها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات.."
-روى أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عشية عرفة (ألف مرة) أعطاه الله عز وجل ما سأل.."

---

(١)أى سدّد دينا كان على أخ له أو قريب، لم يستطع أداءه، فأدى عنه ذلك الدين سراً..
(٢)إذا قرأ المسلم هذا العدد بعد كل صلاة مكتوبة كما ذكر فى الحديث، فمعنى هذا أنه يقرأ السورة كل يوم خمسين مرة.. وقد جاء فى فضل قراءة هذا العدد كل يوم، ما رواه الطبرانى عن جابر بن عبد الله رضى الل عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ كل يوم خمسين مرة، نودى يوم القيامة من قبره، قم يا مادح الله فادخل الجنة"..

-وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أراد أن يؤدى دينه ويشترى نفسه من النار، فليعط اثنى عشر ألف درهم. فقيل: يارسول الله، ومن لم يكن له الدراهم، فكيف ذاك ؟ قال: فليقرأ اثنى عشر ألف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾"..[1] كذا فى تفسير الحنفى

*تنبيه: ليس ذلك فى جلسة واحدة، إنما على بضعة أيام أوأسابيع .. حسب قدرتك وطاقتك..

-وحكى أن والى البصرة رأى فى المنام سيدنا ثابت البنانى رحمه الله تعالى وهو من التابعين الأجلاء كأنه يطير مع الملائكة فى الجنة، فقال له بأى شئ نلت هذه المنزلة الشريفة، فقال: "بالصبر والشكر وكثرة قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾"..

-قال بعض العلماء: أن من كانت له إلى الله حاجة، فليقرأ بين المغرب والعشاء سورة الإخلاص (ألف مرة) فى جلسة واحدة، ثم يسأل الله تعالى مطلوبه، فإنه يُستجاب له إن شاء الله تعالى..

تنبيه: إذا لم تستطع بين المغرب والعشاء، فليكن بعد العشاء أو فى وقت السَّحر..

---

(١) كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة ألف مرة،، فقد اشترى بها نفسه من الله تعالى، ونادى منادٍ من قبل الله تعالى فى سمواته وأرضه، ألا إن فلانا عتيق الله من النار، فمن له قبله تباعة، فليأخذها من الله عز وجل" رواه البزار

فضــــل قــراءة القرآن

أخى الكريم: لاينبغى أن يكون الورد القرآبى هو فقط كل نصيبـك مـن القـرآن، إنمـا جعل ذلك ليجمعك بالقرآن كل يوم.. ومن هنا فإن النبى صلى الله عليـه وسـلم لايحب للمسلم أن يترك قراءة القرآن كل يوم ولو حزبا أو حزبين على الأقل حتـى لايكتـب عنـد الله من الغافلين.. فقراءة المأثورات من الأدعية لاتغنى عن قراءة القرآن .. (١)

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قرأ بمائة آية كتب من القـانتين ومـن قـرأ بمائتى آية كتب من العابدين" (٢) وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "مـن قـرأ القـرآن فـى سـبيل الله كتـب يـوم القيامـة مـع النبيـين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" (٣)

وليس هناك من طاعة يسيرة على المسلم ولها أجر كبير كقراءة القرآن، ففى الحديـث: "أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظراً" (٤)، فقارئ القرآن، إن كـان ملتزمـا بآدابـه، يـأخذ علـى كل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وهذا مارواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشـر أمثالها، لا أقول آلـمـ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (٥)، وعن أنس

---

(١)ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه "الطبقات الكبرى"، أن سيدى الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلى رضى الله عنه، كان كثيرا الرؤى للنبى صلى الله عليه وسلم فى المنام، فجاءه النبى يومـا معاتبـا ."يا محمد.. ماهذه الغفلة، وما هذه الرقدة، وما هذا الإعراض!!. مالك تركت تلاوة القرآن ؟ وما هـذه الوريـدات (تصغير ورد) فى جانب تلاوة القرآن. لا تفعل ذلك أصلا، بل اتل كل يوم ولو حزبين لا أقل من ذلك"، أى اقـرأ كل يوم على الأقل ولو جزءا واحدا من القرآن، فما ترك الشيخ تلاوة القرآن من ذلك اليوم..

(٢)رواه الطبرانى فى الأوسط — (٣)رواه الإمام أحمد فى مسنده

(٤)رواه الترمذى — (٥)رواه الترمذى، وقال حديث حسن صحيح

رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار، يحل حلاله ويحرم حرامه، حرم الله لحمه ودمه على النار، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له (١)

وقارئ القرآن يأخذ حظه من النبوة، فكلما قرأ واستزداد منه (٢)، كلما أعطاه الله قبسا من نور النبوة، وأشرق له قلبه وفؤاده، يرقى ويقرب من الله عز وجل إلى درجة لاينالها مثل قارئ القرآن.. عن الحسن البصرى رضى الله عنه، قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم:

من أخذ ثلث القرآن فقد أخذ ثلث النبوة

ومن أخذ نصف القرآن فقد أخذ نصف النبوة

ومن أخذ ثلثيه فقد أخذ ثلثي النبوة

ومن أخذ القرآن كله فقد أخذ النبوة كلها غير أنه لايوحى إليه (٣)

كما أن حامل القرآن العامل به، القائم به آناء الليل والنهار، يحفظ الله عليه جسده بعد موته، فلا يبلى ولا تأكله الأرض. روى الديلمى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **إذا** مات حامل القرآن أوحى الله تعالى إلى الأرض أن لا تأكلى لحمه قالت: إلهى كيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه..

ولا ينبغى لمسلم أن يهجر القرآن، حتى لا يتعلق به القرآن يوم القيامة يطلب من ربه أن يقضى بينه وبين صاحبه، عن معاوية رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة هم الغرباء فى الدنيا :

القرآن فى جوف الظالم، ورجل صالح فى قوم سوء، **والمصحف فى بيت لايُقرأ فيه ..**

وأخرج مسلم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١)الطبرانى فى الصغير

(٢)أى فكلما انتهى المسلم من ختم القرآن مرة، عليه أن يبدأ ختمة جديدة، ففى ذلك اتباع لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، حيث يقول فى حديثه الشريف: أفضل الأعمال الحال المرتحل، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، حتى يبلغ آخره، ومن آخره حتى يبلغ أوله كلما ارتحل ..رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما

(٣)تفسير القرطبى

اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه وأخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:
نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن.

كما أن قراءة قدر معين من آيات القرآن كل ليلة، فإن الله يحفظه وأهله من كل سوء وضر حتى يصبح.. روى الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ ثلاثين آية فى ليلة، لم يضره تلك الليلة سبع ضار ولا لص طارق، وهو فى أهله وماله حتى يصبح .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
ثلاثة يحبهم الله عز وجل: رجلٌ قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجلٌ تصدق صدقة بيمينه يخفيها من شماله، ورجلٌ كان فى سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو [1]

وأفضل قراءة للقرآن ماكانت من المصحف.. فعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: فضل من يقرأ القرآن نظرا على من يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة .. وعن ابن النجار رضى الله عنه، عن أنس رضى الله عنه، قال النبى صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن نظرا متع ببصره.. وروى الإمام القرطبى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه: اعطوا العين حظها من العبادة. قيل وما حظها من العبادة يا رسول الله. قال: النظر فى المصحف

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:
من قرأ مائتى آية فى كل يوم نظرا شُفِّعَ فى سبع قبور حول قبره، وخفف الله العذاب عن والديه وإن كانا مشركين [2]..

كما أن القرآن شفاء للمسلم من الأمراض الظاهرة والباطنة، إن كان من يحل حلاله ويحرم حرامه ويتأدب بآدابه، فقد أخرج ابن ماجه عن الإمام على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: خير الدواء القرآن ..

---

(١)رواه الترمذى

(٢)ابن أبى داود فى المصاحف، والديلمى عن أبى الدرداء رضى الله عنهم

فمن استشفى بالقرآن شفاه الله، ومن استغنى بالقرآن أغناه الله.. وصدق ربنا إذ يقول: ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾، ويقول تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ (١)..ويقول النبى صلى الله عليه وسلم: "خذ من القرآن ماشئت لما شئت.."

وأخرج ابن ماجه وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: "عليكم بالشفائين القرآن والعسل"

وأخرج البيهقى عن وائل بن الأسقع أن رجلا شكا إلى النبى صلى الله عليه وسلم وجع حلقه، فقال عليك بقراءة القرآن، ثم قال: "القرآن هو الشفاء"

وأخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنى اشتكى صدرى، قال: اقرأ القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وشفاء لما فى الصدور﴾..

وهكذا يتبين مما قدمنا أن المسلم لابد له من قراءة القرآن، والمحافظة ولو على جزء يسير منه، حتى لايكتب عند الله من الغافلين، وياحبذا لو رتب لنفسه كل اسبوع أو كل شهر مقدارا معينا من آيات القرآن يحفظها، لأنه ثبت أن الحافظ للقرآن أرفع مكانة وأعلى درجة من قارئ القرآن.. فكلما حفظ المسلم آية من القرآن كلما رفعه الله بها درجة فى الجنة، وبقدر حفظه لأى من القرآن بقدر مايرفعه الله إلى الدرجات الأعلى.. ولسوف يحاسب العبد عما ضيع من حفظ القرآن، إن كان قادراً على حفظه، لأن كل جارحة من جوارح الإنسان لابد من أداء حق الله فيها، فإن أدَّى حقها وشكرها، فقد أمن من العقاب، ويحفظه الله من كل سوء.. قال بعض السلف رضوان الله عليهم: "إذا حضر الرجل الموت، يقال للملك: شم رأسه، فيقول: أجد فى رأسه القرآن(٢) ، فيقال: شم قلبه، فيقول: أجد فى قلبه الصيام، فيقال: شم قدميه، فيقول: أجد فى قدميه القيام بالليل، فيقول الملك: حفظ نفسه فحفظه الله.."

---

(١)قال القرطبى رحمه الله: "تجوز الرقية بكلام الله تعالى وبأسمائه، فإن كان مأثورا استحب".. وقال الربيع: سألت الإمام الشافعى عن الرقية، فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وبما عرف من ذكر الله..

(٢)قال صاحب الحلية فى الجزء الثالث من كتابه "حلية الأولياء":"حدثنا يحيى بن معين، قال ثنا سفيان، قال: سمعت داود بن أبى هند يقول: أصابنى الطاعون فى زمن الطاعون، فأغمى علَّى، فكأن اثنين أتيانى، فقال أحدهما لصاحبه:=

فضـــل من يُحَـفِّظْ ولـده القــرآن

وإذا كان قد فاتك حفظ القرآن، أو لا تستطيع أن تستزيد منه، فلا أقل من أن تجتهـد لتحفظ أبناءك القرآن، حتى لا تحرم ثواب القرآن، فإذا ما أنصبت نفسك مـع ابـنـك حتـى يحفظه، فهنيئا لك بأجر عظيم فى الآخرة.. فكلما قرأ ابنك آية، فإن الله يرفعك بها درجة فى الجنة، حتى ينتهى إلى آخر مامعه من القرآن.. ولنقرأ معا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه:

"من علم ابنه القرآن نظراً (يعنى من المصحف) غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً بعثه الله تعالى يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويُقـال لابنـه: اقـرأ، فكلمـا قـرأ آية، رفع الله عز وجل للأب درجة، حتى ينتهى إلى آخر ما معه من القرآن" .. (١)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

من علَّم ولده القرآن قلَّده الله تعالى بقلادة من نور، يتعجب منه الأولون والآخرون ..

وعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" من قرأ القرآن، وتعلم وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجا من نور ضوؤه مثل ضـوء الشمس ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا ؟ فيقال: بـأخذ ولدكما القرآن.." (٢)

= أى شئ تجد؟ قال: أجد به تسبيحا وتكبيرا، قال: وماذا وجدت فى قدميه؟ قـال: خَطْـوًا إلى المساجد وقيام الليل، وماذا وجدت فى قلبه؟ قال: صياما كثيرا، وماذا وجـدت فـى رأسـه؟ قـال: أجـد شيئا مـن القرآن.. ثم قاما عنى، فبرأت، وعلمت أننـى مُؤاخـذ لعـدم حفظـى القـرآن، فـأقبلت علـى حفظـه، رغـم تقدمى فى السن، حتى حفظته، ولم أكن أحفظه قبل ذلك.. ذكر صاحب الحليـة أن التـابعى الجليـل داود بن أبى هند، والذى كان يطلق عليه داود القارئ، وكان يفتى فى زمن الإمام الحسن البصـرى رضـى الله عنه..

(١)رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس رضى الله عنه. وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفظ القرآن قبل أن يحتلم فقد أوتى الحكم صبيا"... رواه البيهقى فى شعب الإيمان..

(٢)رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم

وإذا ما بدأت يا أخي في حفظ القرآن، بنية وعزيمة صادقة، ثم جاءك الموت وأنت تحفظه، فإن الله لا يُضيِّعُ عليك صدق نيتك في حفظه، وقد يرسل لك ملكا يحفظك القرآن وأنت في قبرك، وتلقى الله وقد حفظته..

روى البخارى رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره (يعنى يحفظه)، أتاه ملك يعلمه في قبره ويلقى الله وقد استظهره ..

وقد حرص السلف الصالح رضوان الله عليهم فى حفظ القرآن، لهم ولأبنائهم، لأنهم لم يجدوا شيئا أفضل من القرآن، يتقربون به إلى مولاهم.. ففى الحديث: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (١)

قال خباب بن الأرت رضى الله عنه لرجل:
"تقرب إلى الله ماأستطعت، **واعلم أنك لن تتقرب إليه بشئ هو أحب إليه من كلامه**"
وقد كان العارفون بالله، يتنعمون بالقرآن، فى صلاتهم وفى غيرها، ويجدون أن الذى لا يحفظ القرآن، يفوته نعيم لا يعادله نعيم..

قال بعض العارفين لمريد: أتحفظ القرآن ؟ قال: لا، قال: واغوثاه، يالله لمريد لا يحفظ القرآن، فبم يتنعم ؟ فبم يترنم ؟ فبم يناجى ربه تعالى ؟

اللهم يسر حفظ القرآن لنا ولأبنائنا وأبناء المسلمين، واجعلنا ننعم به فى الدنيا والآخرة..

آميـــن..

---

(١)رواه البخارى ومسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه..

خـــاتمة الكتـــــاب

لعلك أدركت ياأخى بعدما طالعت أبوات الكتاب، ماللذكر من قيمة فى حيـاة المسـلم.. وأن المسلم الذاكر له خصوصية عند الله.. ولولا أن الله يحبه لما ألهمـه ذكـره.. فتلـك علامـة على أن الذاكر لله والمداوم على ذكره من خاصة الله.. ورد أن سـيدنا موسـى عليـه السـلام قال: "يارب: وددت أنى أعلم من تحب مـن عبـادك فأحبـه، فقـال: **إذا رأيت عبـدى يكثر ذكرى، فأنا أذنت له فى ذلك وأنا أحبه** وإذا رأيت عبدى لا يذكرنى فأنا حجبته عن ذلـك وأنا أبغضه" (١)

والله لا يحجب عبداً عن ذكره إلا إذا كان مصّراً على المعصية، شارداً عنه، غـير صـادق فـى اللجوء إليه.. أما إذا وجد ربنا من عبده الصدق فى العودة إليه، فإن الله يهرول إليه كما جاء فى الحديث القدسى.. وليس أفضل عند الله عز وجل من عبد كان عاصيا، لاهيا، عابثـا، ثـم ندم على ما فرط فى حق نفسه وماضاع من عمره، وأسرع بالعودة إلى ربـه تائبـا مسـتغفرا.. والله يفرح بالعائد إليه، المنيب الخاشع، يأخذ بيده، ويقربه إليه..

والنبى صلى الله عليه وسلم يبين ذلك فى حديثه الشريف، فيقول:

"المؤمن واهٍ(٢) راقع (٣)، فسعيدٌ من هلك على رقعه" (٤)..ومعنى ذلـك أن المؤمـن مذنـب غـير معصوم من الأخطاء، ولكن من سعادته أن يرزقه الله الإنابة وسرعة العودة إلى بـاب مـولاه.. فالسعيد حقا هو الذى يلقى الله وهو على توبة صادقة، مجتهدا ألا يعود إلى معصية أو ذنب.. ولعلك أدركت أيضا أن الذكر يشتمل على نوافل شتى.. فإذا قمت بها كنت من خيار عبـاد الله وأحبائه وأصفيائه، وكثرة النوافل بعد الفرائض هى التى تمنحك مزيدا من القرب والاصطفاء.. فإذا ما جمعت بين شتى النوافل والتى ذكرناها فى صفحات الكتاب، وبين كثرة

---

(١)أخرجه الدارقطنى فى الإفراد وابن عساكر عن عمر رضى الله عنه

(٢)واهٍ أى مذنب   (٣)راقع يعنى تائب مستغفر

(٤)رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه..

الذكر، فقد جمعت بين الحسنيين.. وما رغَّب النبى صلى الله عليه وسلم فى كثرة الذكر، وما جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التى تبين فضل الذكر والذاكرين، إلا لأنه أيسر العبادات على المسلم، ويستطيع أى مسلم أن يغتنم كل لحظة ووقت فى الارتقاء وتقوية الصلة بربه عن طريق الذكر.. فهو لا يحتاج منك إلا أن تحرك شفتيك بذكره وتسبيحه وتمجيده وتعظيمه وكذا بمختلف الأذكار، بحضور قلب وصدق نية.. ولأنه أرقى أنواع الذكر ويوصلك سريعا إلى ربك.. وعندما نرى ثواب ذكرك فى الآخرة، سوف تقول ياليتنى أكثرت من ذكره والانشغال به.. وقد جاء فى معنى الحديث أن المسلم يتحسر كثيرا يوم القيامة على وقت فاته دون أن يذكر الله فيه، وذلك لما يراه من عظيم المنازل ورفيع الدرجات التى أعدها الله للذاكرين..

ولنذكر بعضا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى تبين كم للذكر من ثواب، وكم لكلمات قليلة، لا تحتاج إلى مجهود أو نصب فى قراءتها، من عظيم الثواب وجزيل الأجر.. فإذا ما جمعت بين ذكر اللسان وحضور القلب، واستحضار لجلال من تذكر، فقد غنمت الأجر وحزت على النصيب الأوفى..

عن جابر رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

"من قال **سبحان الله العظيم وبحمده** غُرست له نخلة فى الجنة" (١)

وفى رواية النسائى: " غُرست له شجرة فى الجنة"

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من قال **سبحان الله وبحمده** غُرست له نخلة فى الجنة" (٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مرَّ به وهو يغرس غراسا فقال يا أبا هريرة، مالذى تغرس ؟ قلت: غراسا. قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا ؟ **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**، تُغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة" (٣)

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه، قال: تعمل الملائكة لبنى آدم فى الجنان يغرسون له الغراس، ويبنون له القصور، فربما توقفوا، فيقال لهم: لم توقفتم ؟ فيقولون: **حتى تأتينا**

---

(١)رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه (٢)رواه البزار بإسناد جيد

(٣)رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد..

النفقات.. أى ما يبنون بـه مـن أدوات البنـاء وهـو الذكـر والتسـبيح والتهليـل وكـذا الأعمال الصالحة..

يقول أحد العارفين: أرض الجنة **قيعان** [1]، والأعمـال الصالحـة لهـا عمـران، بهـا تبنـى القصور، وتغرس أرض الجنان، فإذا تكامل الغراس والبنيان انتقل إليه السكان..

رأى بعض الصالحين المكثرين من الذكر فى منامه قائلا يقول له: قد أُمرنا بالفراغ مـن بناء دارك واسمها **دار السرور**.. فأبشر! وقـد أُمرنـا بتنجيدهـا وتزيينهـا والفـراغ منهـا إلى سبعة أيام. فلما كان بعد سبعة أيام مات، فرؤى فى المنام، فقال: أُدخلتُ دار السرور، فلا تسأل عما فيها، لم يُر مثل الكريم إذا حلَّ به مطيع..

رأى بعضهم كأنه أُدخل الجنة، وعُرض عليه منازله وأزواجه، فلما أراد أن يخرج، تعلق به أزواجه، وقالوا بالله حسِّن عملك، وأكثر من ذكرك، فكلمـا حسـنت عملـك، ازددنـا نحن حُسنا..

...

كم لله من ألطاف وحكمة فى إهباط سيدنا آدم إلى الأرض.. لولا نزولـه لما ظهـر جهاد المجـاهدين واجتهـاد العـابدين وتسـابق الطـائعين، ولا صعـدت زفـرات أنفـاس التائبين، ولا نزلت قطرات دموع المذنبين.. وكأن الله يقول لسـيدنا آدم: يـاآدم، إن كنت أُهْبِطتَ من دار القرب فإنى قريب أجيب دعوة الداعـى إذا دعـانى.. إن كـان حصل لك بالإخراج من الجنة كسر، فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى.. إن كـان فاتك فى السـماء سمـاع زجـل المسـبحين، فقـد تعوضـت فـى الأرض بسـماع أنـين المذنبين.. أنين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين. زجـل المسـبحين ربمـا يشـوبه الافتخار، وأنين المذنبين يزينه الانكسار.. ندم المذنبين أحب إلىَّ من عبادة العابدين..

---

(١)قيعان: أرض مستوية ليس فوقها شئ ..

إذا وقع عبدى فى ذنب أو معصية، ثم استغفرنى غفرت له، فمغفرتى أوسع من عقوبتى، ورحمتى تسبق غضبى.."

وفى الحديث: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم" (١)

فيا أخى: إذا لم تكن فى زيادة، فأنت فى نقصان، والأيام تمر والعمر ينقضى..

رأى بعض المتقدمين النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه، فقال: أوصنى يارسول الله فقال له: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون، ومن لم يتفقد الزيادة فى عمله فهو فى نقصان، ومن كان فى نقصان، فالموت خيرٌ له..!!

قال بعضهم: كان الصالحون من عباد الله يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس. يشير إلى أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير، ويستحيون من فقد ذلك، ويعدونه خسرانا..

أليس من الخسران أن لياليا .. تمر بلا نفع وتحسب من عمريا

قال رجل للصحابى الجليل أبى أمامة رضى الله عنه: رأيت فى المنام كأن الملائكة تصلى عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست، فقال أبو أمامة: وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ قول الله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا. وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ (٢)..

فالمؤمن القائم بشروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلا خيرا، ومن كان كذلك، فالحياة خير له من الموت.. وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم :

"اللهم اجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، والموت راحة لى من كل شر.."

قيل لبعض السلف: لقد طاب الموت، قال: لا تفعل! **لساعةٌ تعيش فيها تستغفر الله خيرٌ لك من موت الدهر**.. وقال عبيد بن عمير وهو من أجلاّء التابعين: تسبيحة بحمد الله فى صحيفة مؤمن يوم القيامة خيرٌ من أن تسير معه الجبال ذهبا..

---

(١)رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه

(٢)سورة الأحزاب آيات (٤١-٤٣)

ولهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم بالموت.. بكى سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه عند موته، وقال: إنما أبكى على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.. وبكى عبد الرحمن بن الأسود، وقال: واأسفاه على الصوم والصلاة ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.. وبكى يزيد الرقاشى عند موته وقال: أبكى على ما يفوتنى من قيام الليل وصيام النهار، ثم بكى وقال: من يصلى لك يا يزيد بعدك ؟ ومن يصوم ومن يتقرب لك بالأعمال الصالحة ؟ وبكى بعضهم، وقال: إنما أبكى على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلى المصلون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم.. ثم قال:

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى .:. وللناس أشجان ولى شجن وحدى

أحبكم مادمت حيا فإن أمت .:. فوا أسفى ممن يحبكم بعدى

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا: مامن ميت مات إلا ندم إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب (أى تاب).. فإن كان المحسن يندم على ترك الزيادة، فكيف يكون حال المسيء ؟!

رؤى بعض الموتى فى المنام، فقال: ماعندنا أكثر من الندامة ولا عندكم أكثر من الغفلة!

الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بيسبيحة أو تكبيرة أو تهليلة أو بركعة، ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون، قد حيل بينهم وبين العمل.. ورؤى بعضهم بعد موته، فقال: ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون!! والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها ..

رؤى الإمام الجنيد فى المنام، فقيل له: كيف حالك يا أبا القاسم ؟ فقال: طاحت الإشارات، وبادت العبارات، وما نفعنا إلا **تسبيحات وركعات كنّا نؤديها فى السحَر..**

يقول الإمام الصالح سفيان الثورى رحمه الله تعالى:

بلغنى أن لله ريحاً تهب وقت الأسحار تحمل الأذكار والإستغفار إلى الملك الجبار ..ورأى بعض السلف فى منامه خياماً ضربت على أرض الجنة، فسأل ما هى؟ فقيل: للمتهجدين بالقرآن ..

فكل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة.. والأعمال بالخواتيم فمن أحسن فيما بقى غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقى أُخِذ بما بقى وما مضى.. ورحم الله من قال

لكل شيءٍ إذا فارقته عوض ... وليس لله إن فارقته عوض

...

نَفَسُ عمر المؤمن هو رأس ماله، فيه ربحه وخسرانه، فمن أدرك قيمة الوقت، واغتنم كل نفس، فاز وربح.. ومن ضيعه فى البطالة والتقصير خسر وندم..

فما فات منه فى غير طاعة ربه، لاعوض له، إذ ما ذهب لا يرجع أبدا.. وما حصل منك من طاعات لا يفى بقدره.. إذ لو اشتريت ساعة منه تذكر الله فيها وتناجى فيها ربك، تنال بها ملكا كبيرا ونعيما مقيما..

ولأجل هذا المعنى اشتدت محافظة السلف رضوان الله عليهم على الأوقات وبذلوا مجهودهم فى إغتنام الساعات، ولم يقنعوا من أنفسهم إلا بالجد والتشمير، ولم يسمحوا لها فى الراحة والبطالة بقليل ولا بكثير .

شىء من وقت تقضيه مع ربك، تذكره وتستغفره وتتضرع إليه خير لك من ملء الأرض ذهبا.. فثواب الذكر لا يخضع لقانون العد والحساب، إنما يعطى صاحبه نعيما خالدا وحياة طيبة لا نفاد لها.

قال الإمام الجنيد رضى الله عنه: الوقت إذا فات لا يُستدرك، وليس شىء أعز من الوقت. وقال ابن عطاء الله السكندرى فى الحِكَم :

"ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل منك له لا قيمة له" (١) وقال الحسن البصرى رضى الله عنه: أدركت أقواما كانوا على أنفسهم وأوقاتهم أشد حفظا وأحرص منكم على دنانيركم ودراهمكم.. فكما لا يخرج أحدكم درهمه وديناره إلا فى ورود منفعة وإستجلاب فائدة، كذلك كانوا لا يضيعون نفسا من أنفاسهم فى غير طاعة أبدا..

وقيل إن ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، تبعث يوم القيامة خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة، فمن كان عَمَّرَها فى الدنيا بطاعة الله، رآها خزائن مغمورة بالنعيم.. ومن كان ضيعها، رآها خزائن فارغة خاوية، فيتحسر عليها ويندم.

---

(١) بمعنى أن العبد لا ينبغى أن يغتر بعبادته، لأن مهما قدم من الطاعات، وبذل أقصى جهده فى ذلك، فلن يفى بحق الله عليه.

إن المؤمن دائما على سفر ..من سفر قصير إلى سفر طويل مليء بالعقبات والأهوال، ولا يدرى أحدٌ ما الله صانع به، فإذا لم يكن المؤمن على أتمِّ الاستعداد لذلك السفر الطويل، فربما يعترضه أخطار لا يستطيع النجاة منها، فيهوى بسببها إلى بعد سحيق ..

ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر سيدنا أبا ذر رضى الله عنه من أهوال هذا السفر البعيد، فيقول له :

يا أبا ذر: لو أردت سفراً أتعد له عُدَّة ؟ قال: نعم، قال: فكيف سفر طريق القيامة ؟ ألا أُنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال بلى بأبى أنت وأمى، يا رسول الله، فقال: صلى الله عليه وسلم :

صُم يوما شديد الحر ليوم النشور .

وصلِّ ركعتين فى ظُلمة الليل لوحشة القبور .

وحج حجة لعظائم الأمور .

وتصدق بصدقة على مسكين .

أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها .. (١)

وجاء فى الخبر :

"إن أهل الجنة بينما هم فى نعيمهم، إذ سطع لهم نور من فوق، أضاءت منه منازلهم، كما تضيء الشمس لأهل الدنيا.. فينظرون إلى رجال من فوقهم أهل عليين، يرونهم كما يرى الكوكب الدرى فى أفق السماء، وقد فضلوا عليهم فى الأنوار والجمال والنعيم، كما فضل القمر على سائر النجوم.فينظرون إليهم يسيرون علىنُجُب تسرح بهم فى الهواء، يزورون ذا الجلال والإكرام. فينادى هؤلاء: يا إخواننا ما أنصفتمونا، كنا نصلى كما تصلون، ونصوم كما تصومون، فما هذا الذى فضلتم به علينا ؟

فإذا النداء من قبل الله عز وجل:

أنهم كانوا يجوعون (٢) حين تشبعون ،

---

(١)رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد

(٢)أى يكثرون الصوم تطوعا،.فيصبرون على الجوع والعطش، وخاصة فى أيام القيظ، تقربا إلى الله ورجاء ما عند الله من نعيم وطيبات.

ويعطشون حين تروون ،

ويعرون[1] حين تكتسون ،

ويذكرون حين تنسون ،

ويبكون حين تضحكون ،

ويقومون بالليل حين تنامون ،

ويخافون ربهم حين تأمنون ،

بذلك فضلوا عليكم اليوم، فذلك قوله تعالى:

"فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون" [2].

وليس الذكر مقصوراً على خاصية نفسك، إنما كلما اشتغلت به الجماعة وخاصة فى وقت الشدائد، كلما رفع الله البلاء واستجيب الدعاء.. فالمحن تصهر الأمم وتمحص الرجال.. وكلما قوى الإخلاص والعمل بتقوى الله، كلما كان ذلك أدعى للإجابة وإنزال المدد من السماء.. وكلما رفعت الأيدى الطاهرة بالدعاء، كلما قرب الفرج واقترب النصر ..

وأظهر مايكون الدعاء وذكر الله فى أوقات الحرب والشدة ومحاربة أعداء الله، لأنه إما أن يكون نصر أو هزيمة.. ولذلك طلب الله من عباده المؤمنين أن يعدوا للمعركة ما استطاعوا من قوة وإعداد، ثم يستعينوا به على عدوهم، وعندئذ يرسل الله لهم المدد ويمنحهم القوة ويفئ عليهم الثبات والعون والنصر، فجنود الله لا نهاية لعددهم ..

---

(١)أى لا يهتون بمظرهم الخارجى، بل يكتفون بما يستر أجسادهم.. فاهل الله يهتمون بجلاء قلوبهم وحفظها عن كل ما يكرهه الله.. فرب رجل خَلِق الثياب، لا يؤبه له، ذا جاه عظيم عند الله.. وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله: "رب أشعث أغبر ذى طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره" رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه.. فالعبرة إذن ليست بتحميل المظهر، إنما بتنوير القلب الذى هو مفتاح الوصول إلى الله، ومفتاح إجابة الدعاء..

(٢)شرح الحكم لابن عجيبة رضى الله عنهما.

ولنقرأ ذلك فى قول الله عز وجل :

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنت أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة ءالف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ءالف من الملائكة مسوّمين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (١)

ويقول الله تعالى فى حديث قدسي: إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه أى أن عبدى الحق هو الذى لا يشغله القتال عن ذكرى ودعائى والاستعانة بى، فمن استعان بى أعنته، ومن استنصرنى نصرته، ومن ذكرنى فى وقت الشدة أجبته.. ولذلك يُعَلِّمُ الله جنود الحق كيف يلقون عدوهم، ويحضهم على الشجاعة والصبر عند مواجهة الأعداء **فقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾** (٢)

فأمر الله المؤمنين بالثبات عند قتال العدو وبالصبر عند مبارزته، فلا يفروا، ولا ينكصوا، وأن يذكروا الله، ويستعينوا به، ويتوكلوا عليه، فبين النصر والهزيمة صبر ساعة ..

وما انتصر المسلمون فى معركة من المعارك ، وعلى مدى تاريخ الإسلام، وحتى وقتنا هذا، بقوة السلاح أو كثرة العدد، بل انتصروا بتقواهم وحسن صلتهم بربهم.. فتقوى الجند وقوة إيمانهم يصنع المعجزات.. وما كانت معركة بدر الكبرى إلا مثالا لوقوف الله مع الفئة القليلة المؤمنة.. فالمسلمون كانوا ثلث أعدائهم، وليس معهم عتاد أو سلاح، لأنهم ما كانوا يظنون أنهم سوف يلاقون عدوا.. ومع غلبة قريش فى عَددهم وعُددهم، انهزمت، ولاقت الذلة والهوان، فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يتوقف عن الدعاء ليلة المعركة، مستغيثا بالله، طالبا منه العون والمدد، فأرسل الله جندا من جنوده يقاتلون مع الفئة المستضعفة الموحدة، حتى هزم الله عدوهم، وقتل صناديد قريش وأسر أشرافهم.. وفى ذلك يقول الله ممتنا على نبيه وعلى المسلمين الذين حاربوا مع رسول الله فى بدر :

---

(١)ورة آل عمران آيات (١٢٣-١٢٦)

(٢)سورة الأنفال آية(٤٥)

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾ (١)

والنصر دائما مع جند الله وإن كانوا قلة، يقول تعالى:

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (٢)

فذكر الله عند القتال والاستعانة به، دليل على حسن إيمان المقاتلين وقوة يقينهم بربهم، وقد نصرنا الله فى معركة العاشر من رمضان بالإعداد الجيد والتدريب المتواصل وذكر "الله أكبر" بكل ما يحمل هذا الذكر من معنى.. فمنح الله الجند تأييدا من تأييده، وثباتا من ثباته، وقوة من قوته حتى جاء النصر الذى كان بكل المقاييس مفخرة النصف الثانى من القرن العشرين ..

ثم جاءت بعدها الملحمة الرائعة لمجاهدى أفغانستان، الذين هزموا الامبراطورية الثانية فى عصرنا الحديث (امبراطورية الاتحاد السوفيتى سابقا) وما كان ذلك إلا باعتمادهم على الله، وطهارة قلوبهم وأيديهم وتفانيهم فى جهادهم ومرضاة ربهم.. وقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (٣)

* * *

إن الأمة إذا أرادت أن تشق طريقها للنصر والعز والمجد، فلابد من عودة صادقة إلى الله.. وما أيسر ذلك على أصحاب الهمم والعزائم.. فالنصر دائما إنما يأتى بعد تقوى الله.. ولذلك يقال: إن الأمم الظالمة الباغية، لن يكتب لها نصر أو حياة طيبة أبدا، لأنها تعيش على معصية الله، وإنما ننتصر عليهم بتقوانا لله، وإن كنا أقل منهم سلاحا وعتادا..

فالأمة الذاكرة القانتة، إنما تستند فى حياتها ووجودها على ركن وثيق، ركن بيده مقاليد الكون وتصاريف الأمور.. ومن كان الله معه، فلا يخشى قوة ظالم، أو تعنت جبار، أو صلف مغرور ..

---

(١)سورة الأنفال آية (١٧) (٢)سورة البقرة آية (٢٤٩)

(٣)سورة محمد آية (٧)

ولنختم بحثنا هذا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذى جمع فيه، كما يقول أهل العلم عنه، علم الأولين والآخرين، وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

-اعمل لدنياك	بقدر مقامك فيها
-واعمل لآخرتك	بقدر بقائك فيها
-واعمل لله	بقدر حاجتك إليه
-واعمل للنار	بقدر صبرك عليها [1]

اللهم اغفر لمؤلفه وكاتبه وقارئه وارحمهم واجعلهم من المحشورين فى زمرة النبيين والصدِّيقين والشهداء بفضلك ياأرحم الراحمين.. اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا صحيح المعاملة بيننا وبينك على السنّة والجماعة وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك، وأفض علينا بكل ما يقربنا إليك، مقرونا بالعفو فى الدارين... يارب العالمين

وأخيرا استودعك الله ياأخى القارئ مع الآية الشريفة والتى أرجو الله أن يدخلنى وإياك فى فضلها وثوابها؛ فى قوله تعالى:

﴿فبشر عباد.الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولوا الألباب﴾ [2]

وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين ..

(١)ذكره الإمام أبو حامد الغزالى عن أبى بكر الشبلى المتوفىسنة ٣٣٤هـ فى رسالته (القصور العوالى)

(٢)سورة الزمر آيتا (١٧،١٨)

كتب للمؤلـف

١-عظماء فى الإسلام	١٩٦٣ هيئة الكتاب
٢-الإسلام والحياة الزوجية	١٩٦٥ هيئة الكتاب
٣-شريعة القتال فى الإسلام	١٩٦٨ تقديم فضيلة الدكتور/عبد الحليم محمود مكتبة الزهراء - العتبة
٤-الإسلام والحياة الزوجية	١٩٨٨(طبعة ثانية) هيئة الكتاب
٥-مكانة الذكر بين العبادات	١٩٩٥

محتـــويات الكتـــاب

*** تقديم فضيلة الدكتور / محمد نايل**

***من تقرير مجمع البحوث الإسلامية**

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٧٥٥٠
I.S.B.N 977-01-4493-2

بحث قيّم عن فضيلة الذكر ومنزلته بين العبادات. فهو يبيّن أن العبادات كلها لها أوقات معلومة، تبدأ وتنتهى فى وقت معين.. ولكن الذكر ليس له وقت معلوم، فيستطيع المسلم أن يذكر ربّه فى كل وقت وحين، ولهذا فُضل الذكر على سائر النوافل...

وقد جمع المؤلف الآيات والأحاديث النبوية التى تحض على كثرة الذكر وفضائله، وعلى منزلة الذاكر، وما أعده الله له من رفيع الدرجات فى الآخرة.

ثُم بين الأسباب التى تعطل الذاكر عن ذكره، وكذا ما يعنيه على مواصلة الذكر حتى يصل إلى الدرجات العلا، والتى لايصل إليها إلا من داوم على الذكر...

ثم ذكر المؤلف نماذج للذاكرين الذين اتخذوا الذكر منهاجاً لهم فى حياتهم، بعد آدائهم الفرائض، فوصلوا به إلى أرقى الدرجات وأعلى المنازل..

كما أفرد باباً عن فضائل الشهور وأذكارها، مبيناً فضل معظم الشهور كما جاء ذلك فى القرآن والسنّة وما ينبغى على المسلم أن يقوم به فى كل شهر من أذكار وأدعية وصلوات.

ثم ذكر بعنوان أهمية الأذكار والأوراد فى حياة المسلم، فجاء مكملاً للأبواب الأخرى، وليبين أن الله يحفظ الذاكر دائماً من كل سوء ومكروه.. وأن الذكر كذلك يفتح باب الولاية والفتح والقرب، كما بيّن أنه ليس للمسلم دواء أسرع فى جلاء قلبه من مداومة الذكر..

فجاء الكتاب دوحة فيحاء وروضة عاطرة تعبر، عن صدق المؤلف وحرصه على أن ينهل المسلم من أنواع الذكر ما يؤهله إلى مصاحبة المقربين الأبرار أصحاب الدرجات العلا...

٦٠٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب